
جيرالد فوري
تربية صعلوك
كواليس المخزن المغربي
من أغتيال محمد الخامس الى اغتيال الجنرال أفقير

المجتهدون

جيرالد فوري

تربية صعلوك

كواليس المخزن المغربي

من أغتيال محمد الخامس الى اغتيال الجنرال أفقير

تعريب

فريق المجتهدون

المجتهدون



مدخل

يبـدو كتـاب جـيرارد فـوري الـذي نشـره في فرنسـا، تحت عنوان: تربية لص، هام ومهم جدا؛ حيث يتحدث عن كواليس المخزن المغربي، وكيـف تم اغتيـال الملـك محمـد الخامس بعد اتفـاق بين فرنسـا وولي العهـد الحسـن الـذي اصبح بعد ذلك الملك الحسن الثـاني، وذلـك بعـد العمليـة الجراحية البسيطة على انفـه بتـاريخ 26 فـبراير 1961، في العيادة الملكية بالقصر.

مؤلف هـذا الكتـاب جـيرارد فـوري وهـو أبن الطـبيب الخاص للملك محمد الخامس الـدكتور فـوري، والـذي عـاش فــترة كبــيرة من حياتــه كضــابط وطــبيب فرنســي في السـلطنة المغربيـة، حيث تـزوج بمغربيـة من "الشـلوح" او امـازيع الأطلس الكبـير، ومن هـذا الـزواج جـاء مؤلـف هـذا الكتاب جيرارد فوري، فهو نصفه فرنسي ونصـفه "شـلحي" من امازيغ المغرب.

من خلال كتابه هذا والذي الفه على شكل رواية، وهو في الحقيقة توثيق لحقائق تاريخية وقعت في الفترة الملك محمد الخامس والملك الحسن الثاني، أو بصورة اخرى من اغتيال الملك محمد الخامس الى الانقلاب الثاني على الملك الحسن الثاني والذي قام به الجنرال محمد افقير.

لقد قام المؤلف جيرارد فوري بإعطائنا معلومات وتفسيرات دقيقة، ونحن نعلم أنه لتفسير أي حدث تاريخي نحتاج الى الحيثيات الدقيقة، حيث يختبي هناك الشيطان.

هذا الكتاب قيم، وهو ممنوع من الصدور أو الظهور في المملكة المغربية، بل اكثر من ذلك كلما تم طبع نسخة منه يقوم المخزن بشرائها بالكامل، بل وأكثر من هذا لم يتم بعد تعريبه، والسبب وقوف المخزن المغربي في وجه لمنع ذلك...

اليوم وبحمد اللّه، قامت المؤسسة الناشئة المجتهدون، وهي مازالت الى اليوم في بدايتها، بتعريب هذا الكتاب ووضعه في متناول كل من يريد معرفة

كواليس المخزن المغربي من اغتيال الملك محمد الخامس الى اغتيال الجنرال محمد افقير، وبدون مقابل، فقط لنشر الحقيقة وجعلها في متناول الجميع...

هذا الكتاب يتكون من ثلاثة وعشروف فصل، وما على القارئ إلا الصبر ومتابعة هذه الفصول، والحق يجب قوله فإنه من فصل الى اخر نتعرف بشكل دقيق عن الممارسات الخبيثة والسئية للمخزن والمخابرات المغربية، وأيضا كيف أن هذه المملكة منذ نشوئها هي تكذب وتنافق على الشعب المغربي، ومازالت الى غاية اليوم في هذه الممارسات الغير اخلاقية والتي ستكون قريبا سبب في انهيار المملكة.

فجيرارد فوري عندما عنون كتابه هذا بتربية لص، هل يقصد يتحدث هنا عن تربيته هو، أم تربية الأشخاص الذين يتحدث عنهم وكلهم من المخزن أو الجيش الملكي المغربي او الحاشية؟

فعند قرآتي للكتاب وصلت الى الخلاصة التي تؤكد بأن الأسرة الحاكمة في المغرب وجل الضباط الكبار أو

السامين القريبين من المخزن هم على هذه النوعية، وإلا لن تجد شخص واحد مخلص أو ملتزم بالتربيـة والآداب يصـل أو يكون معهم في المسؤولية.

دكتور عثمان عبد اللوش

الجزائر 26 فبراير 2024

الفصل الأول

بدأ جسمي يتعفن في قاع حفرة، كانت بمثابة زنزانة في سجن "مالاغا" الشهير بإسبانيا، في منتصف شهر ماي 1972. وكأن حياتي أصبحت معلقة بخيط رفيع.

بدا أن كل شيء مصمم لتحطيمي، أو بالأحرى لقتلي ببطء، ولم أر أي تفسير آخر. ولكن لماذا كل هذا التعذيب المسلط علي؟ ربما لأنني كنت أعرف الكثير عن بعض الأشخاص ذوي النفوذ الكبير في المغرب وأسبانيا وفرنسا، فقد فضلوا إسكاتي من خلال تركي أعاني في هذا السجن الحقير؟ لو كان الأمر كذلك، فإن موتي لن تحجب بعض الحقائق. بل على العكس من ذلك، فإنه سيسلط الضوء على هذه الأسرار من خلال نشرها في الصحف حول اغتيال محمد الخامس، وأشياء أخرى كثيرة، التي هرع والدي في عام ١٩٦١، بعد وفاة الأخير، لحفظها وحمايتها عند موثق، في حالة حدوث مكروه لنا. .

لكن المهم الآن هو عدم الانهيار أمام حراسي، الذين كـانوا ينتظـرون الرغبـة في إطلاق احتياجـاتي الطبيعيـة لإجبـاري على الصـراخ: "من فضـلك! من فضـلك ! هـل يمكنـك أن تـرمي لي السُـلم، فأنـا بحاجـة للـذهاب إلى المرحاض"، لتضربني ضربًا مبرحًا...

لقد أعطوا لأنفسهم الحق في تجاهلي وأنا أصرخ، ثم تعبـوا من صـراخي، وأرسـلوا لي السُـلم المصـنوع من الحبال ليسحبوني ثم يضربوني بحجة أنني أزعجتهم.

كان كل شيء حولي قـذرًا، ورائحـة كريهـة، وظلامًـا. لمدة ثلاثة أيام وأنا أتعفن في هذا السجن حيث تتنـافس عليَ كـل سـنتميتر مربـع من جسـمي الـبراغيث والجـرذان والعناكب والذباب في انتظار موتي.

لم أستطع حتى النوم وأنا مسـتلقيا على الأرض. ومن خلال إسناد نفسي بأفضل ما أستطيع على الأرض، دون بطانيـة، على تلك الجدران الرطبة، وفي الأخـير ينتهى بي الأمـر إلى النوم. لكن عندما يحدث ذلك، لم أبق لفترة طويلـة دون أن أتحرك، لكن يكفي فقط أن تتحرك أقـدام صغيرة مشـعرة

عبر الجزء الخلفي من رقبتي حتى أقفز وأصفع بكـف يـدي على المكان الذي مرت عليه. . لقد كان بالفعل جحيماً!

في هـــذه الظـــروف، لم تتمكن عضـــلاتي من الاسترخاء. وبقيت حواسي يقظة، تترقب أدنى احتكـاك أو خدش أو تحسس، مما يدل على أن فأرًا مـا كـان يحـاول أن يتآلف مع جسدي المسكين الدامي. لكن الأسوأ كـان القلـق من الضـرب الـذي كنت أتلقـاه في كـل مـرة أزعج فيـه الحراس...

في رأيي، كان هناك شخص نافذ جدًا وراء كـل هـذا ولسبب رئيسي... أن يستمر النـاس على هـذا النحـو، أن يتم اعتقالي تعسفيًا ثم سجني بشكل غير قـانوني دون حـتى التسـجيل في سـجل دخـول السـجن، دون حـتى حضـور محامٍي، فلا يمكن أن يكون إلا عمـل مسـؤول إسـباني رفيـع المستوى. على حد علمي، لم أرتكب أي جريمة في إسـبانيا. لقـد كنت أدفـع دائمًـا ضـرائبي، وفواتـيري، وغرامـاتي، ولم أقلل أبدًا من احترام ممثل النظام.

بغض النظـر عن مـا يـدور في ذهـني، لم أتمكن من العثور على تفسير معقول لكـل هـذه القسـوة. لم أكن رجلاً يستسلم للتهديدات أو الضرب، مهما كانت الطريقة الـتي وجهت إلي بها. فإذا كانت طفولـتي في المغـرب ذهبيـة، فقد نشأت في ظروف صعبة جدًا. والدتي، ابنة زعيم قبيلة من قراصـنة الصـحراء الخطـرين، الـتي قسـت علي بسـبب قسوة الحياة وقسوة القواعد الاجتماعية، الـتي تعـاقبت بلا رحمــــــة على مـــــــدى قـــــــرون أي ســـــوء ســـــــلوك، عرَّفتني في وقت مبكر جدا على العقاب البدني.

وقد تصلبت شخصيتي من ضربات السـوط، فاختـار دائما و دون تردد المواجهة بدلاً من الاستسلام أو الهــروب. كنت دائمًا على استعداد للمواجهة، وكنت أؤيد بكل ســرور عواقب أفعالي، مهمـا كـان الثمن الـذي سـأدفعه، حـتى لـو كــان والــدي، الــذي كــان حريصًــا على تجنب مثــل هــذه المشاهد المنزلية، يقف دائمًا إلى جانب والـدتي، وبالتـالي ثم يغلق باب الهروب.

وجاء أمر حـاد من احـد الحـراس ليخرجـني ممـا كنت افكر فيه، هيا، أصعد ! أمر أحد الجلادين.

نظـرت إلى السـلم الـذي تم إنزالـه إلى ارتفـاعي. ثـم ترددت.

شــد هــذا السُـلم اللعين، أيهــا الأحمــق ! وإلا في المستقبل سوف تأكل فضلاتك !

لقـد كـانوا قـادرين على فعـل الأسـوأ، وكنت أعـرف ذلك جيدًا. لم أعد أستطيع المزيد.

بـالكـاد تحـركت مسـافة ثلاثـة أمتـار عموديًـا حـتى شعرت أن يـدي تفلتـان. انـزلقت مـرتين على صـخور بـارزة واضطررت إلى شد الحبل بقوة أكـبر لمنـع يـدي من الانـزلاق بـسبب سقوطي. كانت يدايا تنزفا دمًا، وكان رأسي، المثقل بالجهد، يتمايل. وبعد تقدم قصير، تصلبت ساقي اليمـنى فجـأة بـسـبب التـشـنج. صـرخت ورفعت يــدي اليمـنى عن السلم ووجهتها نحو ساقي المؤلمة. هذه البـادرة أفقـدتني التـوازن وسقطت. أدى التأثير إلى تفاقم الألم، فانهارت وأنا

أتأوه و أتكوى على الحائط. وفوقي، كان الحراس يصـرخون بغضب شديد.

هيا، دييغو، أعطنا هذا الوجه المتعرج!

عندما فتحت عيني مرة أخرى، كـان دييغـو قـد ثـني جسده النحيل أمامي، فوقي تقريبًـا لأن المكـان كـان ضـيقًا للغايـة. بيـد حـادة، أمسـك بـذراعي وسـحبني. وقفت، وأنـا مذهول، أمسكت بالسلم بكلتا يـدي كمـا أمـرني. تمسـكت بقوة بينما سحبوني للأعلى. وفي غضون ثـوانٍ قليلـة كنت بين أيديهم وكان رأسـي بـالفعـل بمثابـة الطبلـة. سـقطت عليّ الصـفعات. رفعت ذراعي لحمايـة نفسـي وعلى الفـور أصـابت الـركلات أثرهـا، في الضـلوع مباشـرة. كنت أسـمع الإهانات المكتومة، بينما تردد صدى اللكمة التي تلقيتهـا في أذني في طبلة أذني.

وصل رجـل ثـالث، يبـدو أنـه زعيمهم بـالنظر إلى الضـفيرة الذهبية التي كان يضعها على كتفيه، وهو يصرخ:

توقفوا يا شباب! هل أنتم أغبياء أم ماذا؟

ثم، عنــدما رأى أن زملائــه لم يســتمعوا إليــه، قــام بسحبهم من أكتافهم.

هل تدافع عنه الآن؟ قال ألفارو، وهو رجـل بـدين ذو عيون بقرة.

لن نمنحه متعـة لضـربه على الفـور! قـال الرجـل ذو الأربطة. دعه يذهب إلى المرحاض، على أي حال.

ابتسـامة الضـابط الخبيثـة تقـول الكثـير عن نيتـه. كان زملاؤه يعرفونه تمامًا. لم يكن لـدي الـوقت للمماطلـة. وسرعان ما وضعت نفسي فوق المرحاض التركي بنـاءً على طلب الحراس، وتركت الباب مفتوحًا كما تلقيت الأمـر. مـاذا لو كان لدي أفكار؟

عندما أمسكت بسلسلة تدفق ماء المرحاض، تلقيت صدمة كهربائية لا تقاوم.

كـانت الذبـذابات الـتي لا يمكن السـيطرة عليهـا تختبر قلبي. وقف شعري على النهايـة. عنـدما قـام دييغـو بفصـل جهـازه، كنت لا أزال أرتجـف بشـكل متشـنج، تحت ضحكات الحراس.

كانت الأسلاك الكهربائية المتصلة بشكل خفي بنهاية التدفق جعلتها دائرة موصلة بشكل خطير ...

بعد ذلك بقليل، عدت إلى صوابي، رأيت نفسي مرة أخرى في المتجر الذي كنت أملكه، في توريمولينـوس، وهي بلـدة إسبانية بـالقرب من مالاغـا حيث عشـت لمـدة سـبع سنوات، حيث كنت أبيع سترات جلديـة صـممتها بنفسـي. في ورشة عمل مع دينيس، شـريكي السويسـري. لقـد كـان عملاً ناجحًـا للغايـة، وكـانت هـذه الأشـياء تحظى بشـعبية كبيرة لدى السياح.

في أحد الأيام، دخل مغربيان إلى المتجر ومعهما حزمة من الجلد ووضعوها بعصبية عند قدمي.

لدينا بعض الجلود الجيدة لك، أيها الرئيس...

جلد مغربي؟

نعم، ولكن ذات نوعية جيدة.

شكرا لك، لا أريد ذلك. أشتري في إسـبانيا، والجلـود هنا أفضل جودة.

نعم، ولكن جلدنا أرخص بكثير.

أكيد، لكنه مهرب ولا أريد أي مشاكل مع مصلحة الضرائب. لذلك لا تُصر!

وفجأة، وقبل أن أتمكن من فهم الأمر، وضعا الحزمة في المتجر وهربا. مندهشًا وقلقًا، توجهت نحو باب الخروج لأرى إلى أين يتجهان، ولكن بنفس السرعة، ظهر ضباط الشرطة في المتجر وواجهوني.

مرحباا سيدي، مراقبة! أخبرني الأطول منهم من بين الأربعة بينما أخذ الآخرون أماكنهم حولي.

مراقبة ؟ لكن عن ماذا؟

الفواتير والبضائع!

أجبت: لا مشكلة، ومازلت أشعر بالقلق.

سنبدأ بهذه الحزمة، هل لديك الفاتورة؟

لا ! ولكن هذه الحزمة ليست لي. إنهما المغربيان اللذان جاءا وهربا بمجرد وصولكم. علاوة على ذلك، لا بد أنك صادفتهم. لقد غادروا قبل دخولك مباشرة.

التفت الشرطي إلى زملائه وسألهم:

هل رأيت أحداً يغادر المتجر؟

لا ! لم يدخل أو يخرج أحد غيرنا، أجابوا في انسجام تام.

ترى بوضوح أنك تكذب يا سيدي! أخبرني الشرطي وهو في حالة من الإثارة المفرطة.

لقد فهمت أن شخصًا ما قد نصب لي فخًا.

لكن من الواضح أنك رأيتهما يخرجان، هذين المغربيان. لقد وصلتم بعد ثوانٍ من مغادرتهم، بالإضافة إلى أنهم هربا مثل اللصوص.

ماذا تقصد إذن؟ سألني ضابط شرطة آخر، متوسط القامة وعريض المنكبين، بتهديد.

أنا لا اقصد إلى أي شيء، يا سيدي. لكنني لا أفهم ما يحدث. أقول لك مرة أخرى أن هذه الحزمة ليست لي! لا أحتاج إلى هذا الجلد، وهو أيضًا ذو نوعية رديئة، حتى اسوقه في المتجر!

انظر يا سيدي، نحن نتبع الحقائق، وتبين أن لديك حزمة من الجلود في متجرك، يبدو أنها مهربة، وتدعي

أنها ليست ملكك. أنت لا تنكر ذلك، أليس كذلك؟ أصر الأطول.

لا ولكن...

لذلك ستتبعنا إلى مركز الشرطة دون إثارة ضجة إذا كنت تريد أن يسير كل شيء على ما يرام بالنسبة لك. هل هذا واضح؟

امتثلت. لقد كنا في ظل نظام فرانكو وكان لعب دور المتظاهرين مع الشرطة الإسبانية يمكن أن يؤدي إلى الضرب المبرح. وبينما كان أحد ضباط الشرطة يمسك بالصرة الجلدية لاستخدامها كدليل، مددت ذراعي لزميله بكل طاعة حتى يتمكن من تقييد يدي وضربي. خذني إلى مركز الشرطة الذي كان على بعد خطوات قليلة من المتجر.

و عندما دخلت وجدت أمامي، محافظ الشركة، متكئًا على مكتبه، أعطاني انطباعًا كأنه جرل عصابة: قبعة، نظارات داكنة، بدلة مخططة. النسخة المتماثلة المثالية من آل كابوني.

أوراقك! أمرني.

إنهم في شقتي.

في أي مكان بالضبط ؟

في منضدة في غرفة نومي.

لا، أنا أطلب منك العنوان، أيها الغبي!

٨ شارع دانزا غير المرئي في توريمولينوس، الطابق الثامن، شقة ٨١١.

التفت محافظ الشرطة إلى أحد رجاله وأمر:

خذ المفاتيح وأحضر الأوراق يا بابلو!

ففعل الرجل ذلك، وأخذ المفاتيح من جيبي وفر.

ثم نظرمحافظ الشرطة إلي.

هل أنت الوحيد الذي يدير هذا المتجر؟

لا، لدي شريك.

لم يبدو متفاجئًا.

اسمه وعنوانه!

دينيس بونس، ٧ شارع سان ميغيل في توريمولينوس.

قـال محافـظ الشـرطة، بعـد ذلـك، مخاطبًـا ضـابط الشـرطة الـذي كـان لا يـزال في المكتب والـرجلين الآخـرين اللذين دخلا للتو:

أيها السادة، أحضروا لي شريكم! بسرعة!

وبينما كان الرجال الثلاثة مشغولين، واصل محافـظ الشرطة كلامه بلا مبالاة.

حسنًا، أخبرني أنـك تشـتري الجلـود المهربـة... هـل هذا هو الحال؟

ولكن لا، أنت تعلم أن هذا ليس صحيحا!

لا، لا، لا، أنت على حـق، أنت أكـثر من تـاجر القنب، هاه؟

أنا، تاجر قنب؟ مستحيل !

نعم، نعم، أعلم أنـك تـاجر مخـدرات حقيقي! لـدي الدليل!

نظرت إليه مباشرة في عينيه بصـمت وحـاولت فهم ما كان يرمي إليه. وكان رد فعله سريعا. تلقيت على الفـور صفعتين كبيرتين على كف يده وظهر يده.

هيا، الآن سوف تخبرني بكل شيء!

ولكن قل ماذا؟

وفجأة دخل ضابط شرطة آخر إلى الغرفة وتحدث في أذن محافظ الشرطة وقال الأخير وهو يتحدث إلى مرؤوس آخر:

انتبه يا أليخاندرو!

وبعد حوالي نصف ساعة، واجهني محافظ الشرطة مرة أخرى. وبينما كان على وشك استجوابي، عاد بابلو ومعه جواز السفر الذي سلمه له.

صاح محافظ الشرطة فجأة وهو يتصفح كل التفاصيل ابتهج:

هل هذا جواز سفر مزور أم أنني مخطئ؟ وهذا يجعلك جريمة جديدة، وجريمة خطيرة إلى حد ما...

لكن لا، إنه جواز سفر حقيقي. عليك فقط أن تتحقق من القنصلية الفرنسية، وسوف ترى...، أجبته مذهولاً.

من فرنسا ؟ ولكن ليس لديك وجه فرنسي، أنت! أنت تمزح معي !

لا، بالنسبة لي هو جواز سفر مزور، أقول لك! بوجه ميثولوجي مثل وجهك، لا يمكنك إلا أن تكون من شمال إفريقيا.

أمام عيني، أخذ محافظ الشرطة وثيقة كتب عليها تلقائيا: جواز سفر مزور.

ثم وصل ضباط الشرطة الثلاثة مع دينيس، وهو مقيد اليدين على الرغم من الاحتجاجات.

كان أحدهم يهدده بالفعل: نصيحتي لك ، عندما يسألك محافظ الشرطة، لا تتأخر في الاعتراف!

للاعتراف بماذا؟ سأل دينيس.

الجلود المهربة، من بين أشياء أخرى. لقد وجدنا حزمة في متجرك . على أية حال، نحن نعرف كل شيء عنك، لقد ثبتنا الإنتربول على حسابك...

بمعرفة ممارسات الشرطة الإسبانية، فكر دينيس بسرعة كبيرة ووجد استراتيجية.

اسمع، سوف نقوم بتوفير الوقت. واقترح أن أعـترف بكل شيء على الفور، لذلك لن يضطر محافظ الشـرطة إلى فعل أي شيء.

أوه، لكنك عميل جيد! هاه يا شباب؟ صاح الشرطي يغمز بتسلية لزملائه.

سـأخبرك على الفـور بمكـان وجـود الحـزم الجلديـة الأخرى.

أخذ الشرطي ورقة وقلمًا من المكتب وسأل:

أي عنوان ؟

لا أسـتطيع أن أخـبرك بهـذه الطريقـة، فهـو ليس مجـرد عنـوان. المسـتودع مخفي خـارج المدينـة وهنـاك معالم...

هل تريد أن تأخذنا إلى هناك؟

لا، أستطيع أن أرسمها لك، وسوف تفهم بسهولة.

نظر الشرطي إلى زملائه.

حسـنًا ، لا تتسـكع بعـد ذلـك! وأوضـح وهـو يزيـل الأصفاد من يديه.

نهض دينيس بهدوء وامتدت لبضع ثوان. وصل إلى المكتب حيث كان هناك ورقة وقلم. وفجأة، وفي لمح البصر، رسمت ساقه قوسًا وسقطت قدمه على وجه الشرطي. وانهار الرجل بينما حاول زميله إخراج سلاحه من الحافظة. لكمة من دينيس على ذقنه أبعدته عن اللعب لكنها لم تمنع زميله الثالث من ضربه في ظهره بهراوة وسقط دينيس في حالة صدمة. وكان من الممكن أن تصيبه ضربات أخرى لو لم يحمي نفسه بمرفقيه. سقط دينيس على الأرض ليعطيه فرشاة. سقط الرجل إلى الوراء. نهض دينيس بسرعة كبيرة وضربه بكفة على مؤخرة رأسه. دون الاهتمام بالضابطي شرطة آخرين، ركض نحو المخرج واختفى في الطبيعة.

بعد تنبيههم لهذه الضجة، اقتحم محافظ الشرطة الغرفة المزدحمة.

ماذا حدث ؟

لم يكن هناك شيء يمكننا القيام به، أيها المحافظ. اعترف أنه فاجأنا.

شرطي جالس.

ثلاثة منكم لا يستطيعون التغلب على الرجـل! أنت لا تهتم

أنا ؟ سنقوم بحل هذا الأمر، سترى!

عاد محافظ الشرطة بنظرة غاضبة، وخاطبني قائلاً:

لقد هرب شريكك للتو بضرب الشرطة. حتى نجـده، نحن نحتفظ بك. هل يمارس رياضة قتالية؟

هو بطل الكاراتيه في سويسرا ...

أشك في أن ذلك سيساعده في المرة القادمـة الـتي نحاصره فيها.

لقد قرب وجهه من وجهي.

جيد ! ما كمية القنب الهندي الذي جلبته؟

لكنني لم أتطرق إلى هذا الدواء أبدًا!

نعم، لدينا الدليل!

لكن هل تمزح أم ماذا؟ ما الدليل؟

أدلة مكتوبة قدمها لنا المغرب، مع طلب تسليم المجرمين لدعمه!... ونريد أن نسمع منك في هذا الشأن! تكلم !

وإلا فسنجد أيضاً أدلة مادية، حتى لو كان ذلك بتلفيقها...

لكن ليس لدي ما أقوله!

سنرى !

هل تفتح القفل أم ماذا؟ لا املك شيئًا...

لقد انقطعت عقوبتي بوابل من الضربات. الصفعات لم تكن كذلك

فقط طعم تم استبداله بلكمات في الوجه والظهر والمعدة.

عندما عدت إلى صوابي، عاد إلى التهمة، عندما لم يكن ضابط شرطة آخر هو الذي تولى المسؤولية:

إذن، ما زلت لا تريد الاعتراف؟

ولكن بما أنني أخبرتك أنني لا أتناول القنب الهندي ...

على أيــة حــال، ســتقول لا، لكننــا ســنجد بعض الحشيش! سنضع البعض منها في متجرك، تأكد! لذا بقدر ما تقول أنك تعترف وإلا سنجد لك بعضًا، فلا تقلق...

في حـيرة وارتبـاك، لم أفتح فمي. باسـتثناء الأنين. كنت هنا لمدة أربع وعشرين ساعة.

كتب محافـظ الشـرطة على وثيقتــه: تجـارة القنب الهندي والتزوير وثائق إدارية.

حسنًا، الحمام الجيد سوف يحرر لسانك بلا شك.

لقد تحدث إلى اثنين من رجال الشرطة، اللذان حضرا جلسة الاسـتماع الصـارمة دون أن يرفـرف جفن أو يعقـدان ذراعيهما أو يمسحان على ذقنهما بينما كانا يراقبانني.

هيا، في حوض الاستحمام!

فجأة انشغلوا وخلعـوا ملابسـي وأخـذوني إلى غرفـة قذرة، أمام برميل صدئ يبلغ ارتفاعـه حـوالي أربعـة أقـدام، ثلاثـة أرباعه مملوء بالماء الممـزوج بـالبول والقيء والمخـاط والدم، وكل ذلك يعطي رائحة لا تطاق. رائحة التعفن.

ليس هذا !

أضع طاقتي الأخيرة في المقاومة العبثية. لقد استجابوا بقرصات مؤلمة أجبرتني على الإيماء قبل الاستسلام.

الاتصال الرهيب! أنا عارٍ، ممسك بأيدي من حديد، تنزلني بشكل غير رسمي داخل الأسطوانة. أنا مغطى حتى أعلى صدري، وأشياء غريبة بالفعل تنزلق بين ساقي...

بعيني اليسرى سوداء وزوايا شفتي ممتدة بشبكة قرمزية، أحاول أن أنظر إلى جلادي في موجة من التمرد. يخرجان من الغرفة ويخاطبني أحدهم قبل أن يغادرا، مما يثير ضحك صاحبه:

هناك، يمكننا أن نقول أنك حقا في ورطة! ببطء ولكن بثبات أشعر بالسعات والحروق،
الحكة والغثيان.

في بعض الأحيان ينكسر الصمت الثقيل. يشير النقر على القفل إلى وصول رجل الشرطة.

إذن، هل لديك ما تقوله؟

انتظـر بضـع ثـوان، وفي مواجهـة عـدم ردة فعلي، أغلق الباب مرتين.

استغرق الاستجواب بأكملـه ثمانيـة وأربعين سـاعة، تخللتها قدوم وخروجرجال الشرطة. بعـد أن أدركـوا أنـني لم أنهار، أخذوني إلى السجن في زنزانات فرانكو في مالاغا السجن الأكثر قذارة وغير صحي في إسبانيا. لقد كان محافظ الشـرطة معي قبـل أن يتركـني بين أيـدي الحـراس احتفظ بالأفضل للأخير بابتسامة قلقة:

وللعلم، اعلم أنـــك لم تقم بـــالتوقيع على ســـجل الدخول المعطى أن لديك جواز سفر مزور. إذن أنت هنا غـير موجود، أنت مجرد شبح..

الفصل الثاني

على الـرغم من عـدم وصـول أي ضـوء إلى زنزانـتي الموجودة تحت الأرض، إلا أنني لم أفقد فكرة النهار والليـل. لقـد قمت تقريبًا بتتبـع شـريطي الثـامن من أيـام السـجن على الجدار الترابي. ولا أعتقد أنـني نمت بمـا يكفي لأعتـبر هذه الصحوة المفاجئة التي واجهتها فجأة أمرًا طبيعيًا.

جيد إذا ! هل استيقظت أم أننا قادمون لاصطحابك؟ يصرخ أحد الحراس بعد أن أرسل السلم.

ماذا يحدث هنا ؟

قاضي التحقيق يريد رؤيتك!

ولكن ما هو الوقت؟ أسأل، وتمتد جسدي المؤلم أ مرة واحدة واقفا. ثلاث ساعات.

قاضي التحقيـق يريـد رؤيـتي في مثـل هـذا الـوقت المتأخر...؟

حسنًا، اطرح المزيد من الأسئلة وأسرع!

عنـدما أواجـه الحـارس، بضـع صـفعات على وجهي تزيل الرغبة في أن أكون فضوليًا. يقودني الحـراس الثلاثـة إلى غرفـة أخـرى أكـثر نظافـة، حيث ينتظـرني محافـظ الشرطة والحرس المدني المسلحون بالرشاشـات. الرعشـات تسري في جسدي. عادة لا يُسمح للحراس المدنيين بـدخول السجن... وفي الساعة الثالثـة صـباحاً... تنبعث منـه رائحـة كريهة جداً...

يعود الحراس إلى مهامهم ويتركون الحرس المـدني تم تقييد يدي ووضعها في الجزء الخلفي من الشاحنة التي انطلقت على الفور دون أن أتمكن من رؤية المكان، حيث لم تكن المقصورة مجهزة بنوافذ.

ولكن بعـد عـدة عشـرات من الـدقائق، لاحظت أننـا لم نكن نتجه نحو محكمة توريمولينوس كمـا هـو مخطـط لهـا، بـل نحو الجبـل. كـان ينبغي أن يكـون الطريـق، كمـا أعرفـه عن ظهـر قلب، مسـطحا بينمـا شـعرت لفـترة من الـوقت أن الشاحنة تتجه نحو التلال والمنعطفات.

أنا أرتجف... الدموع تتساقط... سيقتلونني، هذا أمر مؤكد. هو لا يوجد تفسير آخر لهذا الأمر برمته.

توقفت السيارة، وأخرجني الحراس بشكل غير رسمي و تنمو إلى حافة الوادي، تحت أعين محافظ الشرطة. هناك ضوء المصابيح الأمامية يمنعني من رؤية قاع الوادي. تراجع الحراس واستمروا في توجيه أسلحتهم الرشاشة نحوي. يقترب مني محافظ الشرطة وهو يحمل ملف من الورق المقوى ومنشورًا على مرأى من الجميع:

جيد ! الآن إما أن تعترف، وتوقع، أنك جلبت مائة كيلوغرام من القنب الهندي إلى البلاد، أو أن تطلق رصاصة من الأسلحة الرشاشة! الأمر متروك لك لتقرر مصيرك.

لا شيء يشير إلى خدعة محتملة، وإذا لم يتم تسجيل وفاتي في أي مكان، فسوف تمر دون أن يلاحظها أحد.

لا أعتقد طويلا. أوقّع على موت الروح، أفضل من موت الجسد، الوثيقة التي سلمها لي محافظ الشرطة.

عندما عدت إلى زنزانتي، شعرت بالصدمة من فكرة سنين الاعتقال الذي سأضطر إلى تحمله. لكن في اليوم التالي، تم إخراجي من الزنزانة مرة أخرى، ولكن هذه المرة ليأخذني إلى مكتب حيث كان قاضي التحقيق بانتظاري. بناءً على أمره، جلست مكبل اليدين، محاطًا باثنين من الحراس المدنيين الذين يدققون في كل تحركاتي. القاضي، وهو رجل طويل القامة ذو صوت زائف، يدخل مباشرة في صلب الموضوع:

حسنًا، سيد فوري، لقد وقعت على اعتراف بالذنب فيما يتعلق بالاتجار بمائة كيلو من القنب الهندي. يجب أن تتم محاكمتك في إسبانيا، لكنني تلقيت للتو طلب تسليمك من المغرب موقعًا من الملك نفسه. لقد تلقينا ملفك المغربي الذي ينص على مسؤوليتك في تهريب المخدرات بشكل كبير. لذلك سأقوم بإعداد تفويض تسليمك وسيتم نقلك إلى المغرب في غضون أيام قليلة.

أنا لست متورطا في أي تجارة، سيدي القاضي، وأنت تعرف ذلك!

بدأت أفهم الآن سبب وجودي هنا ولماذا يريدونني في المغرب...

يرفع القاضي رأسه بالكفر والاستنكار. يسير أحد الحراس نحوي لكن القاضي يشير إليه بالبقاء في مكانه.

ويلاحظ أنه من الأفضل أن تفهم الأمر، على الأقل أنك لم تأت من أجل لا شيء.

لم يعد لدي الكثير لأخسره، في ظل ما ينتظرني. لقد أدركت للتو أنني عالق في دوامة حفلة تنكرية مميتة. لقد وقعت في فخ دبره الجنرال أوفقير، الجلاد الرسمي للملك الحسن الثاني. بطل سابق للجيش الفرنسي، حائز على وسام الأعمال الحربية، خاصة في الهند الصينية. وواصل بعد ذلك خدمة فرنسا، مع ضمان الأمن المقرب للملك محمد الخامس.

ثم أصبح رئيسا للمخابرات ورئيس أركان الجيش الملكي المغربي ووزيرا للدفاع والآن وزيرا للداخلية. لقد كان من سوء حظي أن أقامت علاقة رومانسية مع زوجته فاطمة أوفقير (الملقبة بالحاجة باختصار) قبل بضعة أشهر، دون

أن أعـرف في البدايـة من هي. الجـنرال أوفقـير يبحث عـني ليحتفـظ لي بنفس المصـير الـذي خص بـه جميـع محـبي زوجته.

لا تتظـاهر بأنـك لا تفهم! من السـهل القيـام بـدور النعامة...،

وفجأة أمسك بي الحـراس ورفعـوني وأخـرجـوني إلى الخارج، بموافقة القاضي الذي قال بكل وضوح:

لا تذهب إلى حد ازدراء المحكمـة، يـا سـيدي، أنت لم تغادر بعد اسوارنا...

وبعـد التفـتيش المعتـاد، تم إعـادتي إلى أحشـاء السجن.

أحـد عشـر يومًـا أتحمـل فيـه هـذا الجحيم. بـدون أي معلومات ومع ترفيه يومي بأخذ صفعة في كـل مـرة أزعج فيها الحراس.

لا أريد أن أعرف أي شيء! اخلـع قميصـك ونظـف بـه جـدار زنزانتـك! وأسـرع، فهـذا سـيعلمك أن تعتقـد بأننـا أغبياء! يصرخ كارلوس، أحد الحراس.

لقد وجدت اليوم حلاً حتى لا أضطر إلى طلب سلم الحبل. لقد تبولتُ للتو على جدران زنزانتي. ولكن إذا لم يكن أي من الحراس يتمتع بسمع قوي عندما يتعلق الأمر بإحضاري إلى السطح، فلا شك أن أحدهم لديه أنف حساس. لقد شم رائحة البول وفهم ما فعلته للتو.

اذهب للفرك، أسرع! يأمرني.

أفعل ذلك وبمجرد أن يجف البول أرميه على الأرض.

لا، بل تضعها فوقك وتحتفظ بها حتى يؤذن لك بذلك بإزالتها! مفهوم!

أريد أن أصرخ في وجهه واقول له بأنني سأمرض، لكن ذلك لن يغير أي شيء. لقد ارتديت القميص اللاصق باشمئزاز.

وفي اليوم الرابع عشر من السجن، تنقلب الأدوار. في نهاية . يوم يتصلون بي، يغضبون، يصرخون، يهددون، لكنني لم أعد أجيب. أنا ضعيف جدًا،ودرجة حرارة جمسمي مرتفعة جدا، إنني مريض. لم أعد أرغب في الرد، ولا أريد التحرك.

هل تعتقد أنه ميت؟

اللعنة، إذا كان هذا هو الحال فسوف نواجه مشاكل!

كانت لدينا تعليمات بضرورة تسليمه إلى المغرب وهو في حالة جيدة!

أنت أحمق، كارلوس! لماذا أجبرته بأن يعيد لبس قميصه؟

جيد، لا حاجة لإضافة المزيد!

أحد الحراس أمامي. إنه لا يكلف نفسه عناء أن يأخذ نبض. يعطيني لكمة صغيرة على خدي ويراقب ردة فعلي. أحرك رأسي قليلاً، وأرمش قليلاً لأوفر على نفسي علامة أخرى على الاهتمام منه.

لا داعي لذلك، إنه على قيد الحياة وبصحة جيدة، ذلك الوغد. وأكثر نتن من أي وقت مضى!

فهو لا يهتم بنا إذن! خذه مرة أخرى، دعونا نعلمه اخلاق حسنه !

لا، لا، أنا لا أتطرق إليها. إنه مصاب في كل مكان. محتاج الى ممرضة...

والمـوت في روحي، يخلـع الحـارس قميصـي. بعض السحبات الجافة والمتزامنة تسبب لي نزيفًا وأنينًا مكتومًا.

وبعد ساعة، أنـا مسـتلقي على السـرير. تصـل امـرأة جميلـة في الخمسـينيات من عمرهـا، ومعطفهـا الأبيض لا يــترك مجــالًا للشــك في دورهــا. تخــاطب الحــراس دون تعاطف:

أليس لديه قمة؟

نعم، لكنــه متســخ وملــوث لــذا قمنــا بوضــعه في الغسالة.

لماذا لم تبلغ رئيسك عاجلا؟ هل رأيت حالته ؟

لقــد أصــبح الأمــر أســوأ في وقت قصــير. ولا يغــادر زنزانته كثيرًا، يبرر كارلوس.

بــالطبع، نعم...، مازحــة الممرضــة. حســنا، ســوف اتحقق من ذلك.

بعـد قيـاس درجـة حـرارتي، وضـغط الـدم، وفحص لسـاني وعيـني وأذني، والجس في أمـاكن مختلفـة، والنقـر بضع مرات على ركبتي، يبدو أنها حددت مشكلتي بشـكل

لا لبس فيـه. تنهض وتأخـذ شـيئًا من مجموعتهـا الطبيـة لتحقنني بمنتج ما. وبعد الحقنة طمأنتني بصوت لطيف:

حسـنًا، الآن سـأرى مشـاكل بشـرتك. حـاول أن تنـام وسـترى أنـه في غضـون سـاعات قليلـة سـتكون أفضـل بالفعل. سوف تنكسر الحمى.

وبحركة من جفنيا أؤكد لها امتناني.

سأعود في وقت مبكر من صـباح الغـد، بعـدما القت نظرة على ساعتها.

أثناء مرورها بالحراس، توصي بما يلي:

أخبروا الفريـق المسـائي للتأكـد من أنـه سيسـتريح هنا حتى الغد. أعود إلى رئيسه لإبلاغه. سنرى بعد ذلك.

وعندما غادرت، اقـترب مـني الرجـال الثلاثـة دون أن يتحـدثوا. عينـاي مغمضـتان لكـني أشـعر بـأن عـداوتهم تغلفـني. أتظـاهر بـالنوم. حـتى لا اعطيهم فرصـة بـأن يضربونني .

وفي اليوم التـالي، لاحظت عنـد الفجـر أن الحمى قـد اختفت. لا يزال جسـدي يؤلمـني ولا يـزال التهـاب بشـرتي

مؤلمًـا، لكن على الأقـل أسـتطيع المشـي. لم أسـمع تغيـير الخدمـة، لا بـد أنـني كنت نائمـاً. أخـذني الحـراس الثلاثـة المنـاوبون إلى الحمـام، للمـرة الأولى منـذ سـجني. بنـاءً على طلبهم، أفرك نفسي بالصابون وأنا أتأوه من الألم.

عندما انتهت الممرضة لاحقًا من وضع المـرهم على آفاتي، أطلقت العنان لفضولها.

ماذا فعلت لكي تعامل بهـذه الطريقـة؟ هـل قتلت شخصا ما؟

لكن لا، لم أفعل أي شيء على الإطلاق.

قليل من الناس يقولون العكس...، أشارت بجدية.

لا، أؤكد لك أنني لم أفعل شيئًا. كنت بهـدوء في متجـري، عنـدما جـاء رجلان ليحـاولا بيعي حزمـة من الجلـود من المغـرب. رفضـت فهربـوا تـاركين وراءهم الحزمـة. ولحسـن الحظ، في نفس الوقت حضرت الشرطة واتهمتني بالاتجار بـالجلود المهربـة واقتـادتني إلى مركـز الشـرطة. وهنـاك اتُهمت مباشرة بتهريب مائة كيلوغرام من القنب الهندي.

الممرضة تنظر لي بارتباك وأسباب:

لكنك وقعت على اعتراف...

ألن توقع عليه تحت التهديد مدفع رشاش وسط الجبل؟

نعم، من هذه الزاوية... لكن هل اسمك فوري، جيرار فوري؟

بالطبع.

قد لا تكون ابن الدكتور جان فوري من طنجة؟

نعم، إنه والدي.

والابتسامة تمتد على شفتيها.

لكنك تعلم أنني عرفتك عندما كنت صغيراً، عندما أتيت لترى والدك في المستشفى؟ وكنت في خدمته في ذلك الوقت. ويمكنني أن أقول لك إن الكثير من الناس في المغرب يعتبرونه قديساً... كنت أعشقه دائماً، وكان دائماً لطيفاً معي.

تستدير لفترة وجيزة للتأكد من أن الباب لا يزال مغلقًا، وتميل نحوي.

هل تريد مني أن أخبر والدك أنك هنا؟

لكن أكيد. ليس لدي الحق في أي شيء هنا. لا للكتابة ولا للاتصال بالهاتف ولا حتى أخذ محامي.

أعطني رقمه، سأحاول الاتصال به في طريقي للخروج بعد ظهر هذا اليوم. أكدت لي أن لا أقلق، وأخرجت شيئًا لأكتبه. أنتم أعلم أنني عرفت والدك قبل أن يلتقي بوالدتك على حدود الصحراء الفرنسية والإسبانية. كان طبيبًا ملازمًا في المفرزة العسكرية الفرنسية التي تراقب الحدود، وكنت ممرضًة في المفرزة العسكرية الإسبانية. كنا نلتقي كل مساء كمجموعة ونقيم حفلة. انضممت إلى فريقه الطبي، وكنت أحبه بجنون. وخلال كل هذه السنوات كنت قريبًة منه، وأعرف الكثير عن حياته..

أنظر إليها دون عداوة ولكن بإصرار وصمت. إنها تثير اهتمامي. يبدو أنها تحقق في نظري.

لا، ليس هذا ما تعتقده. لم أكن عشيقة والدك. لقد أحببته كثيرًا منذ اللحظة التي رأيته فيها، لكنه لم يكن وحيدًا. كانت علاقاتنا وثيقة، وكانت في بعض الأحيان تتجاوز الإطار المهني. لقد كنت صديقته المقربة، إلى أن تم نقلي إلى هنا باسم المغربة، بعد أن أصبحت طنجة مغربية مرة أخرى على حساب إسبانيا والإسبان هناك...

عندما تنتهي أميليا من قصتها، تظهر لؤلؤتان من العاطفة في زاوية عينيها وتتألقان دون أن تسقطا.

وبعد أن يغادر، أترك عقلي يستذكر الأحداث قصص درامية رواها لي والدي بالتفصيل عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري. لم أكن أعرف شيئًا عن السياسة في ذلك الوقت.

كان المارشال ليوطي قد عين، تحت الحماية الفرنسية، السلطان سيدي محمد بن يوسف، أي المستقبل محمد الخامس، باعتباره صاحب السيادة المحتمل الأكثر قدرة على حكم المغرب لمصلحة الفرنسيين، بعد رحيلهم. وفي الحقيقة، كان يعلم جيدًا أن الأخير كان لديه خطط لإخراج جميع الفرنسيين من المغرب بعد الحصول على الاستقلال وسلبهم جميع أصولهم. لقد اختار ليوتي أن يخون وطنه بدلاً من قلبه: فمشاعره تجاه السلطان كانت تتعلق بالعاطفة أكثر من الحسابات السياسية.

في السلطة، لم يتمتع سيدي محمد بن يوسف بالانصياع المتوقع، فأرسله الفرنسيون إلى المنفى في كورسيكا، ثم في مدغشقر، عام ١٩٥٣.

لكن شعبه كان حساسا لرغبته في الحفاظ على المصالح الثقافية والتقليدية والمالية للمغرب. وبقي المغاربة موالين له، وعبّروا عن غضبهم من خلال التظاهر في الشوارع، حيث اندلعت أعمال الشغب. وتحت هذا الضغط ترك الفرنسيون المجالس وسمحوا لسيدي محمد بن يوسف باستئناف منصبه سنة ١٩٥٥.

ومع غياب السلطان عن المغرب لمدة عامين، تم فرض ملك دمية من قبل الفرنسيين: محمد بن عرفة. خلال هذه الفترة، كانت استراتيجية فرنسا تتمثل في تعزيز الطموح وتشجيع الاستيلاء على السلطة للجلاوي، باشا مراكش، وهو زعيم مؤثر ومحب للغاية للفرانكوفونية لقبائل البربر. أرادت فرنسا تأسيس قوة أمازيغية في المغرب، حتى ينفصل هؤلاء السكان عن الكيان الوطني التاريخي الذي كان قائما لفترة طويلة: العرب. أرادوا أن

يسيطر البربر على العرب، خاصة وأنهم يشكلون ما يقرب من ثلثي السكان واعترفوا بالباشا الكلاوي ملكا جديدا. في رأي العديد من الضباط الفرنسيين رفيعي المستوى، كان البربر محاربين ممتازين، وكانوا شجعانًا وسهلوا إضفاء الطابع الفرنسي عليهم، على عكس العرب. لذلك أراد الفرنسيون وضع حد للسلالة العلوية من أجل تعزيز النفوذ والمصالح الفرنسية في المغرب.

وقد أحبط الضغط الشعبي وعودة سيدي محمد بن يوسف إلى العرش خطتهم، بل وحرم الكلاوي من أي أمل في الاستيلاء على السلطة.

كان والدي رجلاً يتمتع بالشجاعة والنزاهة، وكان لديه شعور بالواجب و التزامه بالملك محمد الخامس الذي كان مخلصًا له. قد كان ذاهبا جعله يتحمل النتائج...

الفصل الثالث

مستلقيًا على ظهري، مسندًا رأسي إلى وسادة مستعملة، أشعر بألم في قلبي. لقد علمت للتو من أميليا أنه لا يمكن الوصول إلى والدي باستخدام تفاصيل الاتصال التي قدمتها لها، وأتساءل كم من الوقت سأضطر إلى تحمل هذا الجحيم. ومع ذلك فإنني أضع الأمور في نصابها الصحيح:

صحيح أن الأمر صعب بعض الشيء، لكن المستوصف أكثر احتمالًا من حفرة الجرد التي كنت أتعفن فيها حتى الآن...

لم تكن...

فجأة الباب يطرق. تستجيب أميليا بمفاجأة وهي تنهض من حافة سريري.

ادخل !

ابتسم كارلوس من الأذن إلى الأذن بعين انتقامية، واقترب من الممرضة وسلمها وثيقة. تتصفح أميليا

بسرعة، المحتوى المكتوب وفقًا للبروتوكول المعتاد وتلاحظ وجهًا منزعجًا توجهه إلى كارلوس. لم تعد قادرة على كبح لهجتها التي تشددت بفعل الغضب المكبوح:

هل انت مسرور مع نفسك؟

ليس الآن ولكن قريبا. ذلك لأننا نحبه، تلميذنا...

يلجأ كارلوس إلى زملائه:

أليس كذلك يا شباب؟

مللنا من دونه..

لنفترض أن التيار سار بشكل جيد بيننا... وخاصة تيار "الجيجان[1]"...

كل هذا جيد جدًا، لكنكم تعلمون أنه إذا لم يعد السيد فوري في حالة حرجة، وإذا انخفضت الحمى، أيها السادة، فيمكنني أيضًا إبلاغ الرئيس لأقترح أن يبقى السيد فوري في المستوصف حتى تلتئم جروحه...

1 - الجيجان، هو مولود كهربائي له رأسين يستعمل في تعذيب السجناء بتمرير تيار كهربائي في جسهم، وهي طريقة استعملت في الحروب، لإستنطاق السجان، واستعملت على نطاق واسع في حرب الجزائر من طرف الجيش الفرنسي.

أنت تعلمين مثلنا أننا هنا نثق بالحقائق يا سيدتي.

ومع ذلك، فإن بعض الجروح الطفيفة لا تبرر دخول المستشفى. إنه ليس في السجن من أجل الراحة والاستجمام، بل ليقضي عقوبة. اذهب لرؤية مديرك أو أرسل له تقريراً، وسوف يسخر منك...

دييغو يقترب من أميليا. ولا ينتبه لزملائه الذين امسكنوني.

في هذه الأثناء، إذا يمكنك الإنصراف ودعنا نقوم بعملنا.

أوه، لا بأس، لا تصر! سأترك لك المجال...

وتغادر أميليا الغرفة وتغلق الباب.

أعود إلى أعماق جحيمي. فقط، قبل أخذ السلم الحبلي، وأتلقى فجأة ترحيب من دييغو:

ألا تقول لي شكراً؟ لقد ذهبت لإحضارها من سلة المهملات من أجلك فقط.

لا أرغب في المرور بالمربع الأول، الضرب المتجدد، أنا ذكي رغم يأسي:

نعم، انتباهك يؤثر في. مثل هـذه الـذاكرة المـؤثرة تلتصق بالجلد ...

خاصة وأنك ستعيد ارتدائه على الفور، لذلك سـوف يلفت اهتمامي انتباهك أكثر... لقد ارتديته!

مستلقيًا مثل كلب البندقيـة، مرتاحـًا لأنـني نجـوت من الضربات بصعوبة، أحـاول النـوم، دون جـدوى. أتحـدث عن السر الذي ربما يكون سبب مصيري.

بـالتفكير في الأمـر، سـأكون سـاذجًا إذا لم أرى مـدى نكساتي الحالية، منـذ لقـائي مـع فاطمـة أوفقـير، مرتبطـة بتلك التي لها علاقة مع والدي...

أغـرق في كـابوس اليقظـة حيث تعـود هـذه الفـترة بأكملها إلى الظهور.

*

**

لقد وصل أبي إلى المغرب سنة ١٩٣٥كطبيب ، كـان والـــدي يعمـــل طبيبـــا مســـاعدا ثم رئيس الأطبـــاء في مستوصف ورزازات. كان أحد أقارب السلطان سيدي محمـد

بن يوسف، محمد الخامس فيما بعد، والذي أصبح طبيب الأمراض الجلدية في نفس الوقت ، كان مقرب جدا من السلطان وهو أيضا مالك اسراره. لقد قضى سنوات سعيدة، رغم الاضطرابات التي كان على المغرب مواجهتها لتحقيق الاستقلال.

كان لدى جان فوري بعض المزايا: فبعد أن درس في مدرسة اللغات الشرقية، كان يتقن اللغتين العربية والبربرية، وهي مهارة نادرة بالنسبة للفرنسي في ذلك الوقت. وظل رجل الثقة لدى محمد الخامس، لكنه توقف عن أن يكون طبيبه الرسمي. مكائد القصر وقصص الحريم تغلبت على صبره وإخلاصه، ولم يعد يستطيع تحملها. ثم شغل منصب مدير المراقبة الصحية على حدود المغرب. في عام ١٩٥٦، بعد أن استقل المغرب من الحماية الفرنسية، غادرت عائلتنا الصويرة متجهة إلى الدار البيضاء.

كانت وقتها عندي صديقة المغربية اسمها لطيفة، لها رغبة جنسية مدمرة. عندما وضعت عيني

عليها، كنت في الثالثة عشرة من عمـري فقـط. كـان علينـا أن نكون مـاكرين لرؤيـة بعضـنا البعض في الخفـاء. كـانت تـأتي من تحت نافـذتي ليلاً، وكـانت تـرمي بـذور الزيتـون. عند سماع الصوت الثالث ضد النافذة، نهضت ولوحت لهـا. دون علم الجميــع، نــزلت الســلم بتكتم وتــوجهت إلى السقيفة لفتح الباب لهـا. لكن ذات مسـاء، وقبـل أن أتمكن من الوصول إليها، سمعت صـوت زنـاد السلاح بـالقرب من المـدخل وهمسـات. لم أتـردد طـويلا بين الخيـارين اللـذين طرحـا نفسـيهما: الاقـتراب، حـتى لـو كـان ذلـك يعـني المفاجـأة، أو الاختبـاء على أمـل أن يكـون الأشـخاص الغامضون قد دخلوا المنزل. اخترت بسرعة الثانية. انزلقت إلى زاوية غرفـة الاسـتقبال، ولم أر، أين يمكنـني الاختبـاء بـأمان، استدرت واستعدت للذهاب إلى غرفة أخـرى. مكتب والدي على سبيل المثال، حيث كنت انصت اليه أحيانًا عنـد الباب. لكن الهمسات كـانت تقـترب. لقـد فـات الأوان، لقـد اصبحت عالقا هنا!

وبــدون مزيــد من التفكــير، انــزلقت بعنايــة تحت الطاولـة. سـمعت عـدة أبـواب تغلـق، بمـا في ذلـك البـاب الموجود في غرفة الاستقبال.

معتقـدًا أنــني كنت في مــأمن من آذان المتطفلين، أصبحت الأصوات أكثر وضوحًا وطمأنني صوت والدي.

في هـــذا الـــوقت ســـنتحدث براحتنـــا في غرفـــة الاستقبال...

وبعد ثوانٍ قليلة، أزعجني صـوت الكراسـي المـألوف لـدي! جلس الرجـال الثلاثــة حـول الطاولـة ولم يكن الأمـر يتطلب سـوى هــز أرجلهم حــتى يلمس أحــدهم قــدمي. حاولت حبس أنفاسي.

استمع يا جان، هـل تتـذكر عنـدما اقـترحت عليـك، في كليــة الطب ببــاريس، أن تــأتي وتمــارس المهنــة في المغرب بمجرد حصـولك على شـهادتك؟ لقـد أخبرتـني أن هذه ليست فكرة جيدة. كنت تعتقد أنها سـتكون مشـكلة بالنسـبة لـك إذا التقينـا هنـاك بالصـدفة، وأنهم جعلـوني مساعدًا لك بنفس الدرجة. تتذكر ؟

أذكر ذلك يا فرج. علاوة على ذلك، فإن إصرارك هو الذي جعلني أستسلم وآتي إلى المغرب.

بالضبط! ولا أعرف تحققت في هذه الظروف كل ما خططت له... أصبحت نائبك. وهل تتذكر ما قلته لي في ذلك اليوم؟

لا. نسيت.

قلت لي حرفياً: «اسمع فرج، نحن لنا نفس التكوين ونفس الدراسة. لذلك لديك نفس المستوى مثلي. ومع ذلك فقد جعلتك مرؤوسي. هذا غير عادل. ليس لأننا، نحن الفرنسيين، أسياد المغرب، فإننا نتمتع بقدر أكبر من الجدارة. دبلوم متساو، وضع متساو. هذه هي الطريقة التي أرى بها الأشياء. الوضع الذي نجد أنفسنا فيه يحرجني كثيرًا، لكن يجب أن أتقبله. لذا، للقيام بذلك بشكل جيد، سوف نتشارك في العمل، حتى لا أضطر إلى إعطائك الأوامر، وهو ما أرفضه. أنت تقوم بالجزء الخاص بك من العمل كما يحلو لك، وأنا، من جهتي، أتحكم فيه، هذا كل شيء. أعلم أنك لا تحتاج إلى أي نصيحة مني، ولهذا السبب

أثق بك. على أية حال، أنا في بلدك هنا، وإذا كان على أي شخص أن يقدم النصيحة للآخرين، فسيكون الأمر متروكًا لك. أنتم تعرفون المغاربة أفضل مني. لذلك لا تنسوا: في كل مرة نريد أن نفعل شيئًا خارج ما هو متفق عليه، فإننا نعمل معًا على قدم المساواة. وإذا أردت، بالصدفة، لسبب أو لآخر، أن تتحدث بصوت عالٍ، فلا مشكلة: افعل ذلك! من ناحية أخرى، إذا أردت أن أفعل الشيء نفسه، تذكر أنه لن يكون رئيسًا أبدًا. نحن نفعل ذلك هكذا؟ - نحن نفعل ذلك هكذا! »

جان، بمعرفتي بك، لم أتوقع منك أقل من ذلك. كنت أعلم أن رجلاً مثلك سيفعل الكثير لبلدي. واليوم لا أندم على إصراري وأبارك السماء لأنني كنت نائبا لك.

- حسنًا، بعد قولك كل هذا، أعتقد أنك لم تأتي لتتحدث معي عن ذكرياتك، أليس كذلك؟ وخاصة وأنك اليد اليمنى للأمير الوريث مولاي الحسن ... فما الذي جاء بك؟

- لدي رسالة لأسلمها لك.

- جيدة أو سيئة ؟

- سيكون الأمر متروكًا لك لتقرر. ولكن كن مطمئنا، في هذا البلد، طالما أنا على قيد الحياة، لا شيء يمكن أن يحدث لك. كما تعلم، أنا لست ناكرًا للجميل ولن أنسى أبدًا ما فعلته عندما كنت في موقف ضعيف. الشهادات العديدة التي قدمتها لي، وأحيانًا ضدك مواطني بلدي، والذين سمحوا لي بعد ذلك بممارسة مهنة الطبيب. لقد قالوا لك إن « المغربي bougnoul » أقل شأنا، ويجب أن تعامله على هذا النحو حتى لو كان لديه نفس المسار التعليمي... غضبت من هؤلاء الأوغاد العنصريين وقلت لهم: "قد يكون « المغربي bougnoul » كما تقولونها، لكنه متفوق عليكم جميعًا! وأنا أفضل رفقته عليكم . على الأقل معه أتعلم التواضع والإخلاص والحب واحترام الآخرين. » حسنًا، كما ترى، لم أنس أي شيء عن الماضي أيضًا. هل تعلم أنني وزير الصحة. إذا أتيت لرؤيتك هذا المساء، فذلك لأنني تلقيت الأمر.

– أمر ملكي في شأني! لكن لماذا لا يستدعوني؟ لا ؟ حتى ذلك الحين، في كل مرة كان يحتاج إليّ، كان الملك يتصل بي. حقا أنا لا أفهم.

– لا تقلق يا جان، ليس هناك ما يمكن فهمه. في الحقيقة هو ولي العهد مولاي الحسن الذي أرسلني... يود منك العودة للعمل في القصر، كما كان الحال في الأيام السابقة، ولا سيما لرعاية والده.

– لكن محمد الخامس لديه بالفعل أطباء في خدمته ومن بينهم متخصصون مشهورون. لا أرى ما الفائدة التي قد تكون لديه لرؤيتي مرة أخرى.

– نعم، أعلم، قد يبدو الأمر مفاجئًا لك للوهلة الأولى. لكن تذكر أن هؤلاء الأشخاص ليسوا من ذوي الخبرة مثلك. إنهم لا يعرفون شيئاً عن المغرب وعادات وسياسة هذا البلد. أنت تعرف هذا البلد. أنت تعرف الملك أيضًا، أفضل من أي شخص آخر. صحته ليس لديها أسرار عليك. ولا عاداته الأخرى. تعرفه بعيوبه كما تعرفه بحسناته.

- نعم، يمكنك أن تقول ذلك!... وخاصة عـدم ثقتـه. وأنت تتخيل ذلك أريد العودة إلى القصر بعد ما عانيته...؟ أن أكون في خدمة عائلة بأكملها من المصابين بالوسواس ليلًا ونهارًا، وأن أضطر إلى رعايـة الأشخاص الـذين يعـانون فقط من الأمـراض الـتي صنعوها لأنفسهم في الخامسة صباحًا... كانت الحياة في القصـر جحيمًـا حقيقيًـا بالنسبة لي. ومرة أخرى أنا أتحدث فقط عن العائلة المالكة...

حسنًا، اسـتمع، من الصـعب بعض الشـيء أن أشـرح ذلك ولكننا نحتاج إلى مساعدتك يا جان. من أجل مصـلحة البلاد... لقد كنا قلقين منذ بعض الوقت بشأن تطـور نظـام محمد الخامس.

نحن ؟

نعم، بعض أشـراف النظـام. أوفقـير أولا وقبـل كـل شـيء، ولكن وبـالطبع أيضًـا فرنسـا في الخفـاء، والـتي يعوقهـا تطـور الملـك في العـالم الثـالث وعلاقاتـه مـع الأمريكيين ...

لكن على أية حال، ما الذي تتحدث عنه معي؟ أنت لا تخبرني أنك تتآمر ضد الملك، هذا أمر لا يصدق!

استمع لي لبضع دقائق أخرى، من فضلك. وبعد إعلانه المُلْك سنة ١٩٥٧ وقمعه بمساعدة الفرنسيين واعتمادا على ابنه حسن وأفقير، استيقظت التمردات في الريف، فاتخذ مواقف محرجة. لقد ضاعف من المبادرات المؤسفة. أنت تعلم أنه يدعم بشكل متزايد إنهاء الاستعمار والعالم الثالث، ولكنه أيضًا بدأ يقيم علاقات مشكوك فيها من خلال تلقي المساعدات من جبهة التحرير الوطني الجزائرية ودعمه الصريح لباتريس لومومبا في الكونغو.

أعلم ذلك، لكني لا اسمح لنفسي أن احكم عليه. وأنا حقًا لا أفهم سبب حديثك معي عن هذا، فهو يجعلني غير مرتاح إلى حد ما.

يتوقف فرج، وكأنه يختار كلماته بصمت.

إليكم الأمر، بالنظر إلى تطور محمد الخامس، نعتقد أنه الحل الأفضل بالنسبة للمغرب، ولكن أيضًا بالنسبة

لفرنسا والعالم الحر ككل، هـو أن يخلـف الحسـن في أسـرع وقت ممكن. وهو يشـارك تحليلاتنـا وممثلـه موجـود معكم اليوم لتأكيد ذلك إذا لزم الأمر.

لا استطيع ان اصدق ! هل تخططوا لاغتيال الملك؟

من الصـعب أن أهضـم هـذا الكلام، أضـع نفسـي مكانك. لكن المشاعر الطيبة تصنع سياسة سيئة، لا إهانة. ويحظى المشروع بدعم ابنه حسن نفسه، أي... يحظى بدعم المخـابرات الفرنسـية بـالطبع. إن المصـالح العليـا للدولـة المغربيـة على المحـك! بشـكل ملمـوس، نخطـط لرؤيتـه يموت عرضيًا أثناء العملية الجراحية الصغيرة المخطـط لهـا لجدار الأنف بسبب مشاكله مع التهاب الجيوب الأنفية...

وفجأة نهض والدي، ودار حول الطاولة، وتوجـه نحـو النافذة الكبيرة. في الواقـع، ظهـره موجـه نحـوي ولا أخـاطر بأي شـيء برفـع جـزء من مفـرش المائـدة. لأشـاهد فزعـه. يستدير ويحدق في فرج. لو أنه نظر للأسـفل ربمـا كـان قـد رآني. ملامحه تنقل الغضب وخيبة الأمل.

أقوم بشد جوانب القماش قليلاً.

أنـــا أفهم الآن. أنت بحاجــــة لي لإقنـــاع الملـــك بالموافقة على إجراء العملية. تريد مني أن أكون شريكا في جريمتكم!

اسـمع يـا جـان، أنـا أفهم رد فعلـك. لكن قـدم لي معروفًا بسماع حججي. يتعلق الأمر بفعل الصواب، حتى لو بدأ لك خيانة للوهلة الأولى.

في الواقع، سيكون ذلك خيانة للثقة الـتي وضـعها في الملك والـتي أتشـرف بهـا. أسـتطيع أن أفهم حججـك الجيوسياسـية أو الجيواسـتراتيجية، حـتى لـو كـان علي أن أعـترف بأنهـا بعيـدة عـني قليلاً. أنـا مجـرد طـبيب. ومن الناحيـة الإنسـانية، لا أسـتطيع ولا أريـد التغاضـي عن هـذا الأمر، لأنه سيكون مخالفًا لأقدس قيمي.

كنت أظن أنــه لن يكـون من السـهل عليـك قبـول ذلـك. ولكن إذا أتيت لرؤيتـك على أي حـال، فهـذا لأنـني أعـرف ذكائـك، وذكائـك الوطـني وإحساسـك بالعدالـة. وبالطبع فكرنا أيضًا لاهتماماتك.

يد ممثل ولي العهد الأمير الحسن تمسـك بسـقيبة، وفتحها على الطاولة أمام والدي.

ويضـيف فـرج: هـذه الحقيبـة تحتـوي على ثلاثـة ملايين درهم وهي ملك لك إذا وافقت على أن تكون معنـا. لكني أحتاج إجابتك الآن يا جـان. إنهـا نعم أو لا. لا توجـد إجابة وسطى!

ويتصاعد غضب والدي وهو يقترب من فرج:

كـانت إهانـة لي! كيـف تجـرؤ على الاعتقـاد أنـه يمكنـك شـرائي لإقنـاعي بـأنني متـواطئ في مثـل هـذا العمل! جريمة جبانـة وشـنيعة بلا حـدود وبـدم بـارد مهمـا كانت المبررات! هل تعتقد حقًا أنـني رجـل للاسـتفادة من ولائي؟ يمكنك أن تأخذ حقيبتك مرة أخرى !

أُغلقت الحقيبة، ووقف الوزير وممثـل الحسـن. خطى خطوات قليلة نحو الباب، في صمت رهيب.

وفجـأة كسـر والـدي بصـوت مختنـق بـالعاطفـة هـذا الصمت:

فرج؟

نعم جان؟

والآن بعد أن علمت بالأمر، ألست شخصيًا في خطر؟

أرفض أن أكون شريكًا، لكني أؤكد لك الحفاظ على السرية المطلقة لهذا الأمر.

وبعد ثواني يغير والدي رأيه:

لا ! الحل الوحيد لدي الآن هو مغادرة البلاد. سوف تتلقى رسالة الاستقالة الخاص بي غدا.

أنت لا تفكر في ذلك! ماذا سيقول الملك؟ ما هو التبرير الذي يمكن تقديمه لمثل هذا الرحيل المفاجئ وغير المتوقع؟

انا لا أهتم. هذا هو الحل الوحيد الذي سيكون. الوحيد الذي يضمن أن أبقى مخلصًا مع الحفاظ على سلامتي وسلامة عائلتي. وهي الأقرب لفكرة التي لدي عن شرفي.

توقف عن هذا يا جان! المغرب هو بلدكم الحقيقي. لقد تبناك وأنت تعتز بهذه الأرض مثل سكانها. ثقافتها وتاريخها هما أيضًا ملكك.

بالفعل. لكن على أية حال أنا لا أحب الدار البيضاء. لقد أصبح الجو هناك غير صحي وأخاف على عائلتي. حتى أطفالي، أشعر بذلك، لم يعودوا هادئين. كل يوم نتوقع حدوث الأسوأ.

نحن بعيدون كل البعد عن أسلوب الحياة المغربية اللطيفة الذي أحببتها كثيرا.

- حسنًا، أفهم أنك لا تريد المشاركة في المؤامرة. لكن انا اثق بك. أعلم أنك ستكون قادرًا على التزام الصمت. لذا خذ وقتًا للتفكير واتصل بي غدًا، من فضلك.

قام والدي بمرافقتهم الى الخارج. أترك موقعي وأقترب من السقيفة. لقد عاد والدي وأنا على وشك الصعود إلى غرفتي.

أتتبع خطواتي وأدرك أنه هذه المرة ليس لدي حتى الوقت للذهاب تحت الطاولة. اختبأت خلف كرسي بذراعين يمر بالقرب منه ليصب لنفسه كأسًا من الويسكي. والكأس في يده، يقف مرة أخرى أمام النافذة الزجاجية الكبيرة المطلة على البحر. أشعر بفخر وإعجاب كبيرين

بوالـدي واختيـاره الصـالح. وفي الـوقت نفسـه فهمت، من خلال نبرة صوته، أن الرفض الصارم أعقبه خوف.

في اليـوم التـالي، تنـاولت العائلـة بأكملهـا، والـدي وأمي وإخوتي، وجبة الإفطـار في الفنـاء الخـارجي. في ظـل الجهنمية[2](bougainvillier) الهائلـة الـتي تعطـر أزهارهـا الفوشيا (fuchsia)، التي لا تعد ولا تحصى الهواء وتذهلني كـل يـوم. والـدي لا يظهر عليـه أي شـيء، أشـاهده بطـرف عيني وأنا أكل خبز المحمص[3] . يتبادل بعض الكلمـات مـع والـدتي، ويبتسـم عنـد سـماع حكايـة يرويهـا أكـبر أبنائـه. وينتهز الفرصة ليغادر الطاولة عنـدما يتحـول الحـديث إلى نقاش تتحمس له والدتي، للرد على أسئلة إخـوتي. بالكـاد ينتبهـون عنـدما أتظـاهر باسـتعادة شـيء مـا من غرفـتي الموجودة في الطابق الثـاني. دون علم الجميـع، أنـا توقـف أمام مكتب والدي..

أذني ملتصـقة بالبـاب، أسـمع بوضـوح وهـو يسـأل بفـرج إذا كـان من الممكن نقلـه إلى طنجـة، وهي مدينـة

---

2 - هو نبات زهري من امريكي معترش

3 tartine- : الخبز المحمص

جميلـة على شـواطئ البحـر الأبيض المتوسـط وبالتـالي تقربنا من الحدود. لم يعـد هنـاك أي شـك بالنسبة لـه في البقاء في الدار البيضاء. يعترف والدي بـأن فـرص الحصـول على منصـب كبـير الأطبـاء هنـاك ضـئيلة: هـذا المنصـب موجـود بالفعـل ويشـغله دكتـور "هـوغيت"، وهـو طـبيب فرنسي آخر أصله من الانتيل يعرفه الوزير جيدًا. ومن جهة أخرى، اتفقا على إمكانية أخرى للانتقال إلى طنجة، بشـرط الانتظار ثلاثة أو أربعة أشهر كحد أقصى.

عنـدما سـمعت صـوت الهـاتف يسـتقر في مكانـه، أسرعت عبر السقيفة واستأنفت وتـيرة الهـدوء و انضـممت إلى الآخرين.

وبعد دقائق قليلة، أعلن والـدي، وهـو يشـع بالأمـل، الخـبر لجميـع أفـراد الأسـرة. وأعلن أنـه حصـل على منصـب مـدير مكتب النظافـة ورئيس أطبـاء الوقايـة بطنجـة، بعـد أسابيع قليلة.

يسـعد جميـع أفـراد العائلـة أن يتمكنـوا من مغـادرة منـاخ الـدار البيضـاء القاسـي. أنـا أتظـاهر بعـدم معرفـة أي

شـــيء. يمكن رؤيـــة جـــو من الحريـــة على وجوهنـــا، وأمي سعيدة، ولا تعرف على أي المحك حقًا ترتكز تلك الرؤية.

*

* *

لماذا يا فرج؟ لقد وعدتني بحمايتك!

في مكتب المحافظ، والدي يصرخ بأسه. إنـه محـاط بضابطي شرطة مقيد اليدين أمـام الـوزير ومحافـظ صـامت مقفر لكنه عاجز.

لكي أحميـك يـا جـان! فـرج يـدافع عن نفسـه دون حقد.

أنت تحميني من خلال تنظيم هذه المكيدة لابتزازي، أهكذا تحميني؟

أنـــا أحميـــك من خلال منعـــك أنت وعائلتـــك من التعرض للإعدام دون محاكمة من الشعب المغـربي عنـدما يعلمون أنك مسؤول عن هـذه المذبحـة! أنـا لسـت الـراعي

لكـل هـذا، جـان. ولم أكن أنـا من وقـع على تصـريح هـذا القارب لنقل ٢٥٠٠ حاج بدلاً من ١٥٠٠ إلى مكة... مدير مراقبـة الصحة على الحدود ليس أنا، بل أنت!

القارب الذي أوصيت بـه لا ينبغي أن يحمـل أكـثر من ١٥٠٠ حـاج لضـمان أفضـل شـروط النظافـة والسـلامة! لقـد أوضحت ذلـك لشـركة الشـحن، الـتي يمتلـك مـولاي حسـن أغلبية أسهمها، وأنتم تعلمون ذلك!

قـامت بـترتيب سـفر ١٠٠٠ حـاج إضـافي إلى هنـاك ودمج العديـد من الأشـخاص الـذين يعـانون من الأمـراض المعديـــة. ولا يمكن للمســؤولين أن يتجــاهلوا أن هـــذه الأمـراض سـوف تنتشـر وتسـبب وبـاءً خلال هـذه الرحلـة الطويلـة. لقـد حوصـرت وأنت وراء كـل ذلـك، وإلا لمـاذا أنـا أمامك اليوم قبل أن ينكشف كل شيء؟

- حــتى لا تنفجـر أنت أمــامي. من خلال معرفــتي بـهذه الدراما، لقـد فهمت الخطـر الـذي عرضـت نفسـك لـه. هل يمكنك أن تتخيل لو أن الصحافة نشرته؟ الانتقام الذي

ستواجهه أنت وزوجتك وأطفالك؟ ألفان وخمسمائة حاج ذاهبون إلى مكة وأهلك العشرات منهم خطأ في الحكم!

- توقفت ! وباسم المصلحة المزعومة في المغرب، قمت أنت وأعوانك بالتضحية بعشرات الحجاج في استخفاف تام!

- حسنًا، استمع يا جان، الوقت ليس لتقييم الجناة بل للعواقب. لديك حلان فقط، عليك أن تتصرف بسرعة. لدي حل للتغطية على هذا الأمر، لكن لا أرى لماذا سأستفيد منك عندما ترفض مساعدتي... فإما أن تغير رأيك، أو أن الصحافة ستنشر الحدث باستفزازه. غضب الناس. ولسوء الحظ، ضمان حماية عائلتك هو أبعد من قدراتي.

هل من المفيد الإشارة إلى أنك لم تعد صديقي منذ عدة أسابيع؟ عائلتي تأتي قبل السياسة..

أنت تقوم بالاختيار الصحيح. لقد تم وضعك من اليوم تحت الرقابة القضائية. من الواضح أن هذه القضية ستتسبب في فضيحة في الصحافة، لكنك لن تشارك فيها إذا سارت الأمور على ما يرام. سيتم إبلاغكم بالباقي...

أيهـا السـادة، يمكنكم السـماح للسـيد فـوري بـالعودة إلى منزله.

بمعناويـات قاتلـة، سـوف يلجـأ والـدي في النهايـة وراء الحصن الوحيد الذي تتركه الحياة: عائلته.

منعـزلاً في غرفتــه، والــدموع في عينيــه، يتمسـك باللحظات القويـة التي عاشها مع محمد الخامس.

الفصل الرابع

وبعد بضعة أسابيع، ذهب والدي مرة أخرى، ولكن هذه المرة بتكتم كما قيل له، إلى مكتب المحافظ.

ولكن المحافظ كانت له مهمات خارجية. فكان فرج والحسن الثاني (الملك المستقبلي) يرحبان به. وأمام وزير الصحة ورقة يعيد قراءتها لفترة وجيزة قبل أن يتحدث إلى والدي.

لذا وافق الملك أخيرًا على إجراء العملية بفضل مشاركتك يا جان. يبدو أنه يثق فيك فقط..

أشعر بالندم أكثر من الفخر اليوم، بسببك.

حسنًا، لقد استشار الملك البروفيسور تايلينس[4] من لوزان من سويسرا، وهو من سيقوم بالعملية. سيتم إجراء العملية يوم ٢٦ فبراير في عيادة القصر في الرباط. أنت ستحضر العملية فقط دون التدخل. وعندما يحين الوقت، سيتم تعيينك كطبيب شرعي محلف أمام المحاكم.

---

4 - Taillens

سيُطلب منك ببساطة تأييد تصريحات الأطباء الآخرين الحاضرين، للتأكد من أن العمل الجراحي قد تم بشكل صحيح ووفقًا لقواعد المهنة. ثم تأكيد الوفاة الطبيعية للملك بعد المشاركة في التشريح. ستتمكن بعد ذلك من الاستقرار في طنجة مع عائلتك دون أي قلق.

هل لديك أي شيء آخر تضيفه أم يمكنني المغادرة الآن؟

حظ موفق...

يصل محمد الخامس، محاطًا بحراسه الشخصيين وبجانب جان والبروفيسور تايلينس والعديد من الأطباء الآخرين، إلى غرفة العمليات كما هو مخطط له. وتنتشر قوات الأمن التابعة لها في كل مكان، دون أن يكون لهم الحق في الوصول إلى الداخل. يقوم طبيب التخدير بحقن الملك، ويبدأ البروفيسور تايلين، الماهر والدقيق، في العمل. التنفس الاصطناعي يعمل بشكل جيد.

يـرمي الأسـتـاذ قفازاتــه الملطخــة بالـدماء ويرتــدي قفازات جديدة. ثم، دون أن يقلق على من يراقبونه، بقطـع الأنبوب الذي يتنفس الملك من خلاله.

ولا تستغرق الشاشـة وقتـا طـويلا للإشـارة إلى عـدم انتظام ضـربات القلب، حـتى يسـتقر الخـط ويطلـق الإنـذار المسموع. يمسـك طـبيب آخـر بجهـاز إزالـة الرجفـان[5] ولكن عندما يقترب من صدر الملك يشير إليه الأسـتـاذ بالانتظـار. أخـيرًا سـمح لـه الطـبيب بالتصـرف، وبـذل كـل طاقتـه في محاولة الإنعـاش، وهي نتيجـة مفـروغ منهـا: يمـوت محمـد الخامس.

كما هو متفق عليه، يتم تعـيين جـان طبيبًـا شـرعيًا يؤدي اليمين الدستورية أمام المحاكم لهذه المناسبة. وبعد مشـاركته في تشـريح الجثــة، أكـد أقـوال الأطبـاء الآخـرين الحاضــرين، أن العمليــة الجراحيــة الــتي أجراهــا الطــبيب السويســري تمت بشــكل صــحيح وشــهدت على الوفــاة الطبيعية للملك.

---

5 défibrillateur

إن الاضطراب الذي أعقب ذلك لم يزيل شيئًا من حزن والدي الذي بقي ضميره وقلبه ينزف.

يتم استبدال الألم على مدار الأسابيع بالحاجة الملحة إلى العثور على الحل لتجنب الموت الذي تعلقت في وجهه. وهو يعلم جيداً أن الملف المتفجر الذي وضعه، والذي يروي فيه اغتيال محمد الخامس وعمليات سرية أخرى تمس الحسن الثاني، يبقيه في الوقت الراهن. لكنه يعرف الحسن الثاني جيدا بما يكفي ليعرف أن فترة الانتظار لن تدوم، وسيأتي يومه. فطلب نقله إلى فرنسا وانتهى به الأمر بالحصول عليه.

وعندما أعلن الخبر لجميع أفراد الأسرة، أمي وأنا و أخواتي، النشوة كهربت الغرفة. منذ أن كنت في السادسة عشرة من عمري، اكتسبت بالفعل تجربة الحرية. حتى غضب والدتي اللاذع، لم يستطع من كبح شخصيتي الشرسة والمتمردة، والتي شجعها والدي بمرح وسرور. بعد بضع دقائق حاولت فيها عدم إظهار ضيقي لعائلتي،

ذهبت إلى غرفتي بحجة تافهة. لقد انهرت على فراشي، ورأسي يحترق، ومعدتي تتمزق...

سارعت والدتي وإخوتي، الذين كانوا متحمسين لرؤية باريس، إلى حزم حقائبهم. من جهتي، أبكي من فكرة مغادرة هذه المدينة ومن كل إنجازاتي.

نصل إلى طنجة حيث يتباهى والدي، في هذه السنة ١٩٦١، بعدة ألقاب مشرفة: الشخصية الثانية للمدينة في التسلسل الإداري، كبير أطباء إقليم طنجة، مدير مكتب النظافة وطبيب أول للوقاية. ومع ذلك، فإن موظفي الجمارك وضباط الشرطة، الذين يسارعون دائمًا إلى لعق حذائه حتى ذلك الحين، يتبنون سلوكًا مختلفًا تمامًا. لا نظرة ودية ولا علامة احترام ولا شيء. على العكس من ذلك، يقولون له إنه هو الوحيد الذي يمكنه مغادرة الأراضي المغربية، ويجب أن تبقى عائلته في المغرب بأمر من الملك الحسن الثاني.

من الواضح أن والدي يفهم السبب. بعد أن شهدت دون قصد الابتزاز الذي كان يهدف إلى اغتيال محمد

الخامس، لدي أيضًا فكرة حول هـذا الموضـوع. لكن والـدتي وأخواي بكوا بمرارة عنـدما أعادنـا والـدي جميعًـا إلى المـنزل الـذي كنـا نحتفـظ بـه لحسـن الحـظ. في محاولـة لتهدئـة غضب والدتي، وعد والدي بحل هذه المسألة بسرعة كبـيرة بفضـل صـديقه الجـنرال غيـوم[6]، رئيس أركـان الجيـوش الفرنسية، المقرب من الجنرال ديغول. سيقول بضع كلمات عن ذلك بمجـرد وصـوله إلى فرنسـا... للتخفيـف من خيبـة أمل شقيقي، يقول إنه سيغادر لبضـعة أيـام فقـط ويقسـم أنه لن يتخلى عنا أبدًا.

تتحول الأيام إلى أشهر، ونبقى على اتصال هاتفيـا مع والدي.

ننتظر تصريحا افتراضـيا لمغـادرة الـتراب المغـربي، لكن لا شيء يأتي.

والدتي، بفارغ الصبر، تطلب مقابلـة الملـك الحسـن الثاني.

---

6 -le général Guillaume

ثم تنزل علي دماغي أسئلة كثيرة. هل والدي سمح فينا وذهب الى فرنسا؟ هل وجد أو ينوي تكوين عائلة أخرى في فرنسا؟ إنه يحبنا، أنا متأكد من ذلك. وهو يحبني أيضًا، على الرغم من مزاجي الحار. على الرغم من أنه خلال طفولتي الفوضوية، نشأت رابطة غامضة بيننا، إلا أنه كان يعتني بي دائمًا. كان يدافع عني دائمًا عندما تضربني والدتي على رأسي بكعب خنجر أو تضربني بكعب ركوب الخيل لمعاقبتي. وفوق كل شيء، كان يسمح لي دائمًا أن أفعل ما أعتقد أنه جيد... على عكس والدتي، التي فوضت إليها تعليم أطفالها والتي لم توفر لي أي شيء بينما كانت تلاحظ مدى عدم جدوى العقاب البدني معي. الكبرياء وحدها هي التي أملت كل تصرفاتي، الأسوأ منها والأفضل... بهذه الطريقة حصلت على تعليم ممتاز، على الرغم من حياتي الفاسدة وقلة النوم والإرهاق الجسدي. لقد تمكنت ببراعة من اللحاق بالركب في نهاية العام من خلال تصنيفي دائمًا بين الثلاثة الأوائل في جميع المواد... غريب. على أية حال، لقد أثارت اهتمام والدي دائمًا.

أنا وإخوتي ممنوعون من مغادرة المغـرب، والطريقـة الوحيدة للذهاب أولاً إلى إسبانيا هي قارب التهـريب. تحت خطر التعرض لإطلاق النار من قبل خفر السـواحل المغـربي أو الإسباني أو البريطاني...

لا بأس ! رغبتي في معرفة نهاية القصة تفوق كـل شيء. عندما توليت دور رب الأسـرة في غيـاب والـدي، قمت بالاتصال بأحد أصدقائه، وأنا أعلم أنني أكثر شجاعة وقدرة من إخـوتي الآخـرين. "رينـاتو مونتالبـانو"، رجـل عصابات صقلية عن طريق التجارة، هو مهرب طنجة سـيئ السـمعة. يدير السجائر والويسكي.

وكـان سـعيدًا جـدًا بمسـاهمته في لم شـملي مـع والـدي، فقـد زودني بـأوراق مـزورة تشـير إلى أنـني كنت في الثامنـة عشـرة من عمـري وتصـريحًا أبويًـا بالـذهاب إلى إسبانيا. لقد أخرجني شخصـيا من المغـرب على متن قـارب سريع مهرب. لا يتـم السيطرة علينـا ولـو مـرة واحـدة، سـواء في البحـر أو على الأرض. وعنـدما أتفاجـأ يطمئنـني بـأن يوضح لي أنه أبلغ المصالح المعنية.

طنجة، إسبانيا، انفتح العـالم أمـامي في صـيف عـام ١٩٦٢.

أنـا أسـير على متن قطـار يغـادر من الجـيزيرس إلى مدريـد، والـذي يتوقـف بشـكل متكـرر كـل خمسـة عشـر كيلومترًا. في كـل محطـة تقريبًـا، تثقـل المـواكب الأجـواء بروائح وأصوات مؤلمـة: يصـعد النـاس بشـكل طـبيعي إلى العربـات ممسـكين بنهايـة الحبـال، أو حـتى على مسـافة ذراع، ماعز، وديوكة، ودجاج، وأغنام تتلوى. منزعجًـا من هـذا الزحـام والضـجيج، أسـرعت عـبر الممـر الضـيق وأدخـل المقصورة الأولى التي أجدها دون أن أطرق الباب. ثلاثـة من المتعصبين القـدامى الفرانكـويين يلقـون بنظـرات غاضـبة علي. أعتذر بلغة إسبانية مكسـورة: أعـذرني على إزعاجـك. أستطيع الجلوس؟

المتعصبون الذين يرتـدون ملابس سـوداء بالكامـل يحدقون بي وينظر إلي أحدهم يجيب بصوت أنفي:

نعم أيها الشاب. القطار للجميع..

وفجـأة ينفتح البـاب مـرة أخـرى، وأديـر رأسـي، مثـل الآخـرين، نحـو الوافـد الجديـد. ابتسـم لي راهب ذو بنيـة ضخمة، ووجه منتفخ مع ثآليل مشـعرة، ونظـرة متعجرفـة. يحمـل حقيبـة قمـاش متوسـطة الحجم للأمتعـة، ويحـرك جثتـه ذات البطن الكبـيرة في وسـطنا ليأخـذ مكانـه بجـوار المتعصب المبتهج. بهذه الطريقة هو أمامي، ورائحة عرقه تسيطر على المقصورة بأكملها.

لم أعـد أحتمـل هـذا المشـهد المـذهل والمثـير للاشـمئزاز، ألصـق أنفي بالنافـذة وأحـاول أن أنسـى هـذه الشخصية الدنيئة وجماعاته الغبية.

لقد أخرج للتو نقـانق الثـوم ويملأ فمـه بهـا أصـوات مص مبـالغ فيهـا. ربمـا يعتقـد أنـني لا آكـل لحم الخـنزير ويفعل ذلك لإذلالي بشدة؟

فجـأة، لم أعـد قـادرًا على الإمسـاك بنفسـي، قمت بتقويم رأسي وجذعي. أنظر إليه و أصفر:

ولكن يا لك من خـنزير! لا تـسـتطيع أن تـأكـل في أي مكان آخر؟ أنتـم نتن، أنت قذر ولا تعرف حـتى كيـف تـأكـل بـشكل صحيح!

توقــف الرجــل فجــأة عن المضــغ ورمقــني بنظــرة عدوانيــة، تحت أنظـار المتعصـبين الخـائفين والمـذعورين. يتدخل أحدهما:

أوه ! تــدنيس المقدسـات والتجـديف! كيـف تتكلم مع وكيل اللّه أيها الشاب!

أنا أحتج:

هذه الكومة الكبيرة من القرف، ممثل اللّه؟

يقف الراهب أيضًا منزعجًا. وهو ينبح :

عليك بالإعتذار أيها الشقي الصغير!

هـل سـأعتذر عن عـدم تحمـل تجشـؤك وأوسـاخك ورائحتك الكريهة؟ ابدأ بـاحترامي اولا، إذا كنت تريـد مـني أن أحـترمك!

يــدير الــراهب رأســه نحــو المتعصــبين المــذهولين، وكأنه يحاول معرفة ما يجب فعله. بعـد أن توقـف القطـار،

رأى ضـــابطي شـــرطة فرانكـــو، يمـــران أمـــام المقصـــورة. المتعصب الجالس بجواري أيضًا مسرور، ويتقدم وينقر على النافذة. تستدير الشرطة وتفتح مقصورتنا.

نعم ؟

اسمعوا أيها السادة، هـذا الشاب المسلم قـد أهـان للتو شخصياتنا البارزة ممثل الكنيسة! إنه أمر لا يطاق!

أخـــرج الـــرجلان اللـــذان يرتـــديان الـــزي العســـكري الهراوات واقتربا مني. أنا أبرر لنفسي:

لقد فعل كل شيء لاستفزازي! هو...

الصـمت! إذن كيـف تقلـل من احـترام رجـل دين؟ سوف تتبعنا ولن تثير ضجة!

وفي ظـل ضـحك الـراهب الغـني والتعبـير المنتصـر لمجموعاته، أتبع الشرطة. لقد لفقوا لي التهمـة واقتـادوني إلى مركـــز الشـــرطة، وتنـــاوبوا على ركـــل مـــؤخرتي. أنـــا لا أستسلم ولا أحـاول حـتى الفـرار، سـيكونون سـعداء جـدًا باستخدام أسلحتهم النارية ...

أعبر عتبة مركـز الشـرطة. إذا تم الـترحيب بي بـأذرع مفتوحة، فمن الأفضل أن أغلقهـا في وجهي. لقـد عـانيت من الضـرب المـبرح حيث انهـالت الضـربات لمـدة نصـف سـاعة، وبعـد ذلـك تم إعـادتي إلى القطـار، فاقـدًا للـوعي تقريبًا. ترنحت في ممر ضيق، ممنوع من دخول المقصورات لبقية الرحلة. يقطع القطار مسافة الخمسمائة كيلومـتر في حوالي خمس عشرة ساعة.

في القطار الفرنسي، أنام طوال الرحلـة في مقصـورة فارغة.

في الخارج، أتوجه مباشـرة إلى صـلب الموضـوع، إلى العنوان الذي أحمله في جيبي. يقيم والدي حاليًا مع صـديق طفولتـه القائـد كلـواز، الضـابط الـذي نفـذ تحت إشـرافه حملات التطعيم الأولى في المغـرب. لقـد تعلم والـدي منـه أساسيات البلاد، وكيفية مواجهة السـكان الأصـليين وأيضًـا كيفيـة التحايـل على طموحـات الفرنسـيين وتفـاهتهم ومكرهم.

عندما وصلت، كانت السيدة كلواز وحدها في المـنزل. إنهـا ترحب بي بحرارة وعاطفة.

إن اللقاء مع والدي مسني واثري في أعماق كياني. سعيدًا لأنني لم أره من قبل، أخذني إلى بـاريس حيث أراني بين الرجال، من برج إيفل إلى نوتردام.

في نهاية الوجبة اللذيذة، تنبض بالحيـاة مـع هـواء مرح. دعونا نتناول بعض الشمبانيا، علينا أن نحتفـل بهـذا اللقاء!

سـامحني، لم يعـد لـدي الصـبر لانتظـارك بعـد الآن اطرح كل الأسئلة التي تثقل كاهلي..

أســتطيع أن أفهم، كمــا تعلمــون. أتوقــع ذلــك. سأخبركم بـأي شـيء أشـعر أنـه مسموح لي أن أقولـه، وأنـا مدين لكم جميعا بذلك. أنا آسف لأن كل شيء حدث بهذه السرعة.

أحتاج أن أفهم الكثير يـا أبي. لقـد كنت خائفًـا جـدًا من أن أفقدك أيضًا.

أبداً يا ابني! وأكرر أنني لن أتخلى عنك أبدًا. لقد أخبرتك عندما غادرت، ألم تسمع ذلك؟ لكن لا أستطيع العودة الآن.

و لكن لماذا ؟

من المبكر جدا. إذا هربت، كان ذلك خوفًا من مزاج الحسن الثاني، ولحمايتي ولحمايتك أيضًا...

تخاف ؟ لماذا ؟

سأعود بضع سنوات إلى الوراء حتى تفهم. وفي عام ١٩٥٩، اتصل بي وزير الصحة الدكتور فرج. وحاء إلى المنزل في الثالثة صباحا برفقة اليد اليمنى لولي العهد الأمير مولاي الحسن. كنت حينها مديرًا للمراقبة الصحية على الحدود، ولم أعد الطبيب الرسمي لمحمد الخامس. ولم أعد أرغب في التورط في قصص الحريم، فقد كانت مؤامرات القصر لا تطاق بالنسبة لي.

- كنت مختبئا تحت طاولة غرفة المعيشة. ألم تكن هناك قصة حقيبة بها نقود؟

كـان لـدى والـدي ابـتسـامة طفيفـة مسـلية قبـل أن يأخذ تعبيرًا غير موافق.

هل كنت تتجسس علي؟

لا على الإطلاق يـا أبي. كـان لي لقـاء مـع صـديقتي وعندما نزلت كنت تفتح الباب للـترحيب بفـرج ورجـل ولي العهد. لم يكن لدي أي خيار سوى الاختباء تحت الطاولة.

لماذا لم تخبرني عن ذلك؟

بـالنسـبة لي، لم تكن هــذه القضــية تعنيــني ثم نسيتها. عادت ابتسامته للظهور، متضاعفة بكل فخر.

أنت حقا رجل عاقل! اعتقـدت أنـك لا تـزال صـغيرًا جدًا لأكشف لك كل شيء، لكنـني أعلم الآن أنـني أسـتطيع الوثوق بك. في تلك الليلة جـاؤوا لطلب مسـاعدتي بمبلـغ ثلاثــة ملايين درهم. لقـد طلب مــني التــأثير على الملــك محمـد الخـامس حـتى يوافـق على إجـراء عمليـة جراحيـة للحاجز الأنفي. هذه العملية، الـتي من الواضـح أنـه لم يكن بحاجة إليها، كانت قاتلة بالنسبة له.

- و لكن لماذا ؟

– لم يكن محمـد الخـامس فرانكـوفيلي . إذا كـان ليوتي قد عينـه كأفضـل هاعـل ممكن للمغـرب، في وقت المحمية، لقد أعمتُه مشاعره تجاهه. كان ليوتي مثليًا، وقد وقع في حب محمـد الخـامس رغم الفـارق الكبـير في السـن بينهمـا، دون أن يتجـاوز المرحلـة الأفلاطونيـة في هـذه العلاقة.

والدي لديه تعبير يضحك.

هل تعرف ماذا قالالماريشال بيتان عن ليوتي؟

لا.

لقد كان عدوه السياسي ولكنه أيضًا معجب بليـوتي. قال: هذا رجل جدير بالإعجاب، شجاع، كانت له على الدوام خصيتين في لمؤخرته، حتى عندما لم تكن له...! »

وبعد الضحك المشترك يتابع:

في الواقع، تبين أن محمد الخـامس كـان أقـل طاعـة بكثير ممـا كـان متوقعًـا مـع الفرنسيين. لقـد اضـطروا إلى نقلـه إلى مدغشـقر في عـام ١٩٥٣. ولم يكن سـوى الشـعب متعلقًا به ومخلصًا لـه، واضـطر الفرنسـيون إلى إعادتـه إلى

السلطة في عام ١٩٥٥. لقد كان مصدر إزعاج كبير ولم أرغب في المشاركة في هذه السياسة. لقد حظي محمد الخامس بثقتي وبقيت وفيا له. لقد كنا قريبين جدًا، حتى لو لم أعد أكن أنا المشرف على صحة الحريم أو المسؤول عنه. سبب رفضي للمال الذي عرض علي والخيانة التي رافقته.

لكنك أخبرتني أن أحد المخلصين بولي العهد كان مع الطبيب فرج؟ (الملك الحسن الثاني بعد ذلك) أراد قتل محمد الخامس والده؟

- سرًا، أراد الفرنسيون القضاء على محمد الخامس، ولكن أيضًا تأمين ولاء الحسن الثاني من خلال المساومة عليه، ومساعدته على اعتلاء العرش قبل الأوان. الحسن الثاني أراد السلطة، لكن لم يكن والده هو الذي أراد قتله...

- لا أفهم.

"سأخبرك بسر آخر. أنا أدرك أن كل هذه المعلومات بالنسبة لك سوف تهز رؤيتك للمغرب حيث كنا سعداء للغاية. لقد أخبرتك أننا بحاجة إلى ملك فرانكوفيلي، ،

وكان لدينا دائمًا وسيلة للضغط عليه. خلال منفي محمد الخامس في مدغشقر، من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٥، فرض الفرنسيون ملكا دمية، مولاي بن عرفة. كما شجعوا الكلاوي، باشا مراكش، المحب جدًا للفرنكوفونية، على إنشاء قوة أمازيغية في المغرب حتى تهيمن على العرب.

– الجلاوي حيث كنا نذهب غالبا في المساء؟

هو نفسه. هذه المناورة فشلت لأن العرب متحدون جداً خلف ملكهم في المنفى، تمكنوا من الحصول على عودة محمد الخامس. ولم يتمكن الجلاوي من تولي السيادة. وبتشجيع من الفرنسيين، قدم أجمل امرأة في قبيلته إلى الملك. هذه لالة عبلة بنت طاهر، أمازيغية، مثل الكلاوي. ولذلك فهو يحترم التقليد الذي يقضي بأن على الملك المغربي من أصل عربي أن يتزوج دائمًا امرأة من أصل أمازيغي. وكان للجلاوي بعض العزاء، إذ ضاجع للا عبلة وهي متزوجة من السلطان...

– أتذكر أن الناس كانوا يتحدثون عن ذلك في الأمسيات التي كنت تنظمها مع أمي. غالبًا ما كانت هذه

القصة تعود على شكل نكتة. وعندما شرب الكلاوي، كان يتفاخر به ويستمتع به أحيانًا.

- لديك حقاالأذان في كل مكان!

– لا، لكنني كنت في الصف الأول أعتني بالسجلات... سمعت كل شيء: كان على سيدي محمد بن يوسف، في ذلك الوقت، التأكد من نسله. بعد الزواج الأول للملك ولالة عبلة، نظم لها الفرنسيون إقامة في مستشفى مراكش. بحجة العلاج بعد إجراء فحوصات لآلام في المعدة، جعلوها تبقى عدة أيام كانت خلالها فترة التبويض. ونام الكلاوي سرا في سرير للا عبلة حتى حملت بالحملا قبل أن تعود إلى الملك. وبهذه الطريقة ضمن نفوذه على سيدي محمد بن يوسف. وبالتالي، كان الفرنسيون، بشكل غير مباشر، هم السبب وراء الولادة غير الشرعية لأمير الجديد: الملك المستقبلي الحسن الثاني! وقد مثّل هذا الأخير وسيلة واضحة للضغط على محمد الخامس، لأنه لم يكن ابنه الحقيقي، كما هو الحال على الكلاوي نفسه، لأنه كان متواطئا ومذنبا بارتكاب جريمة ثلاثية تتمثل في الخداع

والعظمة على التقاليد المغربية. على المدى الطويل، يمكن التشكيك في شرعية ابن محمد الخامس في أي وقت، وكان للفرنسيين تأثير على الملك الحسن الثاني. عند ولادة الأمير الحسن، أُمر ليوتي أن يعلن للملك أن هذا الطفل ليس له، بل ابن الكلاوي. وأنه كان عليه أن يلتزم الصمت إذا كان لا يريد أن تظهر هذه الحقيقة.

والدي لديه ابتسامة مسلية. وظمأنني:

أعرف هذا الهراء يا بني. الكلاوي هو صاحب الأمر والنهي، وهو هناك دائما ليضحك الحضور، بعد العشاء المسقي بالخمور . إنه يسعد بتغيير الواقع عندما يكون مخمورا ً وليس فقط فيما يتعلق بالملك. وتكثر الشائعات عنه..

ممكن. واستخدم الفرنسيون قصصه لإضعاف الملك، وجعله يعتقد أنها حقيقية وأنه في يوم من الأيام يمكن الكشف عن هذا السر، أليس كذلك؟

نعم. ويجب أن نصدق أن محمد الخامس ابتلع كل شيء منذ ذلك تلك السنوات تركنا وحدنا. ويبدو أن الحسن الثاني أيضًا.

ماذا ؟

كان يعتقد أنه ابن الجلاوي.

لماذا هذا ؟

لأنه عندما طلب منه الفرنسيون المساعدة في اغتيال محمد الخامس، بحجة أنه ليس والده الحقيقي، لم يتردد لحظة واحدة في ذلك...

ولكن لماذا تكلم فرج معك يا أبي؟

كنت مسؤولاً فرنسياً كبيراً. أنا مدين بالطاعة لبلدي. واجباتي ومعرفتي كلفتني ولم يكن لدي أي خيار. في القصر نفسه، كنت أبدي دائمًا أقصى قدر من الحذر، والموقف الأكثر تحفظًا، من أجل السماح للملك بالتخلي عن الأمر الذي لم يسمح به أي طرف آخر في حياته على الإطلاق. كان عليه أن يكون مع طبيبه بثقة مطلقة. ولهذا

السبب رفضت رفضًا قاطعًا، في عام ١٩٥٩، السماح لنفسي بالفساد.

عيون والدي غائمة بالحزن اللامتناهي.

لقد خدعوني يا ابني. لقد انتظروا بضعة أشهر: لحظة الحج المقدس إلى مكة. تتذكر ؟ كنت مديراً للصحة على الحدود. وبدون علمي، قاموا بتحميل عدد كبير من الركاب غير الشرعيين على متن قارب متجه إلى المدينة المقدسة. والغريب أن هذا القارب تابع لشركة الشحن الخاصة للحسن الثاني... ومن بين هؤلاء الركاب أدخلوا مرضى معديين نقلوا العدوى إلى الحجاج الآخرين. اندلع وباء أثناء المعبر وتم الإبلاغ عن عشرات الوفيات. لقد وقعت على الوثائق التي سمحت بمغادرة هذا القارب والتي تضمن الامتثال لمختلف لوائح السلامة والصحة. ثم كان الأمر بمثابة لعبة أطفال بالنسبة لهم عندما وعدوني بالإفلات من العقاب، وبسلامة عائلتي إذا وافقت في النهاية على إرادتهم. كان علي أن أنحني يا ابني. من أجلنا

كـل شـيء... أردت الاسـتقالة. ولم أعـد قـادراً على العيش بـدون فخر. منعني الدكتور فرج بالقوة. إذا عـدت إلى فرنسا في ذلـك الـوقت، فلن أفعـل سـوى جـذب الانتبـاه والإثـارة التعليقـات وإثـارة الشـكوك. يمكنـني فقـط تغيـير المـدن. ولهذا السبب انتقلنا إلى طنجة. لكن حتى في هذه المدينة لم أشعر بالأمان وقررت المغـادرة. لقـد كنت خائفًـا للغايـة من انتقام الحسن الثاني، الذي كان من الواضح أن مصلحته هي القضاء علي. هل تعلم لماذا أنا في باريس اليوم...

- ولكن لماذا لا نستطيع الإلتحاق بك؟

– الحسن الثاني يحتجز عائلتي كرهينة في المغرب لإجباري على التزام الصمت. أنا أمثل خطرًا كبيرًا عليه، نظرًا للملف الذي قمت بتجميعه.

– مـتى تعتقـد أن أمي وإخـوتي سـيتمكنون من الإلتحاق بنا هنا؟

- أبدا ! لقد هدد الحسـن الثـاني والـدتك: إذا غـادرت المغرب، وسيتم إعدام عائلتها بأكملها. وهو يمثل وسـيلة

ضغط من الملك علي، حتى لا أكشف عن النسخة الحقيقية لوفاة محمد الخامس.

والدي ينظر بتكتم حوله.

انتبه يا جيرارد! الآن بعد أن عرفت هذه الحقائق، فأنت تعرض نفسك لنفس الأخطار. أحتاج إلى وعدك بعدم خيانتي أبدًا، يجب أن تلتزم الصمت. أطلب منك جديًا: أن تتعهد لي.

- أقسم لك يا أبي. لن أخونك أبدا. سأعرف كيف أحافظ على سرك.

سنكون منفصلين دائمًا، إذا فهمت بشكل صحيح؟

– تحدثت مع الجنرال غيوم، رئيس أركان القوات المسلحة الفرنسية والجنرال ديغول. فرنسا مدينة لي بهذه المساعدة. سيتم إطلاق عريضة لجمع آلاف التوقيعات المغربية لمطالبة الحكومة الفرنسية بعودتي إلى المغرب. يجب على فرنسا أن تمنحني حمايتها بوضوح وعلى الملك أن يقبلها دون أن يتردد. هل ترى يا ابني سيبقى اسمنا ساطعاً.

– ماذا لو هاجمنا الملك رغم وعوده؟

– إذا حدث لنا أي شيء، كن مطمئنا، الملف الذي قدمته سوف ينفجر ويصعد إلىالسطح.

الصمت يسحقنا هذا الأب الذي لم يكن له أي إعتبار بنسبة لي من قبل، فجأة يصبح في نظري شخصية رواية تجسس. ظننت أنني أتحداه بشجاراتي، وتعاملاتي، وشؤوني الصغيرة الدنيئة. واليوم،فجأةً، يغمرني الاحترام اللامتناهي له. أتخيل الوحدة التي واجهها طوال هذه السنوات.

إن العودة إلى فرساي تمثل بالنسبة لي بداية إدراك حقيقي للوعي. أفهم أنني أصبحت شخصًا بالغًا. الحنين إلى وحدة الأسرة يثقل كاهلنا. عندما أعود، كيف يمكنني أن أشارك والدتي الحبيبة شدة هذه اللحظة التي لا تنسى؟

بدافع العاطفة اتصلنا بها دون تفكير. نحن بحاجة لسماع صوتها، لنشعر بحبها. وقد أدركنا خطأنا بعد ذلك مباشرة. تم استغلال الخطأ! الحسن الثاني، الذي اكتشف وجودي في باريس، يعرف الآن أنني أعرف.

سأعود إلى المغرب، مروراً بسبتة. أنا وحدي هذه المرة، ولتجنب مخاطر المناطق الجمركية المضطربة للغاية، أمر بها سرًا بين عشية وضحاها. في الحقيقة، أستعدت حريتي، وغرائزي الخبيثة، وحيل المهرب، ورغبتي في تحدي العالم.

إن العودة إلى المدرسة لإكمال دراستي أمر معقد بالنسبة لي، وهناك حالة واحدة تترك بصماتها: والدتي لديها عشاق. لم يعد زي والدي الجميل يثير إعجاب المرأة التي تزوجها عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها. ثقل الأسرار والصدمات المتتالية يزيدني عنفا أكثر.

الفصل الخامس

أشكرك أميليا من أعماق قلبي.

لقد علم والدي للتو بمحنتي من فم الممرضة. هو ينوي استخدام وظيفته المنسوبة إليه بعد تورطه في وفاة محمد الخامس، لإخراجي من هذا الجحيم. ولم يعد يفر من المغرب ومن السلطة القاسية للحسن الثاني، منذ أن وافقت فرنسا على حمايته. ولا يزال شخصية محل تقدير ومحترم في المستويات العليا في المغرب وخارجه، كونه خبيرا في منظمة الصحة العالمية. وسرعان ما اتخذ الترتيبات اللازمة وذهب إلى إسبانيا. وعندما ظهر أخيرًا في مركز الشرطة، رحب به محافظ الشرطة الذي يحمل شخصية آل كابوني بجو من الشك.

جئت للإبلاغ عن اختفاء ابني.

ما إسمه ؟

جيرار فوري.

لحظة. لا، ليس لدينا أي شيء عنه.

لقد فجأتني...

كيـف يفاجئـك ذلـك؟ اخــرج من هنــا ! يضـيف محافظ الشرطة بعنف، وإلا فلن أطيل في ركل مؤخرتك.

لا، سأبقى حتى تـرد لي ابـني. أعلم أنـه في السـجن في مالاغا. أما بالنسبة لركل مؤخرتي فـإنني أنصـح بعـدم القيام بذلك لأنني موظف دولي وخبـير في منظمـة الصـحة العالمية وطبيب خاص لجلالة ملك المغرب. وأود أن أضيف أنني أحمل وسـام التمـيز الإسـباني، الـذي منحـه لي فرانكـو نفسه...

عند هذه الكلمات أومأ محافظ الشرطة برأسـه سـلباً إلى مخاطبة رجاله الذين كانوا على وشك توقيف جان.

حسـنًا، سأتصـل وأبلـغ محافـظ الشـرطة عن طريـق أخـذ سماعة الهاتف: "إنـريكي، هـذا هـو خـافيير على الهـاتف. أخبرني، هل يمكنك الرجوع إلى سجل الـدخول وإخبـاري إذا وجدت اسم جيرار فوريا؟ » بعـد لحظـة قصـيرة: "لا؟ حسـنا شكرا. »

يبدو محافظ الشرطة راضيا:

هل سمعت ؟ لا يوجد جيرار فـوري في سـجن مالاغـا. حسنًا، الآن تفضل بالانصراف، لقد رأيت ما يكفي منك!

لم يصدق والدي أي كلمة مما قالها، فأخـذ الثـور من قرنيه كما يقال. يخرج صورة ويسلمها إلى محافظ الشرطة.

هـذا هـو ابـني جـيرار فـوري، لقـد سـجنته في سـجن مالاغا.

ينغرس محافظ الشـرطة بشـكل أعمـق إلى كرسـيه. ويلقي نظرة إصرار مع جان. يبدو أنـه يتسـاءل عمـا إذا كـان طبيعيا. وفجأة بدا مفتونًا بالوجه الموجود في الصورة.

في الواقع هذا الوجه يقـول لي شـيئًا مـا. إنـه يشـبه بائع "الكاستنات[7]" التقيت به في السوق...

أنا والده، لـذلك هـذا النـوع من النكتـة غـير مناسـب! أعلم أنك احتجزته في سجن مالاغا وإذا...

هيا، أخرج هذا الى الخارج قبل أن أغير رأيي!

---

7 -castagnettes : الة موسيقية اسبانية، مكونة من قطعتين مربوطتين بخيط تضع في اصابع اليد

يذهب جان إلى مدريد لرؤيـة الجـنرال فرانكـو، الـذي التقى بـه عـام ١٩٣٨ خلال الحـرب الأهليـة، قبـل عـام من توليه رئاسة الحكومة الإسبانية.

كـان جـان آنـذاك طـبيب برتبـة ملازم أول متمركـزًا على حـدود الصـحراء الفرنسـية المتاخمـة لحـدود الصـحراء الإسبانية، وهي حدود كانت خصوصياتها تفضل العلاقات بين شاغلي الموقعين المتعارضين: كانت الحدود الإسبانية داخل الأراضي الفرنسية والحدود الفرنسـية داخـل الأراضـي الإسـبانية. ونتيجـة لـذلك، ذهب الجنـود الفرنسـيون الموجودون في الموقع إلى فرنسا عـبر الأراضـي الإسـبانية، بينمـا ذهب الجنـود الإسـبان الموجـودون في الموقـع إلى إسبانيا عبر الأراضي الفرنسية. في بعض الأحيان، تم إنشاء روابط في حفلات البالي والأحداث الترفيهية بين الإسـبان والفرنسيين. كان جان وفرانكـو، وكلاهمـا مناهضـان بشـدة للشيوعية، قد نسجا أفكـارًا قويـة. والـتي تعـززت ذات يـوم عنـدما تمركـز فرانكـو في الصـحراء الإسـبانية في معركـة

إيبر[8]، حيث قاتل الجمهوريين، الذين أرادوا عبور هذا الجـزء من المغـرب بـرا والعـودة إلى إسـبانيا مـع قواتـه المغربيـة، المغاربـة والمور، أو الجنود التقليديين.

وكان جان، الذي كان يقود القوات الفرنسـية آنـذاك، قد تلقى أوامـر صـريحة بعـدم السـماح لهم بـالمرور. لكنـه مضــى وســمح لفرانكــو بــالعودة إلى بلاده، مؤكــدا أنــه سيتظاهر بأنه لم يتلق الأمر.

وعندما تولى فرانكو السلطة بعد بضعة أشـهر، منح وسام لجان.

في ذلك اليوم، اكتشف والدي فرانكو متعبًا ويعاني من مرض باركنسون، كما سمع. يسـعد الرجـل برؤيتـه مـرة أخـرى ويعانقـه عناقًـا دافئًـا، رغم أن إيماءاتـه أبطـأ وأقـل عفوية، إلا أن وجهـه يظـل جامـدًا. لقـد تغـير نهجـه أيضـا. يأخذ خطوات أصغر، وتجر قدميـه قليلاً على الأرض. يعطي أحياناً انطباعاً بـالتجمـد لبضـع ثـوان قبـل القيـام بـالحركـة. وعندما عاد للجلوس، لاحظ جـان أنـه يبـذل جهـدًا حـتى لا

---

8 -la baraille de l’Èbre: وهي معركة بين الجمهوريين المغاربة ضد فرنسا واسبانيا

يظل متكئًا إلى الأمام. وبينما كان يشرح له الوضع، رأى ذراعه اليسرى المستريحة تعاني من هزات طفيفة.

يؤدي التعاطف بين الرجلين إلى رد الفعل مأمول: يقوم فرانكو على الفور بإحضار سيمانكاس، رئيس الشرطة الإسبانية، إلى مكتبه. يقف في استعداد وينتظر التعليمات أمام الرجلين.

لذلك سوف تحل هذه المشكلة على الفور جنبًا إلى جنب مع السيد فوري! أريد إطلاق سراح ابن صديقي في أسرع وقت ممكن. أريد أن أعرف سبب وجوده في السجن ومن الذي وضعه هناك! نفذ الأمر !

عندما يغادر جان مكتب فرانكو مع مدير الشرطة الإسبانية، يلتقي بأحد أفضل أصدقائه، دون ليساردو فوينتيس، نائب إسباني. في الوقت الذي كانت فيه طنجة مدينة دولية يسيطر عليها الإسبان، كان دون ليساردو فوينتيس يشغل منصب المدعي العام. ثلاث مرات في الأسبوع كان يخرج هو وزوجته مع جان وزوجته.

جان! ماذا جرى ؟

لقد تم حبس ابني في سجن مالاغا لمـدة أسـبوعين، لكن محافظ الشرطة الـذي وسـجنه هنـاك لا يريـد التعـرف عليه ويريـد مـني أن أصـدق أنـه لا يعرفـه. بالمناسـبة، لقـد عاملني كالكلب...

ليساردو يستغرب.

أعتقد أنك راجع في الحال إلى هناك . سأرافقك.

يسـافر الرجـال الثلاثـة إلى مالاغـا بالطـائرة، ثم ويواصـلون عـبر السـيارة إلى توريمولينـوس، إلى مركـز الشرطة، على بعد حوالي خمسة عشر كيلومترًا.

عندما يظهر جون أمامه مرة أخرى، يكون دو ليساردو إلى جانبه، لكن سيمانكاس ليس بعد. يتبادل بضع كلمات مع ضـابط شـرطة في الممـر دون أن يلفت انتبـاه الـرجلين الآخـرين المتلهفين للتـدخل. يتحـول وجـه محافـظ الشـرطة إلى اللون القرمزي ويخاطب جان:

ماذا تفعل هنا؟ قلت لك أن تخرج من هنا! انا ذاهب لحبسك!

كان رد فعل دوليساردو غاضبًا على الفور: هـا أرى أن صديقي لم يكـذب علي! أنت تعاملـه مثـل كلب، ولكن من تظن نفسك؟ أنت شخص حقير!

وأنت، من أنت؟ يرد محافظ الشرطة دون أن يهدأ.

يخــرج دو ليســاردو بطاقــة النــائب ويضــعها في وجهه.

هنا من أنا!

فجــأة يتحــول لــون محافــظ الشــرطة إلى اللــون الشـاحب ويقـف وينشـر وجهـه يديـه كمـا لـو كـان لتـبرير نفسه. يتلعثم:

اعذرني. عفواً سيدي، أنا آسف...

لا، لقد فات الأوان للاعتـذار! لقـد سـمعت كـل شـيء ورأيت كيـف تعامـل السـيد. الآن سـتخرج لي ابنـه الآن! في غضـون نصـف سـاعة يجب إطلاق سـراحه من السـجن. وإلا فإن حياتـك المهنيـة سـتدمر وسأرسـلك إلى السـجن بـدلاً منه!

نعم نعم. سأفعل كل شيء من أجل ذلك. لا تقلق واعذرني مرة أخرى. أنا فقط أنفذ الأوامر، كما تعلم...

لضيق الوقت، لم يحاول جان ودو ليساردو معرفة المزيد. يمسك محافظ الشرطة بجهاز الاستقبال دون أن ينظر إلى محاوريه بعد الآن.

عندما أغلق الهاتف، شعر المحافظ ببريق من الارتياح وهو ينظر إلى محاوريه. لكن دو ليساردو يعيده إلى أحاسيس أكثر موضوعية:

حسناَ الان ؟ كل ما فعلته، وكل ما طرزته على جيرار فوريه، سوف تقوم بتمزيقه الآن، هنا، أمامي. بسرعة !

يقوم محافظ الشرطة بسحب ملف من درج مكتبه فيه تظهر الوثائق التي تورطني في تهريب المخدرات. وبعد أن أظهرها كدليل للمحاورين، قام بتمزيقها جميعًا.

والآن اشرح لي الآن ما الذي يحدث! ولا تنسى أي شيء، وإلا ستواجه مشاكل خطيرة، أنا أحذرك!

انظر، أنا فقط أتبع الأوامر. كل شيء يأتي من الأعلى، ولا أعرف أي شيء أكثر من ذلك. أقسم بشرفي !

ممن تأتي هذه الأوامر؟

السيد جاريدو ، قاضي التحقيق الذي يتولى هذه القضية.

ولكن هذا هو...

فجأة يتحول لون المشرف إلى اللون الشاحب وتتدلى كلماته في فمه. لقد ظهر سيمانكاس للتو ...

إذن، ممن تأتي هذه الأوامر؟ يكرر ليساردو بنبرة تهديد.

يحدق محافظ الشرطة في زاوية الغرفة ومن الواضح أنه يفعل كل شيء حتى لا يقابل أنظار سيمانكاس. لكن إحراجه لا يفلت من أحد.

ليساردو وجان يستجوبان قائد الشرطة بالريبة على وشك عدم الارتياح.

ليساردو يهدد محافظ الشرطة مرة أخرى:

تحدث أو أعدك بالأسوأ! ولا تخبرني بالأحلام لأنني سأعرف مهما حدث!

محافظ الشرطة بنبرة حزينة:

لكنــني أخــاطر بالأســوأ إذا تحــدثت! كــل شــيء معروف...

لا، سيبقى هذا التبـادل بيننـا وسـوف أتخـذ خطـوات لحمايتـك. ومن ناحيـة أخـرى، إذا لم تتحـدث على الفـور، فسوف آخذ المزيد...

الحاضــر هنــا، رئيس الشــرطة الإســبانية، الســيد سيمانكاس نفسه هـو الـذي أعطـاني الأمـر باعتقـال جـيرار فـوري والـذ انهـار محافـظ الشـرطة مشـيراً إلى سـيمانكاس بذقنه: هذا السيد ي أعطاني التعليمات بشأن سبب سجنه.

الفصل السادس

الحراس يغليون من الغضب. لقد تلقوا للتو محاضرة من قبل رئيسهم. لقد شجعهم الأخير حتى الآن، والآن يظهر سوء نية مذهل.

أتساءل هل تستحقون رواتبكم وهل تحويلهم الى مناطق أخرى لن يكون مفيدا لهم...! في كل الأحوال أنت أخرج السيد فوري من زنزانته على الفور، دلَّلني وأبقيه مستعدا لمغادرة المؤسسة! نفذ الأمر !

يصل جان ودو ليساردو، برفقة مدير الشرطة وسيمانكاس المرتبك والمضطرب، بشدة إلى المستوصف. عندما أرى السيد سيمانكاس، أشعر بالصدمة! لقد كان حاضرا في حفل الاستقبال الذي أقامته فاطمة أوفقير على شرفي، في فيلتها في ماربيا حيث قدمتني على أنني ابن عمها. لا يعرف دو ليساردو ما يجري بيني وبين رئيس الشرطة، لكنه يخاطبه بحزم:

الاستعجال لا يسمح لنا بعد بتوضيح كل هذا معك، سيد سيمانكاس، لكن ليس لديك أي أوهام بشأن نيتي...

والدي يتحدث بكلمات دافئة إلى أميليا في الغرفة الخلفية. أشكرها بحرارة بعد أن وصفت المشرفة في وجهها بالخاسر المسكين.

أنا وأبي نستمتع بهذا القاء الرصين والمؤثر.

لعدة أيام قدم لي أبي العلاج الفعال. لقد عدت للوقوف على قدمي وأشرح له أن هذا الفخ له علاقة بإخفاقاتي في المغرب. يأخذني مع دو ليساردو إلى قاضي التحقيق السيد غاريدو. القاضي يعتذر لنا. يؤكد لنا أنه مجرد مؤدي ويشرح لنا ما نعرفه بالفعل. يجب أن نتوجه إلى رئيس الشرطة الإسبانية السيد سيمانكاس.

في مواجهة التهديد اللفظي المباشر من قبل النائب لوقوع مشاكل خطيرة، يقوم القاضي بحذف جميع المستندات المتعلقة بهذه القضية.

مسلحين بهذه الاعترافات، نجد سيمانكاس.

دو ليساردو يهاجم:

إذن، ماهذه القصص؟ لقد أرسلت ابن أعز أصدقائي إلى السجن من أجل لا شيء!

سيمانكاس يحاول الحفاظ على رباطة جأشه:

اسمع، يبدو أن السيد جيرار فوري هو مهرب القنب الهندي...

ماذا اصابك؟ ولم يدخن حتى سيجارة قط! إنه ابن عائلة شريفة، لديه أعماله الخاصة، ويعمل بهدوء، والده غني. لا يحتاج إلى القيام بذلك.

دخل والدي في صلب الموضوع مباشرة:

ومن يقف حقا وراء كل هذا؟

يستخدم سمانكاس نبرة الثقة:

اسمع، لقد تلقيت طلبًا من الجنرال أوفقير. وبما أنه ابنك، فاعلم أنه من مصلحته أن يغادر إسبانيا. هذه القضية تتعلق بالسلطات العليا في المغرب ولقد لعبت اللعبة حتى لا أزيد الأمور سوءاً. لقد أخطأت بالفعل، حيث اعتقدت أن هذا الأمر سيتم تسويته بسرعة كبيرة دون الحاجة إلى إبلاغ رؤسائي. وكان لا بد من تسليمه..

ليساردو يفقد أعصابه:

هـل تعلم مـا الـذي يمكن أن يسـببه تورطـك في مخططك الصغير مـع الجـنرال أوفقـير؟ حادثـة دبلوماسـية بين إسبانيا والمغرب! الأمر متروك لك أن تخبر فرانكو بكل شيء قبل أن أفعل... أعتبره تساهلاً من جهتـي...

السيد سيمانكاس نظر الي بنظرة متعاطفة وجبانة:

لا تتأخر في مغادرة البلاد، وقبـل كـل شـيء، لا تثـق بـأي شـخص أينمـا ذهبت. سـوف يحـرك أوفقـير السـماء والأرض للعثور عليك، ويطلق إشعارات المطلـوبين في كـل مكان ولن يبخل بأي وسيلة من أجلك

الفصل السابع

مـرة أخـرى يجب أن أهـرب. لقـد أنقـذ والـدي ودو ليساردو حياتي وينتظران متابعة ذكيـة. أطيعهم بمحاولـة بيـع المحـل، ولكن منـذ عـدة أيـام أحـاول بيعـه ولكن دون جدوى. أخي الذي أثق به كل الثقة بين رغبته في شراءه:

أنـا، جـيرارد، ليس لـدي مشـكلة في ذلـك. أنـا آخـذ المتجر بالكامل، ونقوم بإجراءات الـبيع بالشـكل الصـحيح، ويمكنـك المغـادرة بسـلام. وسـوف نسـتمر في العمـل وسأضمن الحفاظ على العائد، وتطويره.

سـيكون باسـمك، لـذلك لن أخسـر شـيئًا ولن يكـون لديك أي مشكلة. شريكي باع لي أسهمها.

أنـا أفهم أن حياتـك في خطـر هنـا، ولكن إلى مـتى سـوف تنسى؟

طالما أن الراعي الرئيسي لأسرتي على قيد الحياة.

ومن سوء حظك أن الجنرال أوفقير في حالة جيدة...

أينما ذهبت، سـوف يطـاردني رجـال الجـنرال ولن يـوقفهم أحد.

*

* *

كيف حالك يا جيرارد؟

على شـرفة المقهى الـذي أجلس فيـه في صـمت، بـالقرب من منزلي في توريمولينوس، تقترب مـني جـارتي، وكعادتها تشع بالجمال، إمرأة نحيلة ذات شعر بني طويـل أملس، وملامح جميلة، إنها إمرأة أنيقة.

لا بـأس، الأمـر على مـا يـرام، يـا سـاندرين، أجلسـي، تريد شرب أي شيء.

تجلس قبـــالتي، ولا تتوقـــف عن التحـــديق في، وعليها تبدو الحيرة.

إنني أرى، إذا سمحت لي، بأنك لسـت على مـايرام يـا جيرارد. ماذا وقع لك؟

المخـاوف الـتي لا أريـد أن اواجهـك بهـا. لابـأس، لا تقلقي.

جيرارد، هل نسيت ما قاله لك بعلي؟ إنه يفكر فيك بشدة ويشعر بالامتنان لما فعلته من أجلي. إذا كان هناك أي شيء يزعجك، فهو هنا لمساعدك.

أعلم، لقد تأثرت، ولكنني لا أريد أن أورطه في قضية قذرة...

يبدو على ساندرين حالة ثوران.

هل تقصد بأن بعلي هو فتى الكنيسة؟

ارسل نظرة ودية لهذه المرأة التي تحاول أن تجعلني أبتسم، اعيد في ذهني ذلك الهجوم الذي تعرضت له ساندرين، والذي جعلني انقذها، مما أكسبني إصرارها على مساعدتي.

*

**

كانت السماء تلك الليلة مرصعة بالنجوم، بوضوح غير عادي، عندما غادرت منزلي ذاهبا الى الملهى. ولكي أخذ سيارتي، علي قطع متاهات خرسانية مهجورة. فجأة

رأيت حركـة غـير عاديـة على يسـاري، على بعـد عشـرات الأمتار. أتعرف على جارتي بفستانها الزهري الجميل، وهي تصارع مـع العديـد من الرجـال. هنالـك ثلاثـة منهم واحـد دفعها الى الركن. أركض حوالي خمسين مـترا. عنـدما رأيت أن أحـد المهـاجمين يحمـل خنجـر تقليم الأشـجار في يـده اليمنى أناديه.

في كثـير من الأحيـان، وفي مواجهـة العنـف داخـل وحول حانة الشمبانيا التي كنت أملكها في توريمولينـوس. بسرعة أقوم بسحب السكين من جيبي بيدي ا ليمنى.

الرجـل الطويـل والنحيـف، يسـتدير فجـأة ويقـترب مـني، يحـدق بي شـركاؤه لبضـع ثـوان ثم يعـودون إلى عملهم، كما لو كانوا يعتقدون أن صديقهم سـيكون قـادرا على التخلص مني بدون صعوبة.

يقـترب مـنى بقفـزة، ويطلـق صـفيرا في الهـواء بتمريـرة من خنجـر تقليم الأشـجار الـذي يحملـه، ليس لـدي الـوقت لتفاديـه، فـوجئت بسـرعته، وفي اللحظـة الأخـيرة، وضعت ذراعي فوقـه، بالكـاد أعقت ذراعـه. يـتراجع سـريعا

ويتنحى جانبًا. قفزت بدوري، وشفرة سكيني تتجه نحو الأمام عند مستوى قلبه، بركلة، أسقط سلاحي.

أمسكت بمعصمه الأيمن ممسكًا خنجره بكلتا يدي، وحاولت أرجحة جسده. لم أرى قبضته اليمنى التي تضرب بعنف بين لوحي كتفي. تحت الاوجاع والالم أقف، أنفاسي مسدودة، فينتهز الفرصة ليرمي ركبته اليمنى على فخذي الأيسر, لقد أصبت بالشلل، وسقطت الى الخلف وانشرح على الأرض، الضربة كانت قاضية !

ينفخ في صدره، وينتظر أن أستيقظ ويرني خنجر تقليم الاشجار الذي عنده.

هل هذا ماتريد؟

يغلق الخنجر حيث تعود الشفرات الى مكانها.

أنظر. أنا أضعه جانبا. أنا لا أحتاج إليه لضربك. سأعلمك التدخل فيما لا يعنيك !

لقد وقفت على قدمي مرة أخرى، وقبضتي متجهة نحو الأمام. يلجأ المعتدي الى مساعديه عندما يسمع صراخ

الضحية، يمسكونها من ذراعيها ويبدأ أحدهم في وضع يديه تحت فستانها.

إبقيها هائئة. قالت إنها سوف تثير الحي !

يضع الثاني كفه على فمها، لكنها تكافع وتمكنت من تحرير ذراعها وتخدش وجه الأخر بيدها المتحركتين، حيث يصرخ عليها ويهينها وهو يحاول صفعها. ثم ترمي بذراعيها في كل الاتجاهات.

يعود الشخص ذو الخنجر الى موقع القتال وهو يضحك. لقد سمحت لي لفتته بالاقتراب السريع وبكل قوتي ضربته بقبضتي اليمنى. وبسرعة يحرك جذعه للخلف دون حتى أن يحرك قدميه. بينما ينظر إلى بنظرة مسلية. أعجبت بسرعة مراوغته وخشيت من هجوم مضاد. تراجعت خطوة إلى الوراء. أنا غاضب وهو يتفاخر، يدور حولي، ويرقص على ساقيه بشكل عرضي مثل الملاكم، يندفع ويخدع ثم يعود الى الهجوم، ويتظاهر بالضرب. ويضحك عندما يراني مضطربا وأضرب في الهواء، الى اليسار بينما هو بالفعل الى اليمين.

فجأت عضبت، واندفعت نحـوه محـاولا الإمسـاك بـه وجها لوجه. لقـد أتخـذ للتـو خطـوة جانبيـة، وقـام بتـدوير الحوض وصـفعني على كـل خـد، بينمـا كنت غـير متـوازن، إذلال تام ، اقسط مرة ثانية!

أحـاول النهـوض، وأنفي يـنزف، وعنـدما يقـول لي نهايـة النكتـة.

حسـنا إذهب ! لقـد أضـعت مـا يكفي من الـوقت معك، يا جبان !

وبدون مزيد من التظاهر، يتكئ على ساقه اليسـرى ويوشك أن يطلق يمينه في اتجاه وجهي. ذراعي مسـتلقية على الأرض في وضعية القرفصاء، لدى خيـارات قليلـة جـدا ولكنني أحاول بقوة الياس. أنـدفعت للأمـام عنـدما خـرجت ساقه اليمنى ودفعت قبضتي اليمـنى للأمـام لتنغـرس في أعضائه التناسلية، ورجله لا تزال في الهواء ولم تكمل بعـد دائرتهـا. اهـتز جسـده بالكامـل وهـو يعـترف بالضـربه، ويصرخ بصـوت مكتـوم وعينـاه تتراجعـان الى الخلـف. من جهـتي أسـقط على كتفي دون ألم. أسـتيقظ وأقـف أمامـه

وهو مطـوي على الأرض، ووجهـه أحمـر من الاختـنـاق، وهـو يلتوي من الألم الشـديد. أريـد القضـاء عليـه بـالركلات لكن أتوقف عن ذلك، وأقترب من المهاجمين الأخرين.

تمكن أحـــدهم من التغلب على جـــارتي، وبأحـــدى ذراعيه المطويتين يمسك ذراعيهـا وباليـد الأخـرى يضـغط على فمها، ويحاول شريكه خلع فستانها بصعوبة، وهي لا تزال تكافح.

سعيًا لزعزعـة اسـتقرارهم، أسـتفزهم، هـل تريـدون يد العون أيها الأصدقاء؟

الأهم أن تتكئ الضـــحية على من خلفهـــا وتـــدفع قدمها اليسرى إلى الأمام، تضـرب بطنـه وينحـنى الشـخص من الألم.

كان المهاجم الثـاني غـير متـوازن قليلا بسـبب وزن جسد الضحية، فارتخى ضغط يده على فم الجـارة، وبحركـة عضـب، حـركت رأسـها وأمسـكت بأسـنانها أحـد أصـابعه فعضتها بكل قوتها !

ودون أن أضيع ثانية واحدة، ركلت المهاجم المصاب في بطنه. وضربة على أنفه. سقط وظل فاقدا للوعي. التفت بسرعة نحو أخر مهاجم واقف عندما سمعت صرحتين مختلطتين، واحدة قادمة منه بسبب إصبعه الذي ينزف والأخرى قادمة من الضحية التي ضربها للتو بمرفقه في أنفها. صرت على أسنانها ووضعت وجهها بين يديها, وتركت الشخص يلكمني في وجهي، حيث تهربت منها بصعوبة وأرد بضربة في الركبة يصدها بمرفقه. بنفس الزخم اعود خطوة نحو الوراء وأنرجع الى موقع القتال، وبعد تردد يندفع ويهرب.

أساعد جارتي على الوقوف، تستعيد حواسها وتعدل ملابسها. وفجأة، عندما رأت الشخص دو الخصيتين المصابتين يحاول النهوض. استمتعت لنفسها بالمتعة الأخيرة، وغرست قدمها بكل قوتها بالخصيتين المتورمتين، يوسع الشخص عينيه وفمه من الألم، ويصدر صوت حزين ويلتوي مرة أخرى على الأرض.

أوقــف جــارتي من الضــرب، وأخــذها بلطــف من الكتفين، واقتح عليها

لا تبقي هنا، إذهبي الى المنزل الآن.

وجهها متوتر وهي تحرك رأسها

شكرا لأنك انقت حياتي !

ركضت لاهتة إلى مدخل المبنى الذي تعيش فيه.

بعـد ثلاثـة أيـام، عنـدما أغـادر مـنزلي، أواجـه هـذه الجارة وجها لوجه، ونحي بعضنا البعض، بينما يخـرج رجـل من سيارة كاديلاك بيضاء رائعة مكشوفة وداخلهـا مقاعـد من الجلد العنابي، يمشـي نحوهـا وهم يحتضـنوا بعضـهم البعض بحنان، والرجل يرتـدي ملابس أنيقـة. يراقبـني من الـرأس إلى القـدمين دون عـداوة، وفجـأة ارتسـمت عليـه إبتسـامة مشـرفة ونظرتـه تلاحقـني بقـوة وهـو يقـول ، اسمعي ساندرين، أخبرتني بكل شيء، دعنا نـذهب لتنـاول مشروب معه..

لقد شعرت بـالحرج قليلا لتأجيـل موعـد ادراي. ومـع ذلك فأنا مهتم ،هذا الرجل يثير إهتمامي.

بكل سرور.

يمد لي يده فأصافحه بحرارة

إسمي بيار

سعدت بلقائك يا بيار، أنا جيرارد.

إسم لن أنساه أبدًا... مافعلته بالأمس من أجل شريكتي يدل على الشجاعة التي أشعر بحساسية شديدة تجاهها.

لقد كنت عادلا معها، وكنت بالفعل سيدًا. ولهذا السبب لديك صداقتي التي لا تتزعزع. اليوم لا نرى الكثير من الرجال أمثالك، لذا أعلم أنه إذا واجهتك في يوم من الأيام أي مشكلة، سأكون معك. سواء كانت مشكلة مالية أو أي شيء آخر. لدي الوسائل اللازمة لإيجاد الحلول وأنشطتي واسعة النطاق وتعطيني قدراً كبيرا.. لا تنسى ذلك، سأطلب منك خدمة واحدة فقط...

نعم؟

أنا لست دائما مع ساندرين لأسباب مهنيـة، ولا أريـد أن تتعـرض للإعتـداء مـرة أخـرى. أنـا أطلب منـك فقـط حمايتها في غيابي.

أعدك يا بيار، وليس لدي سوى كلمة واحدة.

يمكنك أن تكون جزءاً من فريقي، أنت الولاء وإتقان القتال...

حـتى لـو كنت لا أعـرف حـتى الآن عن أي فريـق تتحـدث. أشـعر بـالإطراء. على أيـة حـال، وبـالنظر إلى شخصيته وسلوكه، أظن أنه لا يتحدث عن فريق كرة القدم.

لقد عاد بيـار الى فرنسـا، عنـدما أخبرتـني سـاندرين المزيـد عن حبيبهـا. إنـه سـفاح سـيء السـمعة وذو مكانـة كبيرة, وهو أحد مؤسسي عصابة ليون. بيار بورات المعروف بإسم "الشيخ"، او "بيار لا شوراف" أو "باتريك" أو "دكتـور" بسبب ذوقن في الفن والملابس الأنيقة. ولـد بيـار في عـام ١٩٢٧ في سانت إتيان بفرنسـا. لقـد تخلت عنـه والدتـه في سـن مبكـرة جـدا، ثم تم وضـعه في رعايـة المسـاعدة

الاجتماعية. نشأ مع عـدة عـائلات فلاحيـة قبـل أن يقضـي عدة فترات في السجن.

بيار بورات رجل يمكن وصـفه بأنـه لص مـاهر الـذي يحب أن يتغــزل بالممنوعــات، وصــداقته لن تقــدر بثمن بالنسبة لي...

الفصل الثامن

في المساء الذي هرعت فيه لمساعدة ساندرين، عقدت اجتماعًا دون قصد مع إحدى النساء الأكثر أهمية في حياتي.

مثل كل مساء تقريبًا منذ أن استقرت في توريمولينوس، أقوم بزيارة صديق يدير نزلًا. يدير ملهى ليليًا، نادي مترو، الذي أحبه لزبائنه العصريين. يطل هذا النادي على مطعم إيطالي أذهب إليه عادةً، ويفتح مدخله على شرفة المطعم. كل ما علي فعله هو الجلوس على الطاولة حتى أتمكن، أثناء تناول الطعام، من متابعة كل ما يأتي ويذهب. بهذه الطريقة يمكنني بسهولة اختيار المرأة الأكثر قدرة على إضفاء الحيوية على ليلتي وملء عزلتي. عندما أكتشف واحدة، أقترب منها بأفضل ابتسامتي. لقد أصبح من الطقوس الثابتة.

إذا لم تنجح مهمتي الاستكشافية، أذهب إلى النادي وأشرب زجاجة من الويسكي.

حيـــاتي تتلخص في حاجـــة كبـــيرة: الجـــري وراء الحسناوات. أقضـي الليلـة معهم، وفي اليـوم التـالي، إذا لم يفهموا هم أنفسهم ضرورة الإنسحاب ومواصلة طـريقهم، أسـاعدهم بـالكثير من الملاحظـات الرجوليـة. حـتى الأكـثر ماسوشيًا ينتـهي بـهم الأمر بـالاستـسلام...

لقد كنت منزعجًا في ذلك المساء. لم تسفر سـاعات مراقبـتي عن أي شـيء في المطعم، لـذا ذهبت إلى النـادي على أمـل أن أحصـل على صـيد جيـد. ولم أحصـل على أي نتـائج، أستـسـلمت لمغـادرة المكـان. بـالقرب من المخـرج، بينما كنت أتجول على إيقاع الموسـيقى البريـة، اصـطدمت بي امرأة أنيقة وراقية بـالصدفة. لقد سكبت كأس الشمبانيا على بدلتي الفاخرة المصنوعة من جلد الغزال.

وبينما أتساءل إن لم يكن هذا ذريعة لجذب انتباهي كما تفعل بعض النساء أحياناً، إلا أنها تحاول التفلت، دون أن تعتذر أو حتى تتظاهر بالأسف على الحادثة.

غاضبًا، لحقت بها وأمسكت بذراعها بحركة سريعة. إنها تنظر الي بنظرة باردة، دون إظهار أدنى انفعال. للحظة وجيزة، أذهلني النبل المنبعث من شخصها، وبَقيتُ ساكناً. إنها جميلة جمالا عجيباً. وجمالها خفف من غضبي.

لدي انطباع بأن هذه المخلوقة الغامضة عمدت عمدا على الاصتدام بي، من أجل "الاتصال" بي. حتى ذلك الحين، تمكنت من تحديد وإدارة جميع النساء اللاتي التقيت بهن في هذه الظروف. لم ينجح أحد في جذب انتباهي أكثر من اللازم. وعلى الرغم من أنني أعرف الكثير منهم، إلا أن حدسي سمح لي بإحباط حيلهم. لتخمين طبيعتهم الحقيقية عندما قدموا أنفسهم تحت مظاهر كاذبة.

هنا، لم أعد أتعامل مع سائحة إسكندنافية، بل مع امرأة، إلى جانب هذا الجمال الذي يمنحها كل ثقتها، تظهر سلطة قادرة على جعل الرؤوس تنحني، حتى ذوي المستوى العالي.

أخاطبها

يبدو أنك في عجلة من أمرك يا سيدتي. هل لنا أن نعرف إلى أين أنت ذاهبة؟

للحصول على إجابة، نظرت إلي للحظة. ثم انتزعت ذراعها من حضني وصرخت:

آه حسنا ! ولكن لماذا تسألني هذا السؤال؟

سيدتي، أنا مجرد رجل أساء إليه قلة تربيتك، وأطلب تفسيراً في غياب الاعتذار.

ترد قائلة بغضب:

هل تريد أن أعطيك تفسيرا؟ أنا ؟ لكنك بالتأكيد لا تفتقر إلى الجرأة!

زادت حدة تعبيرها وصرخت بغضب:

لأنه على حد علمي أيها الشاب، في هذا البلد، وحتى إشعار آخر، أنا حرة في الذهاب إلى أي مكان أريد وأفعل ما أريد، دون الحاجة إلى الرد على أي شخص، وحتى أقل من ذلك على طفل صغير مثلك! من الواضح أنك لا تعرف مع من تتعامل..

أيًـــا كنت، فـــاعلم أنـــني لا أحب النـــبرة الـــتي تستخدمها...

الآن، إذا كنت تعتقـد أنـه يمكنـك إبهـاري بالألقـاب أو التهديدات، فأنت مخطئة! عندما أكون في مكاني الصح، فأنا عنيد.

تجيب برفع ذقنها بتحد وإصرار:

لأنك تتحدث عن القانون في المرقص! ومع امرأة أيضا! إذن الشهامة في كل هذا، هل تعرف ما هي على الأقل؟ أنت لا تهتم بما تشعر به النساء اللاتي تسيء معاملتهن، أليس كذلك؟ أوه، لكن لا تهتم بشرح نوع شخصيتك لي، فسلوكك وتعبيرات وجهك قد فعلت ذلك بالفعل.

على الرغم من أنني تلقيت كل هذه الانتقادات، إلا أن هذه المخلوقة اعجبتني كثيراً. عمرها الأكبر مني يزيد من إثارتي ويزيد من التحدي المتمثل في وجودها في سريري. لذلك أنا أهدأ وأنحني. أمسك بيدها بلطف وأقبلها علامة على الأدب والولاء.

سـيدتي، بالنسـبة لي، لقـد نسـيت هـذه القضـية المؤسفة. وإذا كان جمالك قد أكسبك العفـو، فـإن طيبتـك تبهـرني وتجعلـني عبـدك. من فضـلك لا تـذهب هكـذا. وافقي على تناول مشروب معي، حـتى أتمكن من تصـحيح خطأي.

لم آتي وحـــدي، أصـــدقائي ينتظرونـــني. إنهم حساسون للغايـة ولن يفشـلوا في رؤيـة قلـة المجاملـة في غيابي لفترة طويلة. لسوء الحظ يجب أن أتركك.

ترحل وتتركني مع خيبـة أملي وأنـا لا أزال ألتهمهـا بعيني. أعود إلى مكـاني المعتـاد لأفكـر في هزيمـتي. تمـر دقـائق طويلـة أراقب خلالهـا بشـكل آلي الراقصـين على الأرض. عندما أنظر نحو الغرفة مرة أخرى، أرى أن السيدة قد رتبت للجلوس في مواجهـتي. من وقت لآخـر تسـرق نظـرة في اتجاهي.

بعد أن استعدت ثقتي، ابتـسمت لها ورفعت كأسي وأجبرتهـا على فعـل الشـيء نفسـه. في بعض الأحيـان نتبـادل الابتسـامات المشـاغية والدافئـة. تصـبح نظـرات

واهنة، وحتى، أنا لا أحلم، قبلة تنفخها لي في راحة يـدها. اكتشف أحد أصـدقائها الجالسين قبالتهـا مـا يقـع بيننـا، يستدير نحوي.

محرجا من معرفتي، وقـف ويحـدق بي بشراسـة من ارتفاعه الذي يبلغ مـتر وتسعون سـنتمتر، . يمشي نحـوي، لكنـه يتجمـد في منتصـف الطريـق. يلتفت نحـو ضـيتهم ويقول:

عزيزي، هل تعلم أن الشاب الذي يمزح معك من وراء ظهري هو أحد المعارف!

السيدة الجميلة وعيناها تلمعان باهتمام:

هل أنت متأكد أيها المحافظ؟

بكل تأكيـد ! لقـد كـان أفضـل صـديق لأخي إدريس في المدرسة الداخلية بالرباط، في مدرسة ديكارت الثانوية على وجه الدقة. وكان والداه يقيمـان بعـد ذلـك في طنجـة ولا يتمكنان من زيارته في نهايـة كـل أسـبوع بسـبب بعـد المسـافة. حيث يقضـي كـل اسـبوعين اثـنين واحـد في

منزلي، في الدار البيضاء، عندما كنت عاملاً لهذه المدينة. بقدر ما أعرف، فهو صبي من عائلة جيدة جدا. لكن قبل كل شيء فهو رجل سعيد لا يفكر إلا في الاستمتاع ومطاردة الفتيات. إنه ليس نموذجًا للفضيلة، لكنه صحبة صالحة. مثل والده الذي كان لفترة طويلة طبيب الملك الراحل محمد الخامس والحريم والعائلة المالكة.

– حسنًا، إذا كان الأمر كذلك، فماذا تنتظر حتى ندعوه إلى طاولتنا؟

– أود أن أقدمه لكم، ولكن مع التوصية به لكم ، حتى الحذر. إنه مُغوٍ هائل يجب الحذر منه. ومن ناحية أخرى، فهو راقص جيد جدًا!

- حضرة المحافظ، يبدو أنك تقلل من شأني. أنت لا تصدق كل شيء لا أعتقد حتى أن فتى في مثل عمره يمكن أن يغويني؟ وفوق كل شيء، بما أنك تعرفني، ألا تعتقد أنه هو الذي يجب أن يحذر مني؟

يقـتـرب مـني المحافـظ. يعـانقني بينمـا معـبراً عن فرحتـه لي بـالكثير من القبلات والربتـات على الظهـر. ثم يدعوني وهو يبتسم إلى طاولته ويؤكد لي بلهجة مرحة:

إنها السماء التي ترسلك لمساعدتي. أنـا وحـدي مـع ثلاث نساء أطلـق العنـان، هـل تفهم؟ وطـوال المسـاء كـان علي أن أكـافح من أجـل ذلـك يحـاولون إشـباع شـهيتهم للـرقص، ولكن دون جـدوى: فهم لا يكلـون. لم أعـد في العشرين من عمري. لذلك أنا أعـول عليـك أن تقـدم لي يـد المساعدة. حسنًا ؟

بـالطبع أتفـق معـك يـا عزيـزي محمـد! لقـد فعلت الكثير من أجلي عندما كنت طالبا في الربـاط...

أشار لي المحافظ بالجلوس بجانبها. بعـد العـروض المعتـادة، يدعوني إلى تناول الشمبانيا للاحتفـال بوصـولي والشرب من أجل صحتي.

بالكـاد شـربت بضـع رشـفات من الشـمبانيا عنـدما كانت لمرأة سمراء الجميلـة تخدشـني بفـارغ الصبر وتصـرخ وتسحبني من ذراعي:

قف على قدميك أيها الشاب، أطلب منك بعض الرقصات!

الأمر متروك لك لجعل النساء يرقصن، بعد أن انسحب راقصنا الرسمي...

تدير رأسها في اتجاه المحافظ، وتضيف بنبرة ساخرة: على أية حال، آمل أن تكون على مستوى المهمة وأن تظهر حماسًا ونشاطًا أكبر من محافظنا الشجاع والمخلص!

بعدما رقصنا حتى شعرنا بالإرهاق والعطش وتعرق صدغنا، جلسنا أخيرًا. بالكاد كان لدينا الوقت لإرواء عطشنا عندما بدأت أغنية بطيئة بطيئة. لحن حب لريتشارد أنتوني بعنوان أحبك، أعجبتني كلماته بشكل خاص.

أدعوها للرقص، وبعد بضع دقائق، انزعجت من كلامي، بدأت بالتوبيخ:

صديقي الشاب، أنت تزعجني برغبتك الشديدة في التحدث. أرقص ببطء من أجل التواصل وعدم تبادل الأسرار...

دون أن أقول كلمة واحدة، اتحمل الضربة. و أتظاهر لها أنني فهمت، فأستثمر بالكامل في الرقص، فخورًا ومدركًا أنني أحمل بين ذراعي أروع المخلوقات. على عكس عادتي، أتودد إليها ببطء ودقة.

ما السلوك! لأقول لك الحقيقة، أنا لا أقدر حقًا بقاءك بعيدًا عني بينما نرقص بشكل حميمي.

وهذا أمر محبط للغاية بالنسبة للمرأة التي تحتاج إلى الشعور بأنها مرغوبة. تأكد من أن علاقاتنا من الآن فصاعدا ستكون بلا تملق أو زخارف، بدءا بمناداتي "حاجة" على سبيل المثال. أقاربي يدعونني هكذا..

الحاجة هو لقب معين لأولئك الذين يستحقون ذلك من خلال الذهاب إلى مكة للحج ... لكنني ما زلت لا أعرف هويتها الحقيقية.

نظـرًا لعلامـات الاحـترام والتقـدير يقـدمهم كلا من المحافظ وزوجته ، فأنا أستنتج أنها امرأة عالية جدًا ، وهي جـزء من البرجوازيـة المغربيـة العليـا. أو امـرأة لهـا سـلطة، تنتمي إلى العائلـة المالكـة على سـبيل المثـال. أو حـتى زوجـة مسـؤول كبـير في الحكومـة المغربيـة ، أو سياسـي يعيش في محيط الأسرة الملكية الحاكمة.

هي زوجـة ، على أي حـال ، من خلال خـاتم الـزواج . ومن المفارقات أن هـذه التفاصيل تفـرض علي الحـذر، ولا تمنعـني من الرغبـة فيهـا. لقـد نسيت كـل الإحتياطـات، وضعت خدتي على خذها.

نحـو فمي ، انـزلقت شـفتيها وانتهت المطـاف بضغطها ضد شفتيا. وأنا تائه بعد هـذه العمليـة، ، بقيت وكـأنني مشـلول. أمـام قلـة رد فعلي ، تبتعـد قليلاً. وهي ترقص ، تقـوم بفحص وجهي كمـا لـو كـانت تقـرأ مـا هي روحي الغامضة. ثم تترك في حالة خيبة :

أنت تعرف أيها الرجل الشاب ، بالتأكيـد أنت فـتى وسيم. يجب أن تكون شجاعًا في أوقـات فراغـك وبالتأكيـد

راوي القصص الوردية. ربما تسخر من جميع النساء اللائي يستسلمن لجمالك وسحرك. لكن صدقني ، إذا كان كل هذا يمكن أن يجعلك ساحر النساء ، فأنت تفتقد في اعتقادي الى الاساسيات وهي الجُرأة ...

وجهي انهار بسبب هذه الملاحظة، أعض شفتي.

أليس ؟ سوف تعطيني أن المرء لا يحجب سيدة من خلال دفع تقدمها. وما لم تسعد بجعلني أنتظر ، فأنا لا أرى شيئًا يمكن أن يبرر قيادتك التعيسة. أنا لا أحملها ضدك. أعلم أن رجالًا مثلك يرغبون دائمًا في أخذ المبادرة في شؤون الحب ، لكنهم ينزلقون ويفقدون وسائلهم عندما يكون لديهم امرأة تحب أن تضع النغمة.

سيدتي ، أريد أن أكلك من قدميك الى رأسك. لكن هذه الأمسية، هو للراحة والاحترام. لقد قدمت لي من طرف المحافظ ، ولا تنسى ، وانا لدي معه صداقة خالصة واحترام عميق. لا أستطيع أن آخذ منك بعض القبلات ، لخطر التعرض للحبس. إذا لم يكن المحافظ هنا ، لكنت قد تصرفت بشكل مختلف تمامًا ...

–أريــد حقــا تصــديقك، وفي هــذه الحالــة كــوني مطمئنة: المحافظ صديق قديم، وصديق مقرب كـان دائمًـا يلــبي أغراضــي عن طيب خــاطر ويســاعدني في تحقيــق ميولي. لقد كان شريكًا في خياناتي لفـترة طويلـة، عنـدما لم يكن هو المخطط... وهذا المساء فعل كـل شـيء ليقربنـا من بعضنا البعض... سأترك الأمر لك للتفكير في الأمر.

بعد رقصات، جرفتـني حـرارة هـذا الشغف الـذي لم يعد بإمكاني إعاقته بينمـا تحيـط الحاجـة عنقي بـذراعيها النحيلـتين، أتركهـا. أضـمها بقـوة إلى قلـبي، أضغط فمي على فمها، أقبلها بحرارة. إنهـا تميـل رقبتهـا ببطء والـتي أرشها بقبلات حية. ثم، تنقلب، وتسلم نفسها لمـداعباتي العاطفيـة المتزايـدة، مـع رعشـة طويلـة. لكن إذا واصـلت مغازلتهــا كــالهمجي، دون الأخـــذ في الاعتبــار نظــرات الاستنكار من المحافظ والضيوف الآخرين، فسوف أتسـبب في تعقيــدات خطـيرة. كيــف يمكنــني الخـروج من هــذه الفوضى دون إهانة مشاعر السيدة؟

كما لو كان قد لاحظ إحراجي، أوقف الدي جي (DJ) سلسلة الأغاني البطيئة، وسمح لي بإمساك يدها وإعادتها إلى الطاولة.

شعرت بالفزع من التغيير المفاجئ في للوضع، البارد والمؤدب، ولم أقل شيئًا. نهض المحافظ وأشار إليَّ سرا بالإلتحاق إليه وذهب إلى المراحيض. أخذ الاتجاه المشار اليه. على طول الطريق يناديني بقلق، مختبئًا خلف عمود.

جيرارد، العلاقة التي بدأتها للتو مع ضيفتي تسبب لي الكثير من الحرج. أنت لا تتعامل مع امرأة عادية. إذا أصررت، فسوف تجول العالم قريبًا في جلد الهارب، أو ستنهي حياتك في مكان رهيب. زوجها رجل قاس وشديد الانتقام، معروف في المغرب بممارسته للعقاب والتعذيب...

ما اسمه ؟

آه لا ! أنا آسف حقًا يا جيرارد. لقد وعدت ضيفتي الا أكشـف عن اسـمه لأحـد. لكن اعلمي أن زوجهـا في هـذه اللحظة في المغرب شخصية قيادية في حاشية الملك..

وعلى أية حال، فإن موقـف هـذا السيد لا يبـدو أنـه يحرجه زوجة خارج نطاق القانون...

يا هـذا! أمـا عن سـلوكها فهي لا تهتم بهـا الوضـع الاجتماعي!

ضـــرب على كتفي بلطـــف، في محاولـــة أخـــيرة للإقناعي، وهمس مع التأكد من ألا يستمع إليه أحد:

هـذه المـرأة خطـيرة، هـل فهمت؟ بالنسـبة لـك، بالنسبة لي، بالنسـبة الجميـع ! إنهـا تتصـرف دائمًـا دون حــرج بشــأن الرجــال الــذين تســتمتع بالتبــاهي معهم. وتتجاهل سلامتهم، وتعريضهم لغضب زوجها. إنه يتابع تجوالهـا وحركتهـا عن قـرب من خلال جواسيسـه، وهي تعرف ذلك.

– ولكن إذا كنت تعرف كل هذا، لماذا قدمتها لي؟

– لأنه كان من المستحيل بالنسبة لي أن أفعل غير ذلك! لو لم أوافق على القيام بذلك لكانت غاضبة للغاية. وفي أول فرصة كانت ستجعلني أدفع الثمن غاليًا. هل فهمت ؟ بالإضافة إلى ذلك، لم أكن أعتقد حقًا أنها ستدفع الأمور إلى هذا الحد وبهذه السرعة. حسنًا، سأعود.

وحيدًا ومترددًا، بدأ العذاب يغزوني. أتساءل عما إذا لم أقع في الفخ الذي نصبه منذ البداية أشخاص يتشاجرون معي... كل شيء يأتي معًا بسرعة كبيرة ويجتمع معًا بشكل جيد جدًا. هل حضور المحافظ كانت صدفة؟ هل كان لقائي الحافل بالأحداث مع السيدة الجميلة محض صدفة أيضا؟ لماذا تسعى هذه المرأة من المستوى العالي إلى إقامة علاقة مع رجل يهوى مغازلة بنات الشاطئ ؟ في رأيي لا أمثل أي شيء مميز بالنسبة لهم.

في محاولة جاهدة للحفاظ على رباطة جأشي، عدت إلى مكاني.

قالت السيدة وهي ترى وجهي الخائب:

لا تبـدو بخـير يـا جـيرارد؟ ربمـا من كـثرة شـرب الشمبانيا؟

لا أعلم لماذا أدين بوعكتي يا سـيدتي، لكن يجب أن اعود إلى المرحاض.

كنت أمام المرحـاض عنـدما اقتحم رجلان ذو مظهـر شرير. لا أعيرها الكثير من الاهتمام، إلا عندما يكون أكبرها، رجل سمين ضخم، يتجـول في كـل زاويـة للتأكـد من عـدم وجود أي شخص آخـر هنـاك. زميلـه، رجـل قصـير، نحيـف، أصلع ذو أنف معقوف، يسد الباب الرئيسـي. ليسـت هنـاك حاجة لفهم أنهم موجودون هنا من أجلي.

اكمـل فحصـه للمكـان، ونظـر إليّ العملاق من أعلى قامتـه المهيبـة. وبجـو من الاسـتبداد، ونبرتـه التهديديـة القاسية والوحشية، يضرح:

الشرطة المغربية! هل يمكنني رؤية أوراقك؟

أغلق فتحة سروالي سريعًا، و أصرخ:

الشرطة ! والمغربية أيضا! ولكن ماذا تريد أن تقـول؟ هنا نحن في إسبانيا، في حال ما إذا نسيتم ذلك. وعلى حد

علمي أنه لا سلطة لكم في هذا البلد. وهل تعلمون أن هـذا موجهًا فقط للمغاربة، لكن أنا فرنسي.

للـرد على تأكيـداتك يـا سـيدي، اعلم أننـا شـرطة سياسـية. وأنـه بمـوجب الاتفـاق الـذي وقعـه المغـرب مـع إسبانيا، لدينا صلاحيات تتجاوز الحدود الإقليمية تسمح لنـا بمراقبـة وربمـا اعتقـال مواطنينـا المطلـوبين في بلـدنا، أو الذين هم في وضع غير قانوني في هذا البلد.

وما الذي يهمني في هذا من فضلك؟

يبتسم الصغير ويبدو أنه بدأ يفقد صبره. يصرخ:

مضحك جدا ! هذا يهمك لأنك مغربي!

وأكرر لك أنني فرنسي!

يتدخل العملاق:

لكن هل تعتبرنا أغبياء أم ماذا؟ بوجهك هـذا، هـل تجرؤ على التظاهر بأنك فرنسـي؟ وأنت، إذا لم تكن عربيـاً، فلا يمكنك إلا أن تكون يهودياً مغربياً، يـا صـغيري! ليسـت فرنسي على أي حال. إذن أنت تحت سلطتنا القضائية..

أنت مخطئ، أنا لست يهودياً ولا عربياً!

العملاق الذي يحتوي على غضب واضح:

اسمع، ليس علينا أن نفعل ذلك فحسب! أثبت لنا هويتك وأخبرنا بما تفعله في إسبانيا!

حسنًا، حسنًا، ولكن بشرط أن تعدني أنك ستتركني وشأني بعد ذلك. حسنًا ؟

حسنًا ! ولكن لا تحكي لنا كلام فارغ!

أظهر هويتي، ثم أسترج ثقتي:

فهل أنتم راضون الآن، أم أن هناك أي شيء آخر يمكنني القيام به من أجلكم؟

يمكنك التوقف عن اعتبارنا أغبياء، لأنك تسيء إلى نفسك بالقول إنه لا علاقة لك بسياسة بلدنا.

يخاطب زميله:

اللعنة، انظر فقط إلى هذا الرجل، إنه حقًا لا يخطئ استقم! هل تدرك ؟ يغازل زوجة رئيسنا طوال المساء وبعد ذلك يتفاجأ عندما يُطلب منه التوضيح. هذا الاحمق الصغير!

- الرئيس؟ لكن عن أي رئيس تتحدث؟

قال العملاق، بعد التشاور الصامت مع صديقه:

زوجة الجنرال أوفقير...

مـاذا ! أفقـير ! الجـنرال أوفقـير! كنتم جـادين ؟ انتم تتحدثون عن الرجل الذي يُقال إنه أقوى وأروع وأقسى رعايا صاحب الجلالة الحسن الثاني؟

تمامـا ! وأنـا مرتـاح جـدًا أنـك تعرفـه جيـدًا، وهـذا يجنبنا الاضطرار إلى التحدث معك عنه.

نحن لا نسـميه "الجلاد" بلا سـبب. وزيـر الداخليـة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية، أوفقير خلق مناخا من الرعب في المغرب. لقد كان مصدر إزعاج للجنرال ديغول خلال قضية بن بركة، لأنه اغتال الأخير.

ولا تعرف أنها زوجته!

مثـل أي شـخص آخـر، سـمعت عنـه، لكنـني لم أكن أعرف كيف يبدو.

أقل ما يمكننا قوله هو أنك الآن تعـرف كيـف يبـدو، طولا وعرضا وارتفاعا، أليس كذلك؟

الجميـع يعلم أن أوفقـير في المغـرب هـو الرجـل المسؤول عن المهام القذرة والغامضة. الجلاد المسؤول عن التجسـس على وقمـع ومعاقبـة المنشـقين والمتمـردين والمخـربين. وهـو المسـؤول عن التعـذيب والإعـدام. أحـاول إقناع أتباعه بالندم القسري.

جيد ! من الواضح أن الأخبار أزعجتك. لـذلك نريـد أن ننسـى هـذه الحلقـة ولا نفصـح عن أي شـيء. لكن حـذاري ! الآن بعد أن عرفت من هي رئيستنا، لن يحـق لـك بعـد الآن الحصول على ظروف مخففة إذا بـدأت في الـدوران حولهـا مرة أخرى!

هـذا جيـد ! لقـد فهمت الرسـالة. لا داعي لأن تـدلني على المخرج...

عقدت العزم على الهروب من رئيسـتهم إلى الأبـد، فتوجهت نحو مخرج النادي، متجـاوزًا المكـان الـذي تتواجـد فيـه مـع الضـيوف. لقـد جئت وجهـا لوجـه معهـا! جالسـة بـهدوء على الشرفة في نفس المكان الذي أجلس فيـه كـل

مساء لتصفية المداخل، وهي تراقب الخروج بينما تستمتع بالشربات.

وعندما رأتني تظاهرت بالدهشة وهتفت بلهجة ساخرة:

يا لها من مفاجأة جميلة! لم أتوقع رؤيتك هناك! ولكن إلى أين ذهبت يا صديقي الشاب، يبدو أنك مرهق؟ أوه، ولكن هل أنا غبية، ربما كنت تبحث عني، أليس كذلك؟ أم أنك كنت تهرب فقط...؟

اهرب أ،ا! ولكن هذا ليس أسلوبي على الإطلاق، يا عزيزتي! أنا كنت ابحث عنك، لإخبرك أن الاعمال تناديني، فقد حان الوقت لأتركك.

- الأعمال ! ما هذه الأعمال؟ الزوجية؟ أو ربما هذا كل شيء ببساطة واحدة من عشيقاتك تنتظرك في المنزل؟

- لا شيء من هذا القبيل. ليس لدي أي شخص في حياتي.

- دعونا نعترف. إذن أين ستذهب في هذا الوقت؟ على حد علمي، الأعمال تكون خلال النهار فقط.

- ربما أعمالك أنت تكون في النهار! أعمالي هي في الليل..

– وأي نوع من الأعمال هذا؟

- بكل بساطة ملهى نشرف عليه، أنا وأخي معًا.

- ملهى ! مع العاهرات؟ المدربات الإناث؟ طباخات بطيئة؟

- لا، راقصات الفلامنكو فقط. هل تمانع ؟

- ما يزعجني هو أنه عليك المغادرة لتعتني بالأمر الآن ! ألا يستطيع أخوك أن يفعل هذا بمفرده؟

- لا. عليك القيام بسجل النقد، ودفع رواتب الموظفين، والترتيب، وإغلاق الصندوق، فأنت لا تدرك ما هي الوظيفة. أنا هو المسير الأساسي.

- بالنسبة لي أيضًا أنت ضروري. لكن مهلاً، بما أن أخاك يعني لك الكثير، فلن أعيقك. قبل أن تغادر، فقط أخبرني بما شعرت به عندما تواصلت مع حراسي. أنا فضولية لمعرفة ذلك.

آه! أنت تعرفي عن حادثتي.

بالطبع أعرف عن ذلك. وهذه ليست المرة الأولى التي يحدث فيها هذا النوع من الخليط. وهذه ليست المرة الأولى التي يتصرف فيها رجل جبان أيضًا...

جبان! أنا ؟ لكن الرغبة في تجنب المشاكل مع زوج مثل زوجك ليس جبنًا! أفضل أن أقول إنها حكمة.

أولاً، كان من الممكن أن يخبرني شخص ما أنك زوجته، وكان بإمكاني الاختيار.

أنت على حق يا عزيزي، كل هذا خطأي. كان يجب أن أخبرك أنني متزوجة من ذلك الرجل. ولكن ماذا تتوقع، إذا فعلت ذلك في كل مرة أقابل فيها رجلاً يناسبني، فهناك فرصة ضئيلة لأن أتمكن من أسره والاحتفاظ به. أود أن أضيف لمعلوماتك أن وجودي هنا في إجازة بمباركة زوجي، الذي ينتهز الفرصة لإقامة العديد من العلاقات خارج نطاق الزواج مع عشيقاته المتعددات، لا أرى سببًا لعدم تمكني من رد مجاملته ...

توقفت للحظة لتستعيد رباطة جأشها. ثم أخذ الهواء مستغرقة، وهي تتمتم:

على أيـة حـال، لقـد أصـبحنا أنـا والجـنرال صـديقين حميمين مع مرور الـوقت، ولا نحتـفـظ إلا بعلاقـات المشـاعر والروح. وإذا كان الجنرال يتبعني لضمان سلامتي، فإن ذلك لم يبطئ أبدًا وتيرة مغامراتي الشجاعة. وإذا كـانت قصـيرة العمر، فهي في نظره مجرد مغامرات بلا عواقب.

إذا فهمت بـشكل صحيح، يصبح من الخطير أن أكون بـالقرب منك لأكثر من بضعة أيام متتـالية.

هـذا صـحيح تمامـا! ولكن لا تـنزعج، إذا كـان لـدينا علاقات جدية، سنحرص على إخفاء أنفسـنا. أنت تجـذبني، وبعيدًا عن هذا الانجذاب، أشعر بـشيء أعمق وغـير ملمـوس، مثل شعور جديد.

مهما فعلت، مهما قلت الآن، فـإنني أعـرض نفسـي لغضب الجنرال أو زوجتـه. لذا، حتى لو اضـطررت إلى فقـدان قضيبي، فمن الأفضل أن أستـخدمه بكثرة.

أقوم بـالتعويض:

حاجة، أريد أن أعتذر عن رغبتي في المغادرة. في الحقيقة، أشعر أيضًا بشيء مختلف مقارنة بانتصاراتي السابقة.

نعود إلى الأسفل دون أن نقول كلمة واحدة. في أسفل الدرج، أمسكت بيدي وقادتني إلى الطاولة. تحت النظرات الغاضبة من حراسها المذهولة ونظرات الحسود، طلبت زجاجة من أفضل الشمبانيا للاحتفال بلم شملنا.

لم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى نعود إلى ساحة الرقص، الذي أعلق فيه على النظرات الغيورة وغير الودية التي نتلقاها.

تجيب بانزعاج:

لكنني لا أهتم بهؤلاء الناس!

أقبلها هذه المرة بلا انقطاع، وأشعر أن نظرتها ترتعش فاجأة.

لقد كنت مخطئًا جدًا بشأنك، أيها الوغد الصغير!

وكنت سأفعل ذلك مرة أخرى طوال الليل يـا حاجـة.
لكن في الحقيقة لا أستطيع الهروب من التزاماتي. يجب أن أذهب لمساعدة أخي.

نعم هـذا كـل شـيء ! إذهب ! واعلم أنـك إن تخليت عني الآن فلا أعلم أنك ستجد رحمة في عيني غداً!...

لا أعرف إذا كان ذلك حضاً أم حقـدًا، لكن عنـدما أرى الحالة التي وصلت إليها، أحاول قبلة أخـيرة. إنهـا تـرفض. منزعجة، لقد تركتها تذهب أيضًا. أشكرها بأدب على هذه الأمسـية الرائعـة وأديـر كعـبي. أنـا لا أسـأل عن تفاصـيل الاتصال بها.

وبعد سـاعات قليلـة، بعـد انتهـاء مهـامي، تنـاولت بعض المشـروبات بين ذراعي امـرأة سـويدية التقيت بهـا في مؤسسة كانت لا تزال مفتوحة وغير صحية إلى حـد مـا. فجـأة شـخص مـا ينقـر على كتفي. في حالـة سـكر قليلاً، استدرت وعيني نصف مغلقة. الجنرالة!

لقـد قفـزت حرفيًـا، وأتـدافع مـع الشـقراء الشـابة. تنهض، وهي أيضًا ثملة، وتقف للخلف وتراقب المشهد.

ولكن مـــاذا تفعلي هنـــا؟ هـــذا ليس مكانـــا لامـــرأة من مستواك...

كنت ابحث عنـك. وبمـا أنـه تم إخبـاري أنـه المكـان الوحيـد المفتـوح في ذلـك الـوقت، كنت متأكـدًا من أنـني أستطيع العثور عليك هناك.

على أيـــة حـــال، أتمـــنى أنـــك أحضـــرت حراســـك الشخصيين. لكن هل تريدني الآن؟

إنهم ليسوا معي، لسبب وجيه هو أنني لست الحاجة لكن ابنتها مليكة. أعلم أننا نتشابه كثيرًا، لكن مـع ذلـك... طلبت مني والدتي أن أنقل إليك خالص اعتذاراتها.

لكن ما الذي يجب عليها أن تعتذر عنه؟

إنهـا تعـترف بأنهـا تفتقـر إلى اللباقـة والتفـاهم معـك. لقـد قـررت تنظيم حفـل في الحديقـة على شـرفك بعد غد، على أمل أن تأتي في وقت مبكـر من بعـد الظهـر. إنها تريـد أن تقـدمك لعائلتهـا وأصـدقائها، قبـل وصـول الضيوف. إنها تنتظرك يوم الثلاثاء الساعة الواحـدة ظهـرًا لتناول طعام الغداء، هل يناسبك ذلك؟

تماما!

سلمتني البطاقة وتابعت بنبرة نصف تهديدية ونصف مرحة:

نراكم الثلاثاء بعد ذلك. هنا هو عنواننا. وفوق كل شيء، لا تهرب، ستتعامل والدتي مع الأمر بشكل سيء... بشكل سيء للغاية بالفعل!

تراقب ردة فعلي، ثم تتابع:

لا أريد إخافتك، لكني سمعت أنه لا تزال لديك علاقات مع المغرب. والديك، على ما أعتقد. أنا شخصياً أعتقد أنه سيكون من المؤسف أن يتحملوا عواقب أفعالك...

أنت تفهم ؟

بابتسامة ساخرة صغيرة على شفتيها، استقبلتني مليكة وغادرت.

وعلى عكس عادتي، أعود إلى الفراش وحدي بعد الحرص على طرد الإسكندنافية.

الفصل التاسع

وصلت الى ماربيلا، الى العنوان المشار إليه، متأخرا بساعتين. تبدو الفيلا رائعة التي أجد نفسي أمامها، وكأنها منزل من بيوت القصص الخيالية. أقرع الجرس، متوقعا أن يتم الترحيب بي بأدب من قبل الخدم الودود الذين يرتدون الزي الرسمي. والمفاجأة أن البوابة تفتح تلقائيا. ثم ألتقي إثنين من حراس الحاجة الذين التقيت بهم في المرحاص، يقبعون في صندوق الحراسة أمام الباب الرئيسي. أذرعهم متشابكة، ووجوههم ملتوي، ينفجرون غضبهم بصمت.

أحييهم بسرعة وأمشي عبر البوابة، بعد أن أشار لي أن أتبعه، قادني أحدهم الى الجنرالة التي تستريح في ظل شجرة الصنوبر.

عندما شاهدت الحاجة وصولي مرفوقا بحرسها، نهضت على الفور، وصرخت : ها أنت اخيراً وصلت، بصراحة لم أكن أعتقد أنني سأراك مرة أخرى. بعد

المواجهة في تلك الأمسية مع حراسي الشخصيين ! لكنني أكنت أنتظرك لتناول الإفطار وتصل في وقت العشاء. لقـد علمت من أبنـتي أنـني كنت أريـدك أن تكـون هنـا مبكـراً، حسناً، لن أصر، لكنني احذرك، لا تدع يحدث هذا مرة أخرى..

تقوم الحاجة بالتعارف الرسمي بيني ونين كل واحد من أبنائها. وعندما يأتي دور ابنتها مليكة، والتي التقيتها قبل يومين، أشعر أمها محرجة، كما لو أنهـا كـانت تفضـل ألا تضـطر أبـداً إلى تعـريفي بهـذه الفتـاة، لأن المنافسـة بينهمـا واضـحة جـداً، علاوة على ذلـك، فـإن نظـرة مليكـة تحدق بي بقوة واهتمام كبيرين لدرجة أن المـرء قـد يشـك في رغبتها في سحقي.

نحيلة وأنيقة، ذات بشرة نحاسية تتناسب مع اللـون الأسود لعينيها اللامعتين، الشعر أسـود غـراب في تجاعيـد، كأنها مَلكُ ، إمرأة كاملة الخلقة !

هي تسأل:

هـل تعـافيت من مشـاعرك؟ اعتقـدت أنـني فهمت أنك لا تفعل ذلك،عندما قضيت وقتًـا ممتعًـا تلـك الليلـة مع حراس أمي الشخصيين...

وأستغرب من وقاحتها فأرد:

أرى الأخبار تنتقـل بسـرعة. ولكن كن مطمئنـة، كـل شيء على ما يرام الآن...

تناديني الحاجة وكأنها تريد أن تبعدني عنها:

تعال يا جيرارد، هناك وجبة ساخنة في انتظارك.

أنهض دون إلقـــاء نظـــرة على مليكـــة وأجلس مباشرة على الطاولة التي أشار إليها الجنرالـة لي. أنـا آكـل دون شهية. تقوم هادجا بوضع كـل شـيء في مكانـه قبـل وصول الضيوف.

وفي المساء يصل الضـيوف في مجموعـات صـغيرة. والحراس الآن، وقد أصـبح عـددهم أربعـة، يقومـون بـفحص بطاقـات الـدعوة، وكـإجراء احـترازي، التحقـق من الضـيوف أنفسهم بمنتهى الجدية. ترحب الحاجة بالجميع بكل فخر ولطف ومرح.

هي في أواخر الثلاثينيات من عمرها تمنحها جمالاً متألقاً وهادئاً، معززة بمكياج ذكي وملابس أنيقة للغاية. سعى خلف. ترتدي هذا المساء تكريماً لعادات بلدها قفطاناً فاخراً باللون الأزرق السماوي يكشف عن أشكال جسمها أكثر مما يخفيه. ترتدي حول رقبتها مجموعة من المجوهرات البربرية القديمة التي قدمها الملك لزواجها من الجنرال.

من الواضح أن الكلام الشفهي نجح وتنتشر القصص عني. يريد الضيوف معرفة نهاية قصة هذا الصبي الذي تحدثت عنه ماربيلا بأكملها لمدة يومين. لقد تم وصفي كضحية مستقبلية معروضة للانتقام من الجنرال. الجميع متحمسون ويريدون رؤية كيف أبدو.

أنا هو الجاذبية، الظاهرة، الحيوان الأليف الجديد السيدة أوفقير الكريمة والمعجزة. كما هو متوقع، أكتفي بالرد، الممتلي بالغرور ولكن أيضا بالإحراج، على من يسألني عن هويتي، بأنني ابن عم الحاجة.

وتعلق كلثوم، إحدى صديقاتها المقربات:

لا أصدق، حاجة! إنه أمر لا يصدق ما ينضح به هذا الصبي من الشهوة ! أرأيت كيف نفترسه بأعيننا؟

نعم، أعرف ذلك جيدًا!

لقد تمت دعوة كل من كان في إجازة في ماربيلا لحضور هذه الحفلة. النساء، بفساتينهن ذات الياقات الجريئة. الرجال ببدلاتهم الرسمية، وشخصياتهم: الممثلون، والأرستقراطيون، والسياسيون المشهورون، والممولون، والمتآمرون، ورجال الحاشية، يشكلون بلاط عائلة أوفقير. كلهم يعطيون انطباعًا بالوحدة والألفة والتواطؤ ... ومع ذلك، إذا نظرنا عن كثب، يمكن للمرء أن يرى أن هذا المنزل يأوي متآمرين أكثر من الضيوف. وأن المبتدئين تمت دعوتهم فقط لإعطاء واجهة وغطاء لهذا التجمع ...

وبعد فترة، تتركني الحاجة بين الضيوف، وتشرح لي أن الواجب يناديها. لذلك أقف بعيدًا قليلاً عن الحشد وأراقب النساء يتجولن حول العقار. يلفت انتباهي مخلوق رائع، ملابسه الأنيقة والحديثة للغاية توحي بامرأة معتادة

على الوجود الراقي. مفتونًا بإصرارها على النظر إلي، وحتى وزني، أحـدق بهـا بـدوري بابتسـامة ناريـة. إنهـا تعطيـني ابتسامة فاجرة.

بالنسبة للمغازل الذي هو أنـا، يظـل الاقـتراب منهـا هـو الخطـوة المنطقيـة التاليـة. لكن أنـا حـذر. يمكن لهـذه المـرأة أن تنصـب لي فخًـا صـممته الحاجـة لقيـاس شـدة مشاعري تجاههـا. ولهـذا السـبب أعيـد توجيـه نظـري نحـو النسـاء اللاتي لاحظتهن من قبـل، وكأنهـا كيـان لا يكـاد يذكر.

بمجرد أن أنظر بعيدًا، تقف أمامي. واضـعة ذراعيهـا على وركها، وتقول لي:

إذن، أيها الشاب، هل نفضـل مشـهد المـرأة العجـوز على مشهد المرأة الشابـة والجميلة؟

لا على الاطلاق! أنت المنظـر المبهـر في عيـني! لكن من أنت؟

بكـل بسـاطة " مامـا كسـوس"، أفضـل صـديقة لحاجة!

جميلــة مثلــك، كنت أفضــل أن أقــول منافســتها الكبرى...

لقد بدأ الأمر أيها السيد المُغوي! أرى أنـه حـتى وأنت عاشـق تظـل سـاحرًا لا يوصـف! أنت تؤكـد مـا قالتـه لي الحاجة عنك، وهو أن لديك دائمًا الكلمة التي تسعدك. أمـا بالنسـبة لياقتـك البدنيـة، الـتي وصـفتها لي بـالكثير من التفاصيل، فيجب أن أعترف أن كل شيء متطابق...

لأنها أخبرتك أيضاً عن جسدي؟

وكيف ! قالت لي، سوف ترى أنـه وسـيم كالملائكـة! ولا يمكن أن تكـون مخطئـة إذا كنت تتطلـع لرؤيتـه، فهـو الفتى الأكثر جاذبية الذي ستجده بين الضيوف...

لن أتمكن من المشي بعـد الآن إذا اسـتمر هـذا الأمـر، كاحلي يتورمـان كثـيرًا... ومـع ذلـك، أتسـاءل لمـاذا تظهـر هـذه المـرأة، فـوق بقيـة الأشـخاص الـذين أتعامـل معهم عادة، الكثير من الود تجاهي.

توقفي عن اعتباري أحمق! لا احب هذا !

لا تغضب يا صديقي الشاب! أنا لا أسخر منك، صدقني! أنا فقط أكرر كلمة بكلمة ما قالته لي الحاجة. وأؤكد ذلك لأنني أجدك أيضًا لطيفًا جدًا، علاوة على ذلك، بسيطًا وجذابًا للغاية. جئت لرؤيتك لأن الحاجة، التي تعلم أنك وحيدة وأعزل وسط كل هؤلاء البشر المتسكعين في ممتلكاتها، طلبت مني أن أرافقك بينما تنتظر أن تكون حرًا. وأنا أسارع إلى تقديم هذه الخدمة لها، هذا كل ما في الأمر!

هل هذه المرأة صادقة؟ لقد سمحت لها بذلك، على الأقل في الوقت الحالي استعادة بعض تلك الثقة التي جعلتني أفقدها.

إذا ظلت الحاجة بالنسبة لي واحدة من أجمل النساء في المغرب، فإن ماما تذهلني باعتبارها تحفة حقيقية للطبيعة. أريد أن أسألها عن سبب هذا الاهتمام المفرط، لكن مظهرها كامرأة منحلة الأخلاق يبدو لي بمثابة دعوة للشهوة.

يبـدو أن الصـعوبة الـتي أواجهها في اتخـاذ أدنى مبادرة تسليه:

يبـدو أنـك تعتقـد حقًـا أنـني هنـا لأوقعـك في فخ، أليس كـذلك؟ لا ؟ أنت تسـيء فهم نوايـاي. الحاجـة، كمـا ترى، مثلي: امرأة منشغلة بشكل مفرط مع شركائها. ولكي أكـون صـادقًا، لا أعتقـد أنـك سـتكون قـادرًا على ذلـك في السـرير معهـا. إذا كنت لا تريـد أن تفقـدها بعـد ليلـة من العناق، فمن الأفضل أن تسرع وتكون في الصفحة...

- في الصفحة ؟ ولكن كيف ؟

- سيتم الحكم عليك بناءً على مهاراتك الرومانسـية وبراعتـــك في الســـرير وخبرتـــك. الجنس وبالمناســـبة الكوكـايين همـا شـيئان أسـاسـيان في العـالم الـذي نعيش فيه.

- الجنس، أعـرف ذلـك، لكن الكوكـايين، أنت تسـد مدخل بالنسبة لي... و المشاعر في كل هذا؟

– لا تجعلني أضحك بالحديث عن المشـاعر... فهـذا ليس من شـــأنك! وليس من شـــأني أيضـــا. القلب،

الأفلاطوني، الرومانسية، هذه كلها عبارة عن وهم! ما نريده هو شيء ملموس، شيء ملموس. أنت تفهم ؟

لو كانت إمرأة غربية تقول لي مثل هذا الكلام، لأخذتها مباشرة على منزلي على السريع لأعطيها شيئًا ملموسًا حتى يتوقف عن العطش. ولكن هنا، يتعلق بتحرير المرأة في المغرب، ربما فاتني حلقة واحدة. ومع ذلك، لم يمض وقت طويل منذ أن غادرت هذا البلد. وأتذكر المبدأ الذي يقضي بالإجماع بأن تكون الفتيات عذراوات حتى يتمكن من الزواج. مثلما يجب على الزوجات أن يظلن متحفظات ومتواضعات ومتحفظات بعد الزواج.

انا أتفهم جيدا ! إذا كان هذا كل ما يكفي لإرضائك، فهذا لا يهم بالنسبة لي. ولا يشكل أي مشكلة.

أنت مضحك ومثير للشفقة في نفس الوقت، يا ولدي المسكين! كل هذه النساء اللاتي تضعهن في فراشك، أنا على استعداد للمراهنة على أنهم خدعوك للاعتقاد بأنك الأفضل، والأكثر كفاءة، والأكثر خبرة في الصعود إلى النشوة الجنسية، فقط لإرضاء نفسك... أنتم

أيهــا الرجــال تخيلــوا أنكم بقضــيبكم تجعلــوا النســاء سيتمتعنا ويصلنا الى النشوة في كل مرة. وكلما كانوا أكبر، كلما زاد إيمانكم بهم. استيقظ يـا صـديقي الشـاب! الأمـور تتحرك، حتى في المغرب. لكي يسير كـل شـيء على نحـو أفضـل، يكفي أن تتوقـف عن أخـذ النسـاء كـدمى قابلـة للنفخ، والتي يمكن كسـها وممارسـة الجنس معهـا حسـب الرغبة. وأن تفعل ما يطلبونه منك عندما تكون في السرير معهم.

- أنا، أقع تحت سلطة امرأة! و أقبل أنها تسيطر علي، وأنها توجهني، وأنها تجعلني سجادة بجوار السرير، هذا أمر خارج عن طبيعتي.

من الخطـأ أن تعتقـد أن مطلـوب منـك أن تسـطح نفسك! ببساطة، إذا كنت تريد النجاح مـع الحاجـة، عليـك أولاً أن تتعلم كيـف تنحـني عن طيب خـاطر لرغباتهـا إلى الحـد الـذي تنحـني فيـه لرغباتـك. من خلال إدخالهـا في ذهنـك أن جلسـة الجنس ليسـت سـوى تبـادل للممارسـات

الجيدة، حيث لا يوجد سيد ولا عبد، بل شريكان فقط يبحثان عن المتعة.

- ولكن بأي وسيلة؟

– بالضبط، هناك طريقة! الكوكايين! يمكن استنشاق كمية منه ، ليحضر المكمل الذي تفتقده للمشاركة في لعبة الحب معها.

– إذا كان هذا يطمئنك، فقد سمعت الكثير عن مسحوقك المدمر. علاوة على ذلك، فإن الأشخاص العصريين يقسمون به. لكن لأكون صريحًا، كنت أعتقد دائمًا أن هذا الدواء كان منتجًا عديم الفائدة تمامًا لأولئك الذين يتمتعون بصحة عقلية وجسدية جيدة مثلي.

- فكر مرة اخرى ! أنت في حاجة إليها أكثر مما تعتقد! فمن ناحية، سيبقيك ذلك في حالة رغبة دائمة، وفي نفس الوقت سيزيد من قدرتك على التحمل. ومن ناحية أخرى، قد يجعلك تفقد السيطرة على نفسك بعد عدة إمساكات قوية...

– ولماذا من الضروري أن أفقد السيطرة على نفسي؟

– يمكنك بسهولة الامتثال لمتطلبات شريكتك وكن أكثر رقة واهتمامًا باحتياجاتها أكثر من اهتمامك باحتياجاتك. تحب النساء الرجال الذين يعرفون كيفية اكتشاف المناطق المثيرة للشهوة الجنسية ومداعبتها وتقبيلها، إذا كنت تعرف ما أعنيه... الجميع يفهم ذلك هنا. إذا تبين أنك الوحيد، باستثناء أفراد عائلة أوفقير والخدم، فلا تأخذها.

- لم يسمع به! لم ألاحظ أي شيء!

- طبيعي، الكوكايين لا تخون مستخدمها أبدًا. آثاره عميقة جداً ولا تظهر أي أعراض واضحة على الوجه. يجب عليك حقًا أن تكون مبادرًا حتى تتمكن من اكتشاف وصمة العار في عيون المستهلك. هذا المنتج ثوري، صدقني، وفي نفس الوقت رائع! إنه يمنع تماما. وتتمثل وظيفتها الرئيسية في شحذ رغباتنا ودوافعنا، سواء كانت جيدة أو سيئة، مع تسليط الضوء على رذائلنا وفضائلنا. سترى أنك إذا أخذتها، فسوف تشعر بسعادة غامرة، أو اشمئزاز شديد، في اكتشاف الجوانب المتجاهلة في

شخصيتك. يكتشف بعض الأشخاص أحيانًا أنهم مثليون جنسيًا. في ظل حكمها، لم تعد هناك محظورات، ولم يعد هناك أي خجل في القيام بأشياء قذرة، لا أكثر خجل. نعود من خلال الحياة الجنسية دون قيود، دون أخلاق، إلى أنفسنا الغرائز الأولية.

– أفهم بشكل أفضل لماذا يحبها الناس في المجتمع الراقي. هناك الكثير من الناس عالقون في هذه البيئة! وأين أجد الكوكايين؟

– وأنا على استعداد لتزويدك بكل ما تحتاجه. ولكن في وفي المقابل أتوقع منك شيئين.

- ما هما ؟

– الأول بالطبع هو عدم التحدث مطلقًا عن كل هذا إلى الحاجة، ذاك يمكن أن يسيء إليها ويخلق توترات خطيرة بينها وبيننا. ثم هو سيكون عليك أن تظهر لي امتنانك من خلال القدوم لرؤيتي من وقت لآخر الوقت في طنجة، بمجرد أن أصبحت عاشقًا متمرسًا، يجعلني أستمتع

من الخبرة الـتي اكتسـبتها بفضـل تدريسـي. لا تنسى من كـان محـررك ومعلمـك في أمـور الحيـاة الجنس. بـاختصـار، الشخص الذي ستدين له بلقبك إذا أصبحت الحبيب الأول للحاجة. ومن الطبيعي أن أحصد القليل مما زرعته، اليس كذلك ؟ ما رأيك يا صديقي الشاب؟

- جيد فقط! خاصة وأني أجدك شهيةً كثيراً... الآن، فيما يتعلق بالتسريبات الافتراضية، كني مطمئنة. حتى لو كنت عاشقًا فقيرًا، ومع ذلك سأظل فتىً متحفظًا للغاية. لن يعرف شخص أبدًا شيئًا مما قيل اليوم وماذا سيحدث بيننا في المستقبل. ستكون حديقتنا السرية، والتي ستكون متروكة لنا للزراعة بحكمة... الآن بعد أن أصبح كل شيء واضحًا بيننا، متى نبدأ الدروس؟

– الليلة، إذا كان بإمكانك التخلص من الحاجة دون أن تغضبها كثيرًا. لكن فكر جيدًا قبل المجيء. سأكون المعلم وأنت التلميذ. إذا كان في في الصباح الباكر، أنت لا تزال في ملاءاتي، وستكون قد اجتازت الاختبارات بنجاح حتى

تتمكن من مواجهة الحاجة في السرير. مع فرصة ضئيلة، غدا سوف تصبح أفضل العشاق. هل هذا مناسب لك ؟

- تماما!

– إذن التوصيات النهائية. سأكون في انتظارك من الساعة الثانية صباحًا في الفيلا التي تقع في نهاية الشارع عند مغادرة الحاجة، على اليمين. لن تتمكن من تفويتها، يعلو البوابة تمثال يمثل حورية البحر وهي تبتلع فريسة. سيكون باب الجراج مفتوحًا وستكون هناك مساحة فارغة لسيارتك. أنت، من جانبك، لا تبدو متحمسًا جدًا للمغادرة. بحجة حالة متقدمة من التسمم، التعب، الجو، لا أعرف. ستجد عذرًا مشروعًا لتركها دون إغضابها، لكن قبل كل شيء لا تعطيها انطباعًا بأنك مستعجل لمغادرة المكان. حسنًا ؟

- حسنًا !

بهذه الكلمات ننظر إلى بعضنا البعض بشكل مكثف ولم يعد هناك شيء يهم حول لنا. وفجأة جاءت الحاجة على حين غرة، ووضعت نهاية لحديثنا وهتفت :

إذن المتآمران، كل شيء على ما يرام؟

تجيب ماما كسوس : كل شيء هو للأفضل في أفضل العوالم الممكنة.

نعم، أرى ذلك... تبدو متوترًا بعض الشيء يا جيرارد، ما الذي يحدث؟ هل قدمت صديقتي عروضاً غير لائقة لك؟

لا على الإطلاق، حاجة! من أين تأتي بمثل هذه الأفكار؟

الحاجة، التي تستشعر الجو غير الطبيعي، تخاطب ماما كسوس بنصف وجه:

مهلا، أنت لن تحاول سرقة هذا مني أيضا، كما آمل؟

لكن لا، ما الذي تبحث عنه هناك؟ سيكون هذا جهدًا ضائعًا على أي حال، هذا الصبي مجنون بك حرفيًا! لا يتنفس إلا لك، ولا يتحدث عنك إلا، ولا يقسم إلا بك.

الحاجة تضحك.

هل هذا صحيح يا عزيزي الصغير؟ لذلك يمكنـني أن أتركك وحدك مع منافستي الكبيرة دون المخاطرة برؤيتك تذهب إلى العدو؟

بلا شك ! على الرغم من أن هذه المرأة جميلة للغاية و جذابة!

هل ترى ما قلت لك، الحاجة! هذا الصبي هو لك بقوة. هو غير قابل للفساد حقًا، يمكنني أن أؤكد لك!

>أوه، لأنك حاولت بالفعل رشوته؟

>نعم. لن أخفي عليك أنـني اختبرتـه، لكن لتقـييم ولائـه لك، لا أكثر.

إنه جيد. أنا أقدّر اهتمامك، لكن الآن أسعدني بنسيانه!

الفصل العاشر

أتأمل تقلباتي في الحب. كيف يمكنني أن أفهم أنه قبل ساعة، كنت متحمسًا جدًا للحاجة، وفجأة ظهر شـخص غريب، ووصفني بالبدائي والمبتـديء! وهكـذا تحـولت الى دمية لها.

في هــذه اللحظــة تــأتي مليكــة لتعلن لي افتتــاح احتفالات الطهي.

وللمناســبة، تم إعــداد طاولــة كبــيرة من الروطــان تعلوها مظلة، توضع عليها العديد من الأطباق اللذيذة في الحديقة.

الحفلة على قدم وساق. مجتمع كامل من المبتدئين يتحرك في العقار هذا المساء.

من خلال تنظيم حفلات الاســـتقبال هـــذه، تنتقم الحاجة اجتماعيًا: لقد تم إقناعها ذات مرة بأنهـا إذا كـانت ذات رتبة عاليـة جـدًا، فإنهـا لن تنتمي أبـدًا إلى النبلاء. ثم

قررت بالوصية التي تميزها ألا تذهب إلى النبلاء بل تدفع النبلاء ليأتوا إليها.

واليوم، تستقبل ماربيلا بأكملها. جميع أعضاء المجتمع الراقي يحتفل بها ويقبل يديها. من جهتي، أول مرة أجد نفسي أمام مثل هذا الجمهور من الشخصيات. لدي انطباع بأن المحققين الحقيقيين يختبئون خلف مظهر الضيوف الراضيين والعاطفين.

كما أقوم بتفصيل النساء وتسريحات شعرهن المتطورة ومن خلال تحسين مكياجها، تعتني الحاجة بالضيوف وتسعد بتقديمي كواحدة من أبناء عمومتها الراغبين في دخول المجتمع.

أنا مستمتع بردود الفعل التي أثيرت فيهم. إن مشهد هؤلاء الأزواج الغيورين، وتعبيراتهم الغاضبة بمجرد أن أثني على نصفهم الآخر، يقوم مباشرة بالالتفاف.

تسحبني الحاجة من ذراعي وتقول:

تعال يا حبيبي. تعال، سأعرفك على بعض الأصدقاء الذين لن تحبهم بالضرورة، فهم تقليديون

ومملـون، ولكن قـد يكـون هـذا مفيـدًا لـك في المسـتقبل. وخاصة المـدير العـام للشـرطة الإسـبانية وحـاكم مقاطعـة مالاقا. بمجرد أن يعرفوا أنك ابن عمي وأنك تعيش بشـكل دائم في إسـبانيا، هـذا مـا أقولـه كـإجراء احـترازي، وسـوف يؤكـدون لـك دعمهم الثـابت. بعـد ذلـك، إذا كنت تريـد، سنذهب في نزهة على الماء.

تم إجـراء هـذه المقـدمات، حيث أكـد لي الجميـع صداقتهم الأبدية، أخذت الحاجـة من يـدي وتقـودني نحـو الشـاطئ. الجـو حـار ونقبـل بعضـنا البعض حـتى نفقـد أنفاسنا. توقفت للحظة ثم التقطت أنفاسـها، وهي تحـدق في وجهي، وما زالت تلهث، وتهمس في أذني:

أريـدك أن تعلم يـا حبيـبي الصـغير أني أحبـك حب جنون!

وأنا أيضاً يا حاجة. لا أعلم مـاذا يحـدث لي، لكن منـذ اللحظـة الـتي رأيتـك فيهـا شـعرت بإحسـاس تجاهـك لم أشعر به من قبل!

تشعر بـالإطراء والطمأنينـة وتغطي جسـدي ووجهي بـــالقبلات و المـــداعبات. بعـــد أن جلســـت على الرمـــل وأجبرتـــني على الجلـوس، وهي مملـوءة بالرغبـة الناريـة، شجعتني على أن اجامعها في هذا المكان.

أنا آسف يا حاجة، لكني لا أريد ذلك.

ماذا ؟ أنت تـرفض ممارسـة الحب معي على الرمـال! ولكن ما الذي تحتاجه لذلك، سرير صغير مـريح؟ أنت تمـزح معي، أنا متأكد. أنا على استعداد للمراهنة على أنـك لسـت معقدًا مع النساء الأخريات ...!

هل تجد ذلك غير لائق أم ماذا؟

لا، ولكن المكان خطير!

استمع لي بعناية، جـيرارد. وليكن كـل شـيء واضـحا بيننا. عادتي هي أن أفعل ما أريد وأين أريد ومتى أريد. وأنـا لا أقدر ذلك عندما لا يشترك الناس في رغباتي، والـتي هي عموما أوامر ...

ولكن إذا رفض شخص مـا الامتثـال لمطالبـك، مـاذا تفعل؟

لأكون صريحة هذا لا يحدث أبدا. إذن... وبما أن الأمر كذلك، سأعود إلى ضيوفي.

إذاً تُركت وحدي، أفكر في إحباطي عندما أتت إليّ ماما كيسوس وسألت:

إذن يا جيرارد ماذا حدث؟ هل غضبت مع الحاجة؟

لا، على الإطلاق ! لقد تركتني متوترة قليلاً، لا أكثر.

أنا أعرفها وأستطيع أن أخبرك أنها كانت غاضبة عندما صادفتها، فماذا حدث؟

لقد قمت ببساطة بتطبيق نصيحتك، وهي عدم القيام بممارسة الجنس معها حتى تحضريني. هنا، على الشاطئ، كانت كلها لي. كان بإمكاني فعل كل يحلو لي، لكن توصياتك أثنتني عن ذلك.

آه! هنا أنت تجعلني سعيدة! هل تريد أن نذهب في نزهة على الشاطئ؟ هؤلاء الناس متواضعون للغاية، الماديون والمفترون والطلابون. مكان الحلم فيهم لم يعد موجودا. لهذا أفضّل قضاء الوقت مع الأولاد مثلك، الذين ما زالوا حالمين ورومانسيين في طور التكوين.

رومانسي انا؟ هل تصدق حقا ما تقولينه؟

قلت قـد تصـبح! بالمناسـبة، مـاذا لـو تحـدثنا مـع بعضنا البعض بـشكل غير رسمي؟

لما لا. وهذا سـوف يميزنـا عن كـل هـؤلاء الأشـخاص الذين يكرسون أنفسهم حتى في السرير.

صـحيح ! حسـناً، هـل تريـد بعض الكوكـايين؟ لـدي بعض منها جيدة.

تغمس مامـا كيسـوس يـدها في حمالـة صـدرها لتخـرج زجاجـة صـغيرة تضـع منهـا رشـة من محتوياتهـا، مسحوق أبيض، على جـانب يـدها. تشـمه بنفس الجفـاف، وتصرخ:

ولهـذا السـبب نسـمي هـذا المنتج بـالثلج. كمـا تعلمـون، أنت مخطئ في عـدم المحاولـة. إنهـا تجربـة لا تنسى لاستيعابها.

لقـد أخبرتـك أنـني أوافـق على تـذوقها، ولكن في مقصورتك الخاصة . وليس هنا. .

لذلك أعود إلى مبادرتي. تريد الحاجة مني أن أقدم بعضًا منها لأي شخص يريدها، حتى يرى هذا العالم الصغير وقد أصبح خاليًا من العوائق.

تخلت عني بلا خجل، وعادت لتختلط مع مجموعات من ضيوف. إنها تنزلق الكلمات في آذان البعض، وتستدير معها الغمزات وعلامات الذكاء تجاه الآخرين، انشرها وهناك شعارات وحقائب صغيرة.

رؤية هؤلاء الأشخاص الرائعين منذ بعض الوقت أصبحوا زومبي يلهث، وعلى استعداد لتحمل النقد الشجاع للحصول على جرعة الكوكايين، يحزنني. لكن إنها أيضًا مفيدة للغاية. منتبهًا لمتعة الجميع، يقدم التاجر كل من يتوجه إلى المرحاض يأخذ جرعة من الكوكايين لإعادته حالته. وللحفاظ على مزاجها البهيج، تأخذ بعضًا منها بنفسها من وقت لآخر.

يؤدي هذا التزود بالوقود إلى تحسين الحالة المزاجية للضيوف تدريجيًا. تخرج ماما كيسوس إلى

الحديقة وتقدم للجميع حمامًا منتصف الليل. وإذ لاحظت إحجامًا عامًا، هتفت:

جيد ! حسنا انا ذاهب! هل ستأتي معي يا مليكة؟

تخلع ملابسها في حفل موسيقي من الضحك العالي النبرة الممزوج بالصرخات نشوة الذكور.

مليكة، تستمتع كثيرًا بإظهار جسدها الرائع أمام الكبار هذا العالم، يركض نحو البحر بعد دقيقة واحدة، تتبعها الحاجة. هن جدبنا في أعقابهم حزمة من الذكور حولتهم الكوكايين في حالة الإثارة المفرطة.

من جهتي، لا أميل إلى تشويه الصورة التي لدى السيدات عني من الحفلة، أجلس على كرسي بذراعين بالقرب من الشاطئ. صامتًا بإعجاب، ثم أتأمل أجساد النساء هذه وهي تتحرك بشهوانية ورشاقة عندما تنضم إليّ كلتوم، صديقة الحاجة، وتقول:

مشهد مثير للاهتمام، أليس كذلك، أن هؤلاء النساء، كل واحدة منهن جميلة مثلها مثل الآخرون ؟

نعم أضمن لك ذلك.

يجب أن تكـون معضـلة حقيقيـة بالنسـبة لكم، مـع العلم أنكم جميعًـا تريـدون، ولكن لا يمكنكم اختيـار واحـد فقط؟

لاأفهم.

ولكن نعم، أنت فـاهم! جيـد جـدًا حـتى ! في كلتـا الحالتين، لا توجد مشكلة، الشيء الرئيسـي هـو أن تسـتمع إلى النصيحة التي يجب أن أقدمها لك.

تفضلي، أنا أنصت لك.

حول ماما كيسوس. لقد لاحظت أنها وضعت نصـب أعينها عليك أيضًا. كمـا تعلم، هـذه المـرأة عـاهرة متقلبـة وغير تائبة، قادرة على استخدام أي حيلـة لسـرقتك بعيـدًا عن صديقتها المفضلة، لكنها ليست عاشـقة. أمـا الحاجـة فهي امـرأة تخفي، تحت مظـاهر الصـرامة، روحًـا حساسـة محبة، كريمة مع من يعرف كيف يفهمها.

أنظر الى كلتـوم بدهشـة. هي تقـع مقابـل الجنرالـة جسديًا. يبـدو أنهـا لا تهتم بالجماليـات. تكشـف بشـرتها الزيتونية ونحافتها عن صحة هشة ومتهالكة، مما يمنعها

من الاستمتاع بالحياة غير فكريًا. ومع ذلك، فإن روحها، ذات الجمال النقي والمحبب، تضمن لها امتياز كونها صديقة الحاجة المقربة.

أنا أفهم مدى تكريسها لها تمامًا وأتمنى لو كنت كذلك. بساطتها، وإخلاصها، وولائها يذهبوا مباشرة إلى قلبي. الكلمات التي تستخدمها لإقناعي هي بمثابة وعد بأن تصبح حليفتي في الحرب الصغيرة التي أتوقعها، أمام الجنرالة وابنتها مليكة. لكن هذا الحليف المحتمل ليس أقل من أنها أخت الجنرال أوفقير. لكنني لن أعلم ذلك إلا بعد وقت طويل.

تأتي ثلاث نساء لمقاطعة حديثنا بالجلوس بالقرب منا وتتبادل الأسرار غير المتوافقة.

رغبة منها في جعل نفسها مثيرة للاهتمام، تقول الأكثر شراسة بين الثلاثة بصوت رنان:

الأمر يزداد سوءًا الآن. أود حقًا أن ينتهي الأمر بعربدة.

وزضيف أحداهن بنبرة ازدراء:

مضيفاتنا قادرات على فعل أي شيء لإغواء ضيوفهن، حتى التعري. تقول هؤلاء النساء أنهن متزوجات، ويحترمن أزواجهن، لكن من أجل الحصول على مكان في سرير رجل وسيم، فإنهن يفعلن أشياء مجنونة.

منزعجًا، أخاطب الثلاثة في نفس الوقت:

على أية حال، إذا كانت المضيفات اللاتي تتحدث عنهن قادرات على خلع ملابسهن أمام مثل هذا الجمهور الناقد، فذلك لأنه على الأقل لديهن شيء جميل ليعرضه. لا يبدو أن هذا هو حالكن، حيث يبدو أنكن تحاولن الاختباء أكثر.

أثناء التحدث، أحدق بشدة في عيون الثلاثة الأكثر سمًا بنظرة غاضبة. عندما أدركت أنني أتشاجر معها، قالت لي:

يبدو أنك لا تحب ما يقال هنا أيها الشاب! ألن تقع أيضًا في حب الحاجة أو ابنتها بالصدفة؟

تدير رأسها نحو أصدقائها بنظرة عارفة، وتضيف بسخرية:

من الغـريب أن نـرى أن جميـع الرجـال ينجـذبون إلى الوقاحة!

أنت تخلط بين الوقاحـة والشهوة يا سيدتي. وإذا لم يكن هناك أحد مهتم بك، هذا ببساطة لأنك تفتقدها..!

قمت بلفتة اشمئزاز تهدف إلى جعلهـا تفهم أنهـا لا تستحق حتى النظر اليها، أدرت لها ظهري بازدراء تمامًـا في الـوقت الـذي تعـود الحاجـة من السـباحة، ويتبعهـا ضيوفها.

لاحظت الحاجة بعد ذلك انزعاجي، وأعطتـني إشـارة استفهام، وأجيب عليها فـورًا من خلال الإشـارة بعيـني إلى النساء الثلاث اللاتي صمتنا الآن صمتًا بشكل غريب.

ثم ألقى الحاجـة نظـرة صـارمة على النسـاء الثلاث الوقحات، وهتفت لي:

لكن هؤلاء هن ثرثرتنا الثلاثـة اللاتي أراهن هنـاك! أتصـور أنهم أزعجـوك بتعليقـاتهن غـير اللائقـة منـذ أن تركتك يا عزيزتي. على أية حال، لا أعرف كيـف استطعت

أن تتحمل مجاورتهن في غيابي... لم يعد أحد يستطيع أن يتحمل افتراءاتهن، ولا حتى أزواجهن.

أنا لا أجيب.

تستمر الحاجة ضدهم:

علاوة على ذلك، إذا كنتن لم تلاحظن بعد، فالحفلة انتهت الضيوف يغادرون. وأنا لن أشدكن لتناول العشاء، على عكس الأقارب...

أجد نفسي من بين المحظوظين الذين تخلصوا أخيرًا من الأقنعة، وبدؤوا بسعادة في رياضتهم المفضلة: رياضة النقد والافتراء. فوجئت بقذارة النكات التي يرسلونها، أنا للحظة خائفة من فضيحة. لكن الحاجة تهمس في أذني:

لا تقلق يا عزيزي، ما يقال هنا يأتي في سياق حيث إن سبب الحاضر يُفهم ضمنيًا منذ البداية على حساب غائب. في هذه البيئة، عندما يتعلق الأمر بكسر السكر على ظهورهم والبعض الآخر، الجميع يوافق. شاهدهم وهم يشمتون ويسيل لعابهم ويضحكون الساديون.

أنا لا أشعر بالراحة، حاجـة. أنـا أتسـاءل مـتى سـوف يأتي الدور علي.

كما تعلمون، هؤلاء الناس هم أصدقائي. منـذ بدايـة الحفلـة، صـحيح، أنهم اعتـبروا وجـودك بمثابـة اقتحـام لـدائرتنا الصـغيرة. حسـنًا أنهم جميعًـا بـذلوا جهـدًا، ولم يتمكنوا من الاعتراف بك كشخص منهم، الكثير ممـا يثـير استياءي. ومـع ذلـك، فقـد فعلت كـل شـيء لتجنب ذلـك حتى الآن اشتباكات محتملة..

هذا ما يزعجني يا حاجـة، لـذا من الأفضـل أن أغـادر. سـوف نـرى بعضـنا البعض غـدا، لا يهم. خصوصـا وأنـني متعب جدا هذا المساء لم انفعك بأي شيء..

موافقـة ! ولكن بشـرط أن تكـون هنـا غـدًا في وقت الغداء.

سأكون هنا، لا تقلق. اريد حقا ان اراك مجددا!

حسـنا، أنـا أعـول عليـك! وقبـل كـل شـيء، لا تنس إحضار ملابس هذه المرة.

*

* *

عنـدما أصـل أمـام مامـا كيسـوس حـوالي السـاعة الثانية صباحًا، إنها تقف بالفعل أمـام بابهـا. إنهـا تـأتي إلى البوابة للتأكد من أنني لم أتبع.

وأخيرا أنت هنا!

لم أستطع أن أكون أسـرع، كمـا تعلمين. وصـدقيني، لم تكن إرادة سيئة...

في غرفـة الإسـتقبال المفروشـة بمهـارة، والمضـاءة ببعض الأضـواء الخافتـة، هنـاك رائحـة الشـاي بالنعنـاع والشيري والقنب الهندي. توجد على الجدران لوحـات تصـور مشاهد فاسقة. على الأثاث والحلي والكتب الفاسـقة. على الأرض سجاد سميك. يبـدو أن هـذا المـنزل مخصـص للحب وجميـع التحسـينات الـتي تمكنت الحضـارة من تصـويرها لعدة قرون.

تنظـر إليّ بنظـرة مليئـة بالشـهوة، وتسـألني مامـا كيسوس بابتسامة خادعة:

هل تحبني هكذا يا عزيزي؟

أُفَصــلُ أشــكالها المغطــاة بقميص نــوم قصــير وخفيـف وشـفاف. هـذا الجمـال الـذي نفـاد صـبره يحطم تحفظاتي الأخيرة، ولأني غير قادر على البقاء صامتًا لفـترة أطـول، أهنئهـا على حلماتهـا اللذيـذة وأردافهـا الجميلـة وساقيها الرائعتين.

ردا على ذلك، تسجنني في احتضـان قـوي وتقبلـني طويلاً، بشغف وجشع. تقودني إلى غرفتها، وتفك ملابس النوم الخاصة بها، وتدفعني إلى السرير وتقفز فوقي. إنهـا تلعقـني في كـل مكـان، ثم بصـوتها بنبراتـه العميقـة ونغمات المداعبة، تصـل حماسـتي إلى ذروتهـا. منـذ ذلـك الحين، تستلقي على ظهرهـا، وشـعرها منسـدل، وسـاقاها متباعدتان، وتناديني بشكل حسي. أنـا أخترقهـا بشـغف ونندمج في حريـق ذهابًـا وإيابًـا ممـا يـؤدي إلى النشـوة الجنسية والرعشة الكبرى.

ثم عادت إلى رشدها وقالت:

كان ذلـك فقـط ليريحـك. الآن سـوف نسـتحم معًـا. سأغسلك بـالصابون، وأشطفك، وأفركك، وأعطيـك العطـر، ثم بعد سلسلة جيدة من الكوكايين، سنبدأ العمل.

كما تعلمين، أنا لا أريد حقا أن أتذوق هذا المنتج.

استمع يا جيرارد، أنـا أقـول لـك للمـرة الأخـيرة، هـذا المنتج مصنوع للرجال مثلك الذين يحبون حقًا وضع النساء تحت أقدامهم. لأنه يمكنك الإمساك بـامرأة من مؤخـرتهـا، ولكن تأتي اللحظة التي ستبحث فيها حتماً في مكان آخر. يمكننا أن نحملها بمشاعرنا ولكننا بعـد ذلـك نسـيطر على قلوبهـا، وليس على عقلهـا. يمكننـا أن نحافـظ عليـه من خلال الأطفال، ولكننا هنا نسيطر على عقلها، وليس قلبها. مع الكوكايين أنت السيد المطلق لحياتك الجنسية وعقلـك وقلبك. فلماذا لا تحاول؟

أنت على حق بعد كل شيء! الكوكـايين لـديها كـل شيء لإرضائي.

بمجرد خروجي من الحمام، اذهب مع ماما كيسوس إلى حجرتها. ولتحسين الجو، أخرجت مسحوقها الأبيض الشهير من الزجاجة ونشرته على المرآة. وهي تؤكد لي:
هنا، خذ هذا المنتج. سوف يأخذك إلى آفاق لم تكن تتوقعها حتى الآن.

أخذت سكة حديدية وفجأة أخذتني الدوخة بعيدًا عن شاطئي المعتاد. قوي جدًا، حتى الآن لدرجة أنني أتساءل للحظة عن كيفية الخروج.

ولكن بعد الإقلاع، انقلبت في عالم مجهول. أشعر أن الحياة تتصاعد في داخلي. كل رغباتي المدفونة تظهر على السطح. أسمع صوتاً داخلياً يقول لي:

لن تذهب أبعد من ذلك! قف! لا يوجد سطر آخر!

لكني لا أستطيع ولن أتوقف. في اللقطة الثانية وجدت عالم ضيق بشكل لا يصدق، مقارنة بعالم الكوكايين المزدحم.

مستعبدة للجنس، أعتقد أنني أعرف كل جوانبه، لكنه يجعلني اكتشاف مجال آخر للعمل. إنه يفتح لي آفاقاً

غير محدودة من المداعبات والقبلات، من الملـذات اللمسـية والفموية، والعديد من الممارسـات الـتي لم أكن أشـعر بهـا سـابقاً لأن كـل شـيء كـان يـدور حـول قضـيبي. ثم أرى أن الحياة الجنسية ليست ثابتـة ولا غير قابلـة للتغيير.

نستهلك المسحوق معًا، ونتشارك هـذا الأمـر الرائـع توسع الفكر، هذه الكثافة المذهلة للملكات الإدراكية، هــذا الوعي غير المحدود بالوجود الذي يربطنا بالكون بأكمله.

نترك جنتنـا أيهـا المجنـدون. هـذه الـدروس ليسـت مشتركة بما يتناسب مع المشاهد المثـيرة الـتي قمت بهـا مـع نسـاء أخريـات. عنـدما وصـلت إلى النشـوة الجنسـية، ينتابني شعور غريب تجـاه هـذه المـرأة الـتي أدخلتـني إلى النشوة. الحقيقية ! الذي يضاف إلى متعة المتعـة القصـوى متعـــة النعيم الكامـــل. حيث تشـــتعل الحيـــاة الجنســـية والروحانية بنفس الشرارة.

مسـحور،   أقبـل يـديها بـإخلاص، وأداعب ذراعيهـا بشغف، وأنقر على رقبتها، وأعض أذنيها، وأمطرها بـآلاف من الإيماءات الحنونة التي ظلت حتى ذلك الحين مجهولـة

بالنسبة لي لأنني اعتبرتها مهينة للرجل. لقد ذهب اشمئزازي السابق.

التعليم الذي أتلقاه منها يتم تسليمه لي دون تحفظ ومعه عاطفة. أشعر بفض البكارة. أشعر وكأنني ولدت من جديد. واكتشفت أيضًا أنه بفضل الكوكايين أصبح كل شيء أكثر وضوحًا وأكثر بساطة، وأن التعب الكبير للوجود في الحقيقة يرجع فقط إلى هذه الرغبة من جانبنا في ألا نكون أنفسنا بعمق.

ومع ذلك، تظهر العديد من العيوب. الأفكار السيئة والانحرافات والرغبات المخزية وغير المحتشمة وغير العادية التي ربما قمت بكبتها طوال حياتي وتركتها خاملة.

كنت مذعورا، وأحاول الهرب عن طريق التوقف عن التعاطي، لكنني لم أنجح. أنا محاصر، لدي شعور بأنني هزمت بسبب الكوكايين، أفرط في تناولها وأدخل في صراع مع نفسي.

إن العودة إلى الحياة الطبيعيـة قاسـية ومؤلمـة. آثـار الكوكايين هي تكون شديدة عندما تدخل حيز التنفيذ كما هي عندما تنسحب، إلا أن الأحاسيس تكون معكوسة. أشعر فجـأة بـالقلق العميـق. في ذهـني كـل شـيء يتصـارع. يهـاجمني الغثيـان ويضـرب صـدغي خفقـان لا يطـاق. ثم ينهك جسدي تعب هائل، ويحل في ذهني الضبابي حـزن عميـق مقـرون بقلـق مجنـون. أنـا في الحضـيض الاسـفلي! انتهى بي الأمر بالغرق في حالة من الخمول لم تنتبه إليها ماما كيسوس في الـوقت الحـالي: فهي تعـاني من نفس التعذيب.

عندما نصل أخـيرا إلى رشـدنا، أخبرتـني أنـني فعلت ذلك للتو، تجربـة ما يـسميه مدمنو الكوكـايين عـادة الـنزول إلى الجحيم. يخافهـا الجميـع لأنهـا تحـاول وتعـني نهايـة الاحتفالات وتأثيرات اللطيفة للكوكايين.

أنا استفسر:

أشكرك على هـذه المبـادرة يـا مامـا كيسـوس. مـاذا تخطط أن تفعل معي في المستقبل؟

لكن الأمـر بسـيط للغايـة، يـا عزيـزي، عنـدما تعـود الحاجـة إلى الربـاط، سـتأتي لرؤيـتي كلمـا أمكن ذلـك في طنجة حتى لا ندع علاقتنا تموت بسبب عدم الحفاظ عليها بشكل كافٍ. ما رأيك ؟

كم هـو رائـع! لأنـه من ناحيـة يثبت أنـني اجـتزت امتحان القبول الخاص بي ومن ناحية أخرى أنك لست غـير حساس تجاه سحري.

وأنا أيضا، إذا كنت تريد أن تعرف. أستطيع أن أقـول أنـك أول حب حسـي حقيقي لي. أنت من جعلـني عاشـقًا حقيقيًا من الرجولة السخيفة التي كنت فيهـا. مـا اختبرتـه معـك، لسـت متأكـدًا من أنـني سأعيشـه بنفس القـدر مـع شخص آخر. أوافق على رؤيتـك طالمـا أردت، ولكن يجب أن نكـون حـذرين للغايـة حـتى لا تشـك الحاجـة أبـدًا في أي شيء بيننا.

– أتعلمين يا عزيزي أن فكرة رؤية الحاجة مرة أخـرى تجعلني أشعر بـالتوتر. لم أكن أعتقـد أنـني سأشـعر بهـذا

القــدر من الــذنب تجاههــا ومثــل هــذا الشــعور الشــديد بالتنافس. لكن أبعد من هذا الشعور، ما يقلقني أكثر هو أنها وقعت في حبك فعلاً من النظرة الأولى!

- لماذا هذا الاهتمام؟

– لأنه بعد البرق هناك دائما عاصفة، هل تفهم؟ لكن لا يهم، الأمــور انطلت الآن! لـــذا خـــذ هـــذه الكوكـــايين، ســتحتاجها حقًــا في علاقــة حبــك معهــا. وخــذ الأمــور ببساطة، هل فهمت؟

الفصل الحادي عشر

وكمـــا هـــو متفـــق عليـــه، وعلى الـــرغم من التعب الشديد، مررت عبر بوابة الحاجة في اليوم التالي في الوقت الموعـود. سـمحت لي الكلاب بالـدخول إلى العقـار بنفس المراسم التي جرت في اليـوم السـابق. وبـدون أن يتفوهـوا بكلمـة واحـدة، قـادوني إلى رئيسـتهم الجالسـة تحت ظـل شجرة صنوبر عمرها مائة عام. عندما أراها مـرة أخـرى، أريـد أن أقفز على رقبتها وأقبلها، لكن منظـر محيطهـا يثنيـني. أنحني وأقبل يدها كدليل على الاحترام.

تبـدو الحاجـة مسـترخية. الطقس جميـل، الجميـع يرتدون ملابس خفيفة. ترتدي هي وماما كيسوس بيكينيًا وقلادة طويلـة من اللؤلـؤ الفـاخر. جمـالهم الـبري يـذهلني! تتمتع الحاجة على وجه الخصوص ببنية متناغمـة ورائعـة. وعلى الرغم من مرور سبعة وثلاثين عامًـا على ولادتهـا، إلا أنهـا لم تعـاني من ويلات الـزمن. تتمتـع بحيويـة عجيبـة، وهي من تلك الطباع السخية الـتي تنجح في الانـدماج مـع

الأجيال اللاحقة إلى درجة أنها تصبح جزءًا لا يتجزأ من هذا الجيل.

عندما انتهت من تناول غداءها، وتأكد من أن ضيوفها الدائمين. لا ينقصهم أي شيء.

وبمجرد انتهاء جولتها التفقدية، تعود الحاجة إلى طاولتها وتقترح للجميع السباحة بعيدًا عن الشاطئ بين أسماك القرش.

فقط للتعرف على بعض من اشباهنا، قالتها مازحة...

على الرغم من الشمس الساطعة و القاسية، لا يوجد نقص في وسائل الترفيه على الشاطئ. الأولاد يلعبون بالكرة بينما تتبختر الفتيات الصغيرات بالبكيني متعدد الألوان. تجري الكلاب المبتلة في كل الاتجاهات، بينما تدردش المربيات العجائز تحت المظلات، وهن يراقبن الأطفال الذين يطاردون بعضهم بعضًا، ويصرخون بأعلى صوتهم.

بينما أسير أنا والحاجة على الشاطئ على طول البحر الهادئ، تصل الصرخات إلى آذاننا. من الواضح أن ماما كيسوس، التي هي بحتاجة إلى معجبين، لا تجد أفضل من محاكاة الغرق بالكثير من الإيماءات ودعوات المساعدة. الحاجة تشم رائحة الحيلة وترفض مساعدتها. وتدعي أن هناك خطر أن تغرق هي أيضا، نظراً لعمق المياه هناك. أعرض عليها مساعدتها. الجنرالة، الذي يشتبه في أن هذا هو بالضبط ما تبحث عنه ماما كيسوس، تمنعني من الرد على نداءاتها.

لن تستغل الوضع لتتباهى وتعرض بجسدها الجميل!

عند رؤية الجميع يركضون لمساعدتها باستثنائنا، يبدو أن ماما كيسوس وجدت بالصدفة تقنية تسمح لها بالسباحة ببراعة حتى تصل إلينا. وعندما وصلت إلى الشاطئ، وشعرها المبلل منتشر على وجهها، سألت ببراءة زائفة:

لكن لماذا لم تتدخل عندما طلبت المساعدة؟

تجيب الحاجة بحكمة فيها نوع من الحيلة:

بسبب أسماك القرش...

أي أسماك القرش؟ لا توجد أسماك القرس على ما أعرفه هنا، إنهم يسبحون على الأقل ثلاثة كيلومترات من الساحل!

هل أنت متأكد مما تقوله؟ سمعت أن هناك قرش واحد يسبح هنا. واحد كبير أتى إلينا من المغرب. كما تعلمون، أحد هؤلاء أكل الرجال الذين لديهم شهية شرسة، والتي تحذر منه النساء المتزوجات لأنه مثل الطاعون...

غمزتني الحاجة، وفهمت إشارتها وضحكت.

ماما كيسوس تجيب:

يمكنك أن تسخر مني، حاجة! لكن أقل ما يمكننا قوله هو أننا نتشابه في هذه الحالة!

تعبت من تبادلاتهم، أغوص في الماء وأسبح إلى أقصى حد ممكن.

أدرك أنــني مــرة أخــرى عالقــة بين المطرقــة والســندان. تذكرني الحاجة بشدة بالأمر بعد السباحة:

جيرارد، أحذرك: مع ماما كيسوس لن أسمح لـك بـأي علاقـة! وإذا، على الـرغم من تحـذيراتي، كنت لا تـزال غـير مخلص لي مـع هـذه العـاهرة، أعـدك أنـه بطرطقـة من أصابعي سأجعلك مخصي! هل أنا واضحة؟

– لكن على أية حال يا حاجة، لماذا تهـددني بهـذه الطريقــة؟ لم أرتكب أي خطــأ، على حــد علمي! إذا كنت لا تثق بصديقتك المفضلة، فهذا ليس سببًا للتخلص مني!

- أعرف. أنت على حق. آسف، لم يكن من المفـترض أن أتحــدث إليــك بهــذه الطريقــة. لكن افهمــني، مامــا كيسوس ستفعل كـل شـيء لتجعلـك تستسـلم لسـحرها. لهــذا الســبب أردت أن أحــذرك، بوحشــية بعض الشــيء بالطبع، لكن لا توجد طريقة أخرى للناس لفهم الأشياء...

- حسـنًا. هـذه المـرأة حقـيرة حقًـا، لكنهـا حـتى الآن تصرفت بشكل جيد معي. إذن ماذا علي أن أفعل لأجعلـك سعيدة؟ لا تحية لها؟ أصـفعها إذا حـدقت بي؟ أرسـلها إلى

المرعى إذا تحدثت معي؟ لا، هـذا ليس جـديا! أنت تتجـادل هناك مثل طفلين يتشـاجران على دميـة وأنـا من يجب أن يــدفع الثمن! يبــدو أنــك تســتمتع كثــيرًا بالســرقة من عشاقك لمعرفـة أيهمـا أكـثر جاذبيـة. في حين يمكننـا أن نتساءل بشكل معقول عما يمكن أن يـؤدي إليـه مثـل هـذا التنافس، ولو لمجـرد إثـارة الضـحك أو التعليقـات الخبيثـة. تتصـرفين مـع مامـا كيسـوس وأيضـا مـع ابنتـك مليكـة : تحـاول أن تحـل محلـك في كـل فرصـة لأن هـذه السـعادة التـي تبحث عنها خارج منزلك تسبب الضرر لوالدها.

– هـذا صـحيح، ولكن هـذه المـرة لن أسـمح لأحـد أن يـدمر سعادتنا! والآن لدي رغبة واحدة فقط، وهي الاسـتمتاع بليلة واحدة معك في سـرير حبـك الصـغير. لـذا سـأقابلك الليلة عند منتصف الليل في غرفة الشاي بوسـط المدينـة. بعــد ذلــك تأخــذني إلى حيث تريــد لكن كن لطيفــاً، لا تجعلني أنتظر، فهذا سيزعجني...

أنه من أجل إرضاء الناس، من الأفضل الوصول مبكرًا بساعة بدلاً من التأخير بخمس دقائق، نظرًا لأن مكان الاجتماع يبعد ساعة عن منزلي، فقد انطلقت في الساعة العاشرة مساءً. في الطريق، أجد نفسي أحلم بالشخص الذي ينتظرني، بالقبلات الحلوة التي ستغدقها علي وفجأة أتحول بسرعة كبيرة. على الرغم من الكبح، السيارة تنزلق وتترنح. اصطدمت العجلتان الأماميتان بعنف بالحافة المرتفعة للطريق، وانتهى الأمر بالسيارة على حافة حقل ترابي. وبعد أن استعدت صوابي، قمت بإرجاع السيارة إلى الخلف. كما كنت أخشى، كانت العجلات عالقة في الوحل: كلما زادت سرعتي، كلما غرقت في الأرض الوحلة والفضفاضة. نزلت من السيارة ونظرت حولي وأحضرت حجرين كبيرين مسطحين لوضعهما تحت عجلاتي، لكن المفاجأة: العجالاتان الأماميتان فقدت كل الهواء الذي بداخلهما!

لا تمر وسائل النقل العام بهذا الطريق، وفي الساعة ١١ مساءً، لا يوجد الكثير من السيارات التي تستخدم هذا

الطريق. أما بالنسبة لفرصة لرؤية سيارة واحدة في الليل تقف لاصطحاب رجل على الطريق ...

لمدة ثلاثة أرباع الساعة، مشيت على طول المسار دون أن أرفع إبهامي؛ لأنه لا توجد سيارة .

وفجأة تصل شاحنة. أقترب من حافة الطريق ورغم أن المصابيح الأمامية تبهرني إلا أنني ألوح بذراعي. وأخير توقف.

أنت محظوظ، فبدون أطفالي لم أكن لأتوقف! الى اين ذاهب ؟

سأذهب إلى ماربيلا، لقد تعرضت لحادث للتو.

نعم أرى ذلك. لديك دماء على ياقة بدلتك... حسناً، سوف آخذك.

كنت على وشك الصعود الى الشاحنة من الجهة الأخرى، عندما صرخ الرجل.

لا، لا، لا تصعد في مقصورة الركاب! الا ترى أن ابناي هناك. بدلاً من ذلك، اصعد من الخلف، اتبعني.

يفتح الأبواب الخلفية ليكشف عن خنازير ضخمة متحمسة تصرخ وتتناثر في الوحل القذر. يتم الضغط عليهم ضد بعضهم البعض.

أنت لا تضعني هنا ! هل تتهزر معي!

نعم نعم. لا يوجد مكان في المقصورة. وقبل كل شيء، كيف تتحدث معي؟ إذا لم تكن راضي، استمر في المشي! سنتحدث عن ذلك مرة أخرى بعد ثلاث ساعات من المشي... إما هذا أو لا شيء. هيا، ادخل، ليس لدي ما أفعله!

ليس لدي حل أخر وعلى عجل، جلست مقابل أبواب الشاحنة المغلقة الآن. وفي غضون دقائق قليلة امتلأت المساحة الصغيرة التي أعطاني إياها الركاب بأنوف ملتوية وصاخبة.

لقد كنا نسير لفترة طويلة عندما تأخذ الأمور منعطفًا كارثيًا. لقد اكتسبت الخنازير الثقة وهي تمضغ سروالي الحريري الأبيض. لقد كان من سوء حظي أنني حاولت التحرك فتمسك أحدهم بالقماش، وعلق القماش بين أسنانه. تمزق سروالي خلقت فجأة نوعًا من الجنون

وكـان الآخـرون في حالـة انفجـار. لقـد أوقعـني الصـخب والضجيج العام في مشاكل مع الخنازير الشجعان الآخـرين، ولم تؤدي ضرباتي إلا إلى تفاقم الوضـع. واحـد منهم عض فخذي.

فجأة تتـدحرج الشاحنة على طريـق مسـتوٍ، وتبطئ سرعتها وتفرمل بشكل حاد.

عندما يفتح السائق الأبـواب، أضـرب في كـل اتجـاه وبأي شكل من الأشكال الخنـازير الـتي تضـايقني، غاضـبة. لقد قضموا حذائي الأبيض الجميل ومزقوا بدلتي الحريريـة البيضـاء باهظـة الثمن إلى أشـلاء. يضـحك مـربي الخنـازير وخنازيره، ساعدوني في النزول وإغلاق المقطورة.

دون أن أشكرهم، أسرعت في شوارع ماربيلا.

بعـد أن أدركت أنـني تـأخرت نصـف سـاعة، أعتقـد أنــني بــذلت كـل هــذا الجهــد مقابــل القليــل، وربمــا لن تنتظرني الحاجة.

عندما وصلت إلى مكان ليس بعيدًا عن غرفة الشـاي الأكـثر تمـيزًا في المدينـة، حيث كـان من المقـرر أن نلتقي،

رأيتها على وشك المغادرة. إنها تسير نحوي بنهج حازم. بمجرد أن وصلت إلى أعلى مستوى لي، أعطتني صفعة بارعة.

عيب، أحشم، أتوقع منها أن تعود إلى المنزل. لكنها قفزت فجأة ونظرت إلي من الرأس إلى أخمص القدمين، كما لو أنها لم تلاحظ حالتي المزرية.

أعلمك أنك تأخرت وهذا أمر مؤسف للغاية!

اسمعي يا حاجة، أريد أن أعتذر عن...

احفظ كلامك للآخرين يا عزيزي! أنا لست مستعدًا أو راغبًا في الاستماع إليه. إذا كانت هذه هي الطريقة التي تنوي التصرف معي، كن حذرا! انتظرتك اليوم، لكن هذه هي المرة الأولى والأخيرة!

الحاجة، أقسم لك أن ما حدث لي حدث بمعزل عن إرادتي. لقد كدت أن أكون وجبة للخنازير...

أنت تستهزئ بي ؟

ولا للحظة، لن أسمح لنفسي بذلك! أنا أحترمك ولن أسبب لك أي إزعاج.

أخبرني بما حدث. ولكن قبل كل شيء، دعونا نخـرج من هنا، سيارتي الجاكوار على بعد خطوتين...

*

* *

سـافرنا إلى شـاطئ البحـر، وكـانت الحاجـة تجـري حافية القدمين على الصخور بمهارة الوعل[9]. وفجأة توقفت وجلست.

انضممت إليها بصعوبة ولكن اللعبة تستحق الجهد المبـذول. عنـدما وصـلت، لاهثـاً، أخـذتني بين ذراعيهـا وقبلتـني بشـغف. لقـد جعلتـني أجلس بجانبهـا لأتأمـل مشهد الطبيعة.

ثم قالت وهي تمسح على وجهي:

هـل يجب أن أكـون مجنونـًا بـك حقًـا لأعتقـد انـك خروف بينما أنت ذئب حقيقي؟

اسـتلقيت ضـدي، وأخـذت يـدي في كلتـا يـديها وضغطت عليها بحنان بينما كانت تتأمل الأفق بصمت.

---

9 - حيوان شبيه بالماعز يعيش في براري اوروبا.

أنا متحمس جدًا لدرجة أنني كنت أفضل أن أراها تصنع الشيء الخطأ لتضغط عليه... ولكن مع تحلي بالصبر، يسعدني أن أشاركها حماسها. يصبح وهمها مِلْكي مرة أخرى، في فضاء من الهدوء السحري.

الطبيعة، بعد بضع دقائق، ترجع الى العدو.

تسمح لنفسها بالانزلاق على الأرض في حركة حسية:

يمكنك أن تفعل ما تريد معي الآن.

حاجة، أنا أحبك.

تبتسم، وينضم اهتزازها المهدئ إلى اهتزازي، ونستمتع بسعادة الشعور بهدايا كائناتنا. أخضع لمشاعرها بينما أضع رأسي على كتفها. في هذه اللحظة هي وحدها موجودة، مما يجعلني مولودًا مؤمنًا بالمتعة، وآمنًا فقط بملذات الجسد، رومانسيًا بارعًا.

لقد تأثرت، وشعرت وكأنها فتاة صغيرة مرة أخرى واعترفت لي بإثارة مفاجئة:

جيرارد، لقد حلمت بليلة كهذه ألف مرة في حياتي، لكن هـذه هي المـرة الأولى الـتي يتحقـق فيهـا هـذا الحلم. إنني أواجه الآن أشياء لم أختبرهـا من قبـل. أنسـى عـائلـتي والتزاماتي وزوجي..

أغطيهـا بـالقبلات بكـل محبـة لتزيـد من ضـيقها لكنها تبدو أنها "شبعت" وأستسلم لاقترح عليها الذهاب، دون أن أتوقع تغيرها المفاجئ في سلوكها.

تنهض الحاجـة وتشـعل سـيجارة لتهدئـة نفسـها. تستأنف هيأتها كامرأة في العالم وتهمس لي بلطف:

أتمنى يا عزيزتي أن تكوني قد قضيت وقتًـا ممتعًـا معي وألا يغيرك كثيرًا ممارسة الحب مع امـرأة عجـوز، أيهـا المولع بالشباب...

الحاجـة، هـذه اللحظـة الـتي قضـيتها معـك كـانت سعيدة مثل تلك التي يمنحها اللّه لمختاريـه. لم يسـبق أن عرضت مثل هذه المتعة الحلوة على قلبي وحواسي ...

بعـد أن اقتنعت بإجـابتي، اتخـذت هيئـة الزوجـة المثالية الفاضلة. وفي ومضة قصيرة من الحزن تنهدت:

أتمنى، بعد أن امتلكتني، ألا تتخلى عني.

كيف يمكنك أن تعتقد ذلك؟ أنت في نظري لا تنتمي إلى فئة النساء السهلات اللاتي تعاشرينهن للوهلة الأولى. ما شعرت به كان في ميدان التعلق والاحترام أكثر من أي شيء آخر.

همم! أنا أحب ما تقوله الآن، يا عزيزي. لكن يجب أن تعلم أنني إذا كنت متصالحًا معك، وإذا تركت نفسي، فذلك لأن ذلك كان جزءًا من احتياجاتي المباشرة. هذا صحيح، كما تعلم، أحتاج إلى مداعباتك بقدر ما تحتاج إلى مداعباتي. أحتاج إلى الشعر والمودة. ما يحدث لنا رائع وهذا هو الأهم بالنسبة لي، رغم أنني وضعت نفسي في موقف رهيب بكل الطرق..

وفجأة قفزت الحاجة واختتمت كلامها:

جيد ! حبيبي الطبيعة جميلة لكن ظهري بدأ يؤلمني. وسيكون السرير الصغير اللطيف والمريح أكثر ملاءمة للنشاط الجنسي.

لـذا أتمـنى أن يكـون لـديك سـرير رحب للغايـة وبعض الشموع.

لا تقلق، سريري مرتب بشكل جيد.

أنا لا أشك. حسناً، دعنا نذهب إلى شقتك!

لقـد حـان الـوقت لإثبـات نفسـي من خلال تطـبيق الدروس التي تفضلت بتعليمهـا مامـا كسـوس. مسـتقبلي سيعتمد على تصرفاتنا الغريبة.

بعد نصف ساعة نجد أنفسنا في شقتي.

أحـاول أن أتـرك انطباعًـا جيـدًا ولكن هنـاك قلقًـا طفيفًا يلوح في الأفق. أتساءل عما إذا كان هذا المنزل، الذي لا يزيد حجمه لا يزيـد عن حجم غرفـة الاسـتقبال، لن يبـدو كمساحة صغيرة. بائسة أو محتملة أو مريحة، كيـف سـتجد عريني مع السجاد الصغير الخفي والزخارف المرحة والأضواء الخافتـة الـتي تجعلـه مكانًـا مناسـبًا لعلاقـات العاطفـة الحميمة؟

تقف الحاجة على المفروشـات الـتي تمثـل مشـاهد الحب، وعلى بعض التماثيـــل ذات الأشـــكال الموحيـــة

والأوضــاع الغريبــة الملقــاة هنــا وهنــاك. وتعلن بصــوت حماسي:

شقتك هي عش حب حقيقي، على الأقل مما رأيته!

ولكن أخوك ليس هنا؟

لا، فهو لا يعود إلى المنزل الساعة السادسة صباحًا.

حسن ! لذلك سنكون قادرين على المرح بحرية كاملة...

تخلع الحاجة ملابسها وتذهب إلى الحمام لتســتحم دون أن تنطـق بكلمـة واحـدة. بالكـاد أملـك الـوقت لوضـع بعض النظام عندما تناديني:

عزيزي، يجب أن تــأتي للاســتحمام معي، كمــا تعلم. سوف تغتنم الفرصة لفرك ظهري!

لم يســبق لي أن كنت بهــذه الســرعة لإنجــاز هــذه المهمة.

وحين تخرج تهتف:

أتعلم يا عزيـزي، أعتقـد أنـني يجب أن أعـود للمـنزل الليلـة. لا يـزال لـدي مــا يكفي من الطاقـة للقيـام بالرحلـة، وغدًا، إذا كنت تريد، سآتي مبكرًا.

أما بالنسبة لسيارتك، فأنا سأعتني بها. أعطني المفاتيح، وبمجرد وصولي إلى ماربيلا سأرسل شخصًا لإصلاحها. ومساء الغد سأعيدها إليك بنفسي في توريمولينوس. جيد ! لذلك سنرى بعضنا البعض مساء غد في منتصف الليل على شرفة المطعم الإيطالي الذي يطل على النادي الذي التقينا فيه. حسنًا ؟

الفصل الثاني عشر

بعد تناول وجبة لذيذة، تظهر المشاكل، كما هو الحال في كل نزهات أقوم بها مع الحاجة. تصر على دفع الفاتورة وتضع لي بعض المال تحت الطاولة.

لا يا حاجة. أنا من يدفع هذه المرة.

خذ هذا المال! أعلم أنك لست غنيا.

حاجة، لقد اتفقنا على أن أكون أنا من سيدفع الفاتورة في العشاء هذه المرة.

أعرف. لكنني أوضحت الأمر: في المطعم الذي تختاره. ولكن مرة أخرى أنا من اختار. ماذا لو الآن أخذتني إلى مكان من اختيارك؟ أنا اريد ان ارقص.

هناك الكثير من النوادي الليلية في توريمولينوس، ولكن من الأفضل أن تشارك أحدها مع صديق. لذلك اخترت مؤسسة صديقي المفضل سيئ السمعة إلى حد ما. عزيز، فتى ذو قلب كبير ومنعم بصفات عظيمة. لكنه مشاكس للغاية وغالباً ما يرتكب أخطاء فادحة.

لأسباب أمنية، تقدم الحاجة نفسها بهوية مختلفة.

اسمي بريندا، أنا برازيلية.

وبينما نشرب تكريما للحاجة، يحدثني عزيز بالعربية بنبرة سرية، وهو ينظر إلى الحاجة بنظرة متشككة:

إذن هل تخرج مع كبار السن الآن؟ ما بك، هل أنت جائع أو شيء من هذا؟ لن تجعلني أصدق أن فتى وسيم مثلك لم يتمكن من العثور على شيء أفضل من ذلك في ماربيلا؟ هذه المرأة أكبر منك بعشر سنوات على الأقل، هل تدرك ذلك؟

شاحبًا وخجلًا، ألقيت نظرة على الحاجة التي تشير شفاهها المزمومة إلى حدوث برق وشيك. رمقني عزيز بنظرة يريد أن يكون شريكاً فيها، وقال بصوت عالٍ وبالعربية:

هذا من أجل صحة سيدتك العجوز، لأنها هي التي تدفع الفاتورة!

وفجأة ألقت الحاجة كـأس الشـمبانيا في وجـه عزيـز وهي تصرخ! يتحطم الزجاج عنـد الاصـطدام، ممـا يتسـبب في حدوث جروح في جـبين عزيـز وعظـام الحـاجب وعظـام الوجنتين والأنـف. والـذي ليس لديـه الـوقت لمسـح وجهـه الـدامي: تـرمي الحاجـة ببراعـة غـير عاديـة الزجاجـة الـتي التقطتهـا للتـو من فـوق المنضـدة. بالكـاد يخفض رأسـه وتتحطم القذيفــة على الحائــط. يقــف ويلعن، لكن دلــو الثلج يـذوب فوقـه بـالفعـل وإن تمكن أيضًـا من مراوغتـه، فلن يتمكن من تجنب بعض مكعبات الثلج. وخاصة تلـك التي يتلقاها في الأسنان ويجعل شفتيه تنزف. يضـع يـده على فمـه ولكن عليـه على الفـور تفـادي منـافض السـجائر التي ترميها الحاجة عليه بدقة.

تشكل حشد من حولنـا. وعنـدما عـرفت مـدى عنـف عزيز، تدخلت.

عزيز، اهدأ! دع ذلك ! رغم ذلك أنت لن تضربها! إنهـا زبونــة أيضًـا. لقـد جـاءت لتشـرب وتـرقص وتنفـق الأموال التي تحتاجها بشدة. وسوف تعوضك فلا تقلق...

سأعوض هذا الوغد الذي خرج من الوحل والذي تجـرأ على مناداتي بالعجوز واعتباري بقرة حلوب! ؟

بعـد أن أدركت أنهـا سـمعت كـل شـيء ، بـدأت تتحـدث بـاللغتين العربيـة والفرنسـية. وليكن بأنـه لم يسرق هذا التصرف، استدار عزيز وعاد خلف المنضدة. ربمـا اعتبرت الحاجة انسحاب عزيـز خوفـا منهـا. بـدلاً من الـتزام الصمت وانتظار اعتذاره، تستمر في مناداته بأسماء قبيحة.

لم يعـد قـادرًا على تحمـل الإهانـة بهـذه الطريقـة، اسـتدار، وبنظـرة شـريرة. ينـدفع على يميـني في اتجـاه الحاجة. ابتعدت عن طريقه وفي اللحظة الأخـيرة دار حـولي إلى اليســار وألقى لكمــة على معــدتها ممــا دفعهــا إلى الابتعاد بضع خطـوات. ثم ينـدفع نحوهـا. أحيـط بـه بكـل قوتي وأصـرخ فيـه ليوقـف الكارثـة. بينمـا تلتقـط الحاجـة أنفاسـها، أحـاول أن أسـحب عزيـز قليلاً لتهدئتـه. الحاجـة، واقفة الآن، تستعيد رباطة جأشها بينما تراقبنـا من بعيـد. تعدل ملابسها وتفـرق الحشـد الفضـولي بإشـارة من يـدها في الهواء.

اخـرجوا من هنا، أيـها الكلاب المسكينة! عندما يكون هنـاك عـراك، فـإنكم تـأتون مثـل الـدبابير على المـربى ولكن بمجـرد أن يتعلـق الأمـر بالمسـاعدة، لا يوجـد أحـد هناك!

وعلى الجانب الآخر من المنضدة، يبـدو أن عزيـز قـد اكتشف الشيطان. لقد أخبرته للتو أنه ضـرب وأهـان زوجـة الجنرال أوفقير وهو يكمم فمه. وفجأة صب غضبه علي:

كله بسببك! لماذا لم تخبرني من قبل؟ لماذا تـركت ذلك يحدث!

لا تبالغ يا عزيز! هل تعتقد أنني عرفت ما سيحدث؟ هل تعتقد أنـه كـان لـدي الـوقت للتفكـير عنـدما انـدفعت نحوها؟ لقد فعلت شيئًا غبيًا وعليك أن تتحمل مسئوليته! قلت لك أن تهدأ وكان عليك أن تستمع إلي. أنت تفعل ما يحلو لك والآن هذا هو المكان الذي أنت فيه!

الحاجة، التي اقتربت دون خوف، لم تخسر شيئًا من عملية التبادل، تقف مستقيمة وفخورةً أمام عزيز:

ليس هـو من يجيب! وأبلغـك أنـه من الآن فصـاعدا لديك عبئا ثقيلا جدا عليك أن تتحمله! أدرك أيها الغاشم أن الإساءة التي وجهتها لي هـذا المسـاء سـتؤدي بـك إلى قرار بلا رحمة! ضرب امرأة أمر لا يغتفر بالفعل. ضربني أمر مستهجن. وحتى الموت! وإذا شعرت بالصدفة برغبـة في الاختفاء، فاعلم أنه حتى في ألاسكا لن تكون آمنًا...

لم يعد عزيز قادراً على احتـواء نفسـه. يشـبك يديـه ويميل إلى الأمام في إشارة إلى الخضوع:

أتوسـل إليـك سـيدتي أن تقبلي اعتـذاري الصـادق وتسامحيني! لم أكن أريـد أن أؤذيـك وفقـدت أعصـابي. أنـا نادم بشدة على ذلك ولن أفعل ذلك مرة أخرى، أقسـم! من فضلك سيدتي! أعطني عفوك!

ندمك كان مستوحى من الخـوف من الانتقـام الـذي تعلم أنـه خطـير، بمعرفتـك بـزوجي... وأنـا على يقين من أنني لو كنت امرأة عاديـة، لكنت ستدوسـني الآن. على أيـة حـال، فـات أوان الاعتـذار، فقـد وقـع الضـرر! ومهمـا تقـول، ومهما فعلت، فلن أغير قراري بمعاقبتك.

تأخذ الحاجة يدي لتقودني نحو المخرج. لقـد فهمت أنه بين عشيقة قوية وانتقامية وصـديق غـبي ولـئيم وغـير محتـرم، يجب التضحية بالصديق ...

الفصل الثالث عشر

عندما غادرت النادي، تفاجأت مرة أخرى بالحاجة، معتقدة أن هذا الجدال سيمنعها من الرغبة في إنهاء الأمسية في حالة من التشتيت.

عزيزي، هذه الحلقة المؤسفة تستحق لمسة ممتعة. ماذا لو نذهب إلى شقتك؟ إنها ليس بعيدةً عن هنا. أريد هذا المساء، بعد أن كان مقفرًا، أن يكون باهظًا.

وأضافت وهي تواجه نظراتي الحائرة:

أريد ذلك بشغف، إنها أفضل طريقة بالنسبة لي لنسيان ما حدث للتو. لم يكن عليك أبدًا أن تأخذني إلى مثل هذا المكان وأنت تعلم أن رئيسه نذل ووحشي. الآن لديك كل الاهتمام بالتصرف معي كما تفعل مع أحد هؤلاء السياح الذين عادة ما تضعهم في سريرك، أي بدون بروتوكول وبدون أخلاق... لدي في صندوق سيارتي بضع زجاجات من الشمبانيا الممتازة والتي سوف تسمح لنا بتعزيز رغباتنا.

لا أستطيع فعل أي شيء بخلاف ذلك، أنا اذعن على مضض.

أمشـــي الى عتبـــة شـــقتي وذراعـــاي مملوءتـــان بالزجاجات القديمة.

يمكنك تبـدأ بـالشـرب ولكن لا تـشـربه كلـه. أعطـني الوقت للاستحمام وأنا لك يا عزيزي.

أضـع كـأس الشـمبانيا نصـف الفـارغ الـذي سـكبته بنفسـي، وأتنـاول صـفًا من الكوكـايين. ثم جـاء وميض من الحرارة فوقي. ثم، عندما أرى أن الحاجة لم ترجع بعد، آخـذ واحدة ثانية للحفاظ على آثار الأولى. إنـه رائـع! أشـعر أنـني بحالة جيدة. أنسى كل من أزعجـني من قبـل، وأنـا منجـرف في زوبعـة من المتعـة. وفجـأة تصـل حواسـي إلى أعلى مسـتويات شـدتها. لكن مـاذا تفعـل الحاجـة؟ لا أسـتطيع الانتظـار لفـترة أطـول. لكي أهـدأ، تنـاولت صـفًا آخـر من الكوكـايين، ثـم، على وشـك الانفجـار، انضـممت إليهـا في حوض الاستحمام بعيون واسعة.

ماذا يحدث لك يا عزيزي؟ تبدو متحمسًا جدًا...هل هذه الشمبانيا التي فعلت بك هكذا؟ هل أخذت الكثير؟

بعض الأكواب، نعم. آسف، لم أستطع مقاومة الإغراء. هذا المشروب جيد جدًا ومثير للشهوة الجنسية!

بعد عناق كبير جلسنا في غرفة الاستقبال، هادئين مؤقتًا، لنحتسي الشمبانيا. من جهتي، أنا أنتظر اللحظة التي أتناول فيها القليل من الكوكايين لإعادة تنشيط نفسي..

استغل ذهابي إلى المرحاض لأشم خطًا سميكًا من الكوكايين. أعود بجسد محموم، وعقل يغلي، وحواس مرتفعة.

أبدأ بالهذيان. إحباطاتي تطفو على السطح، ولا يسعني إلا أن أعترف لها بضيقي الشديد، والكثير من القلق وما يشبه الاكتئاب... كلما اتقدم الى الأمام، كلما اشتهيت الكوكايين أكثر. إنه فظيع! لقد دخلت في دوامة مفرغة حيث كان كل شيء يدور حول هذه الوسيلة.

منذ تلك اللحظة الـتي أتحـدث فيهـا، أروي قصـتي، بـلهجات من الحقيقة ومواقف غير متوقعة لدرجة أنني في نهاية المطاف أزعج الحاجة. انهـا سـكرانة. أتوقـع أن أراهـا تشعر بالأسف على نكساتي الماضية. كنت مخطئًا.

وفجـأة تحـدثت بصـوت عـالٍ عن الملـك الحسـن الثاني، وتتهمـه بالمسؤولية إلى حـد كبـير عن إخفاقاتهـا الرومانسية وآلامها. من الواضح أن العـداء القـديم ينبـع من عـدم الاهتمـام الـذي أبـداه لهـا الملـك، بعـد أن منحتـه خدماتها في الوقت الذي كانت فيه جزءًا من حريمه...

هذا الرجل الحقير لم يكن لديه أدنى احـترام لي. إنـه وحش! وحش قذر! لكن في البداية وقفت في وجهه. ولكن عبثا. ما الفائدة من استمراري في رفضي، بينما ستكون لـه الكلمة الأخيرة على أية حال؟ وبمـا أنـه بحكم حـق الخضـوع له حق على جميع نساء المملكة، كـان بإمكانـه أن يضـع أي عذراء في المملكة في فراشه قبل أن يلتهمها زوجها.

يبـدو لي أنـك كنت زوجـة أوفقـير عنـدما وضـعك الملك في سريره بسلطة حق الجماع[10]؟

نعم. لكن قبل زفافنا مباشـرة، فعـل الملـك كـل مـا في وسعه لخنق علاقاتنا الغرامية. ربمـا فعـل ذلـك ليختـبر زوجي، أو لأنه ببساطة أحبني. على أية حال، فقد قـاطعهم حتى قبل أن يفيضني زوجي ويجعلني، رغماً عـني، السـيدة الأولى في حريمـه. كنت عشيقته، أرضـيت كـل أهـواءه. ثم طردني من قصره وحياته دون سابق إنذار، كما يـرمي المـرء خرقة أو شيئًا لم يعد يريده.

تتوقف الحاجة للحظة وتجفف دموعها. ثم، كما لـو أنها لاحظت ما حدث، أرادت أن تشرح خوفها، تضيف:

قبل وقت قصير من الإطاحة بي، جاء الانتقام. أصـر الملـك على أن يتبرأ مني الجنرال، وأخبره بشكل عابر أنـني مذنبـة بارتكاب الزنا.

وزوجك سمعها؟

---

10 - **le droit de cuissage**

نعم للأسف. ماذا يمكن أن يفعل؟ لكن اليوم، وبعد أن كافحت ضد كل الصعاب لاستعادة حقوقي أخيرًا، وخاصة حقوق تربية أطفالي إلى جانب زوجي، فأنا معه مرة أخرى. ومن خلال سلطته أحمي نفسي من مزاج الملك.

إذا فهمت بشكل صحيح، زوجك هو المؤمن على حياتك. طالما هو ضروري للملك، فسوف يتركك وشأنك، ولكن إذا سقط في يوم من الأيام ، سوف تكون حياتك مهددة.

هذا صحيح تماما! في الوقت الحالي الملك خائف جدًا من زوجي. هذا رجل هائل حقا، وأنا أتفق. لكنه ضروري بالنسبة له.

تستحضر الحاجة الجنرال أوفقير مع التركيز.

أنا مدينة له بكل شيء، لهذا الرجل، هل تفهم؟ كان هو الذي جعلني المرأة التي أنا عليها اليوم.

حقًا ؟ ولشكره فإنك تخدعه، أليس كذلك؟

تلك قصة أخرى! وبصراحة تامة، إذا لم يرشدني إلى طريـق إلى الخيانـة الزوجيـة، لمـا كنت هنـا اليـوم أمـارس الجنس مع وغد صغير مثلك!

دون أن أنتبه لكلامها أذهلت من الإفـراط في تنـاول هذا الكوكايين اللعين، أغرق تدريجياً في حالة من الخمول. فجأة أدركت أنني قد استنشـقت كـل الكوكـايين الموجـودة في الشقة. الذعر يسيطر عليّ وينبه اضطرابي الحاجة. إنهـا تأمرني بشدة أن أهدأ. صرخت وهي تريني الكيس النصـف ممتلئ التي أبحث عنه:

هل هذا ما تريده ؟ لم يكن الأمر مخفيًا بشكل كـافٍ بالنسـبة لي... لكن لا تقلـق، لقـد اكتشـفت أنـك تنـاولت الكوكايين أيها الوغد الصغير! لقـد أردت أن تتبـاهى بهـذا المنتج ودخلت اللعبة، أليس كـذلك؟ ليس الأمـر جـديا. أنـا لسـت غاضـبا منـك. لكن الآن، إذا كنت لا تريـد أن تعـاني كثيرًا، أوقف كل شيء. وبعد فترة سـوف يختفي من تلقـاء

نفسه. يعد الانتقال من حالة السكر إلى الرصانة وقتًا صعبًا، ولكن بعد ذلك سيعود كل شيء إلى طبيعته.

أستمع إليها، محاولًا التغلب على اضطرابي. أنا في انتظار ما هو أتي، عيني واسعة كما لو كانت في خوف. يدي متعرقة، وفمي جاف. تشوهت ملامحي. قالت لي الحاجة بنبرة ساخرة:

كم يبدو شكلك غريباً يا عزيزي! كلك أبيض وعيناك مرعبة! هل أنت مريض ؟ هل لديك أي خبر مهم تود قوله لي؟

أشعر وكأنني ثورة. تتسارع دقات قلبي. أحتاج أن أثق بمشاعري. أريد أن أحب العالم كله وأنت على وجه الخصوص. أشعر بالكثير من الفرح والرضا لدرجة أن الشيء الوحيد المهم في ذهني هو جعل هذه الحالة تدوم لأطول فترة ممكنة. هل يمكنني الحصول على الكيس؟

رغباتك هي أوامر لي يا حبيبي. تريد الحصول على المزيد، تفضل. ولكن ببطء.

مباشـرة بعـد القـول الفعـل، بعـد نصـف سـاعة من الاستـهلاك المحموم، كانت كافية لجعلي أصل إلى الذروة. أشعر وكأن انفجار وقع في ذهـني. وفي الـوقت نفسـه كـان جسدي يرتجف بإثارة غير عادية. أريد أن أتحدث، وحاجة لا يمكن كبتـها إلى الجماع. لسوء الحظ، يتقلص قضـيبي مـع زيادة تمجيدي النفسي! الذي يخيفـني. أنـا غاضـب لأنـني لا أستطيع فعل أي شيء. أنـا لسـت معتـاداً على هـذا الوضـع الجهنمي. كلانا لديه عيون واسعة، مثل بومتين.

لكن لماذا فقدت وسائلي يا حاجة؟ أهذا هـو الخطـر الكبير الذي أخبرتني عنه...؟

لا تقلق. نعم لقد بالغت في ذلك.

اذا ماذا يجب ان افعل الان؟

التألم والوجع يا عزيزي المسكين.

ولكن هذا فظيع!

بالنسبة لي أيضـاً، مـا رأيـك؟ ألا يُحبطـني أن أريـدك دون أن أتمكن من الإشباع؟

أنا أعانقها. أريد أن أقبله بلاهث، لكني فقدت شـيئاً آخر: لعـابي! تـسبب الكوكـايين في فمي بـالجفـاف و أشـعر بـالعطش في أي وقت.

أشرب بـسـرعة كأسـين من الشـمبانيا. مـا زلت أشـعر بـالجفـاف ولكنـني أثـابر على تـجربــة طريــق آخــر. اللحس يريحني جزئيًا، ولم يفقد لساني مرونته. تقدر الحاجة ذلـك وتسعى إلى إيقاظ قضيبي بالكثير من المداعبات. ربمـا من الأفضل أن تـأخذ دودة الأرض كعصا...

منهكًا ومدمرًا، أخيرًا أرسلت الحاجة إلى الجحيم.

في مواجهة حالتي الغامضة، تحاول مرة أخرى إثارة اهتمـامي بـالمحادثــة. إنهــا تتحــدث بـاســتمرار، وأحــاول الاستماع إليها.

إذا كنت تريد معرفة كل شيء، فزوجي أيضًا يعـاني من مشكلة الانتصاب هذه عندما يتناول الكوكايين، لذا أود أن أخــبرك أنــني اعتــدت على ذلــك... لكن كن حــذرًا! مــا أخبرتك به للتو هو سري للغايـة، حـتى الملـك لا يعلم أنـه مدمن كوكايين. لـذلك إذا تحـدثت عن ذلـك فإنـك تخـاطر

بوضع نفسك في مشكلة خطيرة. مفهوم ؟ هل تريد أن تعرف لماذا يتعاطى رجل جامد وجاد مثل الجنرال الكوكايين؟ ذلك لأنني سألته. إنه مدمن على الكحول ولا أستطيع ممارسة الجنس معه عندما يكون في حالة سكر. ولكن من المعروف أن الكوكايين تبطل مفعول الكحول..

معروف عند أهل المعرفة وليس عند الآخرين! ومن ناحية أخرى، لن تجعلني أصدق أبدًا أنه لهذا السبب البسيط والوحيد الذي يجعله يستهلك الكوكايين!

لا بالطبع ! هذا المنتوج هو عامل منشطات حقيقي. يتطلب الأمر الكثير لدعم وتيرة حياته. غالبًا ما يذهب إلى النوادي الليلية للعب ألعاب البوكر التي لا نهاية لها. وبعيداً عن النساء والقمار، فإنه يأخذهن لممارسة أنشطته اليومية...

هذه الكلمات الأخيرة، إذا بدت غير ضارة للشخص العادي، فهي مرعبة للمبتدئين: المهن التي يزاولها الجنرال تجعل الشعب المغربي بأكمله يرتعد. ما يسميه

الجنرال شؤونه الراهنة بلغته الإدارية هو جلسات التعـذيب هذه التي يتعرض لها السجناء السياسيون. أو هـذه القمـع القاتل الـذي يـأمر بـه، لإرضـاء من يعـرف مـا هـو متعطش للـــدماء، ضـــد الطلاب أو العمـــال الثـــائرين على الفـــوارق الاجتماعية أو الفقر أو السلطة القائمة.

أتحول إلى اللون الشاحب ويصبح نظري عتابًا:

كيف يمكنك تحمل تصرفات مثل هذا الوحش؟

زوجي مريض والسياق الحالي لا يسمح بـالرفض من جهتي. على العكس من ذلك، فإنه سيعزز التعويض الذي أستحقه...

أواجــه مشـكلة في المتابعــة. ومن السـهل بعض الشيء أن تسمي زوجك مريضًا!

هو مرضا مدى الحياة. أعرف ذلك من مصـدر موثـوق به من المخابرات الفرنسية الـتي تحتفـظ بالمعلومـات من الخدمة الصحية للجيش الفرنسـي الـتي خـدم فيهـا زوجي لسنوات عديدة.

أي مرض ؟

إنـه مصـاب بـالفصـام والهـوس الخفيـف، وتتفـاقم حالته بسبب آثار الكوكايين. يظهر في هذه اللحظات ثقـة كبيرة بالنفس وطاقة لا حـدود لهـا ممـا يجعلـه قـادراً على التعـذيب بلا كلــل ومــع الابتسـامة. والأكــثر من ذلــك، الحصـول على نتـائج ممتـازة... ولكن إذا اكتسـب الشجاعة والجرأة في استخدام هذا الـدواء، فإنـه يفقـد كـل فكـرة عن الخطر، وكل وضوحه، لدرجـة أنـه يصـل في بعض الأحيـان إلى حد أنه لم يعد يعـرف التميـيز بين الصـديق من العـدو. يعتقد أنه محصن ويصبح طموحـه مفرطـا. وبمـا أنـه أيضًـا يعاني من هـوس اكتئـابي كبـير، فإنـه ينتقـل بسـرعة من الهوس إلى الاكتئاب. ثم يشعر باليـأس، ويشـعر بـالبؤس، وبالكاد يتحرك ويصبح مخـدرًا للعـالم الخـارجي. لقـد تعلم الجنرال الشرب في الجيش، وبمجرد تسريحه من الخدمـة لم يستطع التوقف.

اليوم يشرب مثل الأحمـق. وكلمـا زاد اكتئـابـه، كلمـا زاد شربه. كلما زاد شربه، كلما تناول المزيـد من الكوكـايين لتخفيف سكره. كلمـا زاد تعاطيـه للكوكـايين، أصـبح أكـثر

اكتئابا. ويستمر على هذا المنوال حتى يدخل في حالة أشبه بالغيبوبة بعد أن تم حشوه بالحبوب المنومة. هذه هي الطريقة التي يعيشها في الوقت الراهن. زوجي يجعل الحياة صعبة بالنسبة لي عندما يعود إلى المنزل في المساء وهو في حالة سكر تام ومخدر. في بعض الأحيان يضربني. حتى أنه حاول قتلي عدة مرات... غالبًا ما يكون غاضبًا مني، خاصة عندما يعود من القصر حيث يكون لدى الملك، لمضايقته، دائمًا القليل من الأخبار ليخبره بها عني. عندما لا تكون قصة غير صحية، فهي قضية جديدة للتنديد أو اللوم بشأن علاقتنا. لديه دائمًا كلمة تجرح كبريائه وتقلبه ضدي.

تتصلب ملامح الحاجة:

تريد أن تعرف ؟ هذا العاهل هو القمامة الحقيقية! أشعر بكراهية لا حدود لها تجاهه! سأفعل أي شيء للقضاء عليه!

وتضيف والدموع في عينيها:

إنه المسؤول عن كل مصائبي، ذلك الوغد الحقير!
في بلد يعتمد فيه الجميع على المزاج الملكي، يمكنك أن تتوقع أي شيء! لذا، قبل أن تنطفئ الأضواء بالنسبة لي وللجنرال، أريد أن أخالف التوقعات من خلال القضاء على الملك وبعض من أقرب حاشيته. حاشية الملك هي المشكلة الحقيقية في المغرب! إنه يفسد البلاد ولا يحب الملك ولا الشعب. إنهم مرؤوسون وأشخاص حريصون على طاعته، لكن يجب عدم الثقة بهم مثل الطاعون. سنطهر هذا البلد، ونطهره، ونعقمه، صدقوني! وسيتعين على الملك الخضوع أو الاستقالة، في نفس الوقت الذي سيتعين فيه عليه الاعتراف بحقوق الشعب البربري منذ قرون!

- لكن هل تريدين اتباع نظام القذافي أم ماذا؟

- مستحيل ! نحن متحضرون وحديثون! في نظري، الملكية الدستورية هي النظام المثالي، أو ربما الوصاية. وعلى الملك أن يتنازل عن العرش لتسليم العرش لابنه. وبالتالي ستكون الولادة غير مؤلمة... لن يتمكن ابنه من

تولي السلطة إلا عندما يصل إلى سن الرشد، وهذا من شأنه أن يمنح زوجي، الوصي، الوقت الكافي لتغيير الهياكل المتصلبة والفاسدة في هذا البلد بشكل فعال وغير قابل للعلاج. . وسيتم إعادة صياغة بعض نصوص الدستور.

وفجأة صرخت متعجباً من محتوى كلامهh:

لكنك تتحدث معي عن انقلاب!

تجيبني دون أن تنهار:

نعم، انها مجرد مثل هذا. ولكني أكرر لك، هدفنا ليس اغتيال الملك، بل مجرد إرغامه على التنازل عن العرش لابنه.

وهل يوافق الجنرال حقًا على كل هذا؟

لماذا تسألني هذا؟ ألا تعتقد أنني سأبعد الملك عن الحكم لوحدي؟

أجد صعوبة في تصديق أنه سيفعل مثل هذا الفعل طواعية.

حتى بسبب حبه لزوجته..

الحاجة تضحك:

أنت إذن ساذج جدًا إذا كنت لا تزال تؤمن بهذه القيم! النجاح وحده هو المهم، وهو المبرر لجميع الوسائل المستخدمة لتحقيقه، مهما كانت مخزية... إذا كنت قادرًا على محبتي، فيمكنك بسهولة احتضان مُثُلي وآرائي وتصوري للحياةو الأخلاق.

كما تعلمين يا حاجة، أنا لست مثالي على الإطلاق. علاوة على ذلك، فإن السياسة المغربية والسياسة بشكل عام ليست من اهتماماتي.

وإذ ترى أنه على الرغم من جهودها لإقناعي بأنني سأبقى مخلصة لقناعاتي، فإنها تصر:

الجنرال قاسي، انتقامي، سادي، مستعد دائمًا لقتل ضحاياه بالسكين وبنفسه. لكنه صادق ومخلص. إنه لا يوافق على طموحي ويكره الخيانات التي ينطوي عليها. وحتى لو لم يعد يحتمل الملك منذ الحكم بالإعدام على معظم أصدقائه، بعد الانقلاب الدموي المجهض في الصخيرات، إذا كان يوبخه باستمرار لأنه يفضل حاشيته على جنوده، فإنه ضد الانقلابات، التي هي بالنسبة له

مظاهرة الفوضى والخراب. وبمرور الوقت، سأنتهي بإقناعه بأنه يجب عليه القضاء على من حوله. وبعد ذلك، بمجرد إبادة الحشرات، سأدفعه للقضاء على الملك. أقسم لك أنه لن يهرب مني! سأموت أو سأحصل على العدالة.

صرخت الحاجة فجأة وهي ترفع رأسها وذراعيها نحو السماء وكأنها تدعو الله ليشهد:

وهناك، بمساعدت الله، سنكون قادرين، نحن البربر، على تغيير شكل هذا البلد واتخاذ طريق التجديد!

والعرب هل هم سنعدم في الأعلى والأسفل؟ حتى لو تمكن زوجك من التخلص من الملك، فسيظل أمامه بضع عشرات الملايين من العرب لإخضاعهم. كيف سيفعلها؟

سوف يقوم بفحصهم، هذا كل شيء! إنه قادر على ذلك، صدقني!

لا تنسوا أننا، نحن البربر، إذا خسرنا معركتنا ضد العرب، فذلك بسبب الفرنسيين وعملية Écouvillon[11]،

11 - تدخل الجيش الفرنسي في فيفري 1958 لإستتباب الأمن في الصحراء الغربية، وطرد المجاهدين المغاربة من الجيش التحرير الوطني

التي تسببت في سقوط الكثير من القتلى في صفوف البربر. وإلا أكلنا العرب أحياء!

ولكن بمجرد هزيمتهم، ماذا تفعل بهم؟

نضعهم في الاحتياطيات كما فعل الأمريكيون في الولايات المتحدة، مع الهنود! أو يتم إعادتهم إلى المملكة العربية السعودية واليمن.

أعتقد أنك تحلم قليلاً يا حاجة.

ولكن هذا ينبغي أن يجعلك سعيدا، أليس كذلك؟ أنتم الذي نصف أمازيغ؟ وعلى أية حال، أتمنى أن تكون معنا يوم ينهض شعبنا. هذه المعركة ستكون لك أيضًا، كما كانت لفترة طويلة مع والدتك وأبيها...

أما أنا، فمعركتي تجري في الملاهي الليلية، وليس مع المتيك[12].

يتعين عليك أن تشعر بالقلق إزاء انتمائك لهذا الشعب وأن تقاتل بطريقة أو بأخرى من أجل اتفاضته.

---

12 -métèque وهو الشخص الذي ليس له حق في المواطنة

في المغرب، لا ينبغي الشفقة على البربر. ولن ألـتزم بأي حال من الأحوال بآرائك التي في نظـري محض خيـال. حتى لو كنت أنتقد أحيانًا سياسات الحسن الثـاني أو أشـعر بالاستياء منه بسبب الأخطاء التي ارتكبهـا مـع والـدي منـذ فترة. ورغم أنـه دكتـاتور إلا أنـني معجب بذكائـه في عـالم يتجه نحو الظلام والغبـاء. وأثبت أنـه يمتلـك صـفات رجـل الدولة.

وأنا أتحدث معها، تومض عيناها، لكنهـا تـسـمح لي بالتحـدث. تظهـر لي كـامرأة مقذوفـة، مجروحـة، مكسـورة بسبب الشر الملكي، وغباء من حولها، وسلبية زوجها. امـرأة متعطشة للانتقام والسلطة والحريـة.

وإدراكـًا منهـا أن مثـل هـذه المـؤامرة يمكن أن تضـر عائلتها وأصدقائها، أتوسل إليها أن تتخلى عن أفكارها.

لكن على أيـة حـال، يـا عزيـزي، لا يمكنـك أن تطلب مـــني أن أتخلى عن كـــل شـــيء من أجلـــك، في حين أن الملايين من الناس ينتظرونني بفارغ الصـبر لإخـراجهم من بؤسهم.

فجأة ألقت الحاجة نظرة ماكرة، وكأنها تريد تغيير اتجاه حديثنا:

تحدثنا كثيرا عن حياتي. ما رأيك أن نتحدث عنك يا عزيزي؟ من والديك مثلا...

أنا أستفسر أولا، مسليا:

لماذا تريد أن تعرف عن حياتهم؟ ماذا عليك أن تخبرني عن والدي؟

أن والدك الذي يعيش حاليا في طنجة مع والدتك، هو طبيب ممتاز...

قشعريرة تسري في جسدي كله.

... أنه كثيرًا ما يمارس الجنس في مكتبه مع امرأة شابة من طنجة وأنه لا يقوم فقط بإصلاح غشاء بكارة النساء اليائسات اللاتي يستشيرنه ... وأضيف أن والدك يعرف أن زوجته تدينه وأنه يأكل كل يوم مع حبيبها وهو يعلم أنه سيعتني بها بعد ذلك، وبالتالي يعفيه من واجباته...

هنا أعترف أنك تثير إعجابي! لست على علم بهذا الوضع وليس لدي أدنى شك في أنه حقيقي. كيف يمكنك أن تعرف كل هذا، حاجة؟ هل تستخدمين شبكات أوفقير؟

لدي شبكاتي الخاصة وأرجوك أن تؤمن بأنها فعالة بنفس القدر...

تعيدني هذه الإشارة فجأة إلى ذكرى ثلاثة رجال، جميعهم فرنسيون، رأيتهم في منزلها قبل بضعة أيام. لقد وصلت للتو وكانت معهم في غرفة الإستقبال. من الواضح أنهم أنهوا للتو محادثتهم. لقد بدوا جميعًا، بما في ذلك الحاجة، متواطئين وخطرين. عندما رأوني أقترب، وقف الرجال الثلاثة، وسلموا علي وعلى الحاجة قبل مغادرة الأماكن. طلبت مني الحاجة أن أنتظرها وغادرت الغرفة بحقيبة كانت عند قدميها. وعندما عادت خالي الوفاض، بدت أكثر استرخاءً.

فجأة، تغلب عل شعور عميق بعدم الارتياح. أشعر بإحباط شديد، اختفاء الأحاسيس اللطيفة التي جعلتني

معلقًا على سحابة من القطن. ينخفض معدل نبضي فجأة. أشعر وكأن قلبي يريد أن يتوقف عن النبض. يبدو أن دمي في عروقي لم يعد يدور. في ذهني كل شيء يتصارع. يبدو الأمر كما لو أنني في مصعد ينزل بسرعة مذهلة.

أنا في منتصف الهبوط إلى الجحيم. الجميع يخافها: فهي تختبر وتعلن انتهاء التأثيرات تدريجيًا. الحاجة، من جانبها، التي أصبحت بعيدة على نحو متزايد، تراقبني بعينين نصف مغمضتين، وكأس من الشمبانيا في يد، وسيجارة مشتعلة في اليد الأخرى. وشيئًا فشيئًا ينتصر عليها النوم. يميل رأسها على مسند الذراع وتغفو فجأة.

وفجأة، وبعد بضع دقائق، ولدهشتي الكبيرة، استيقظت. تفتح عينيها على اتساعهما، كما لو كان لديها نور. وفي موجة أخيرة من الطاقة، تهمس لي:

أنت الآن تعرف سري يا جيرارد. حافظ على الصمت العميق واستعد لمشاركة مصيري.

بـهذه الكلمات، دخلت غرفـة النـوم، حيث اسـتلقت، وغرقت على الفور بين ذراعي مورفيوس. ليس لدي أي شيء أفضل لأفعله، فأنا أقلدها.

الفصل الرابع عشر

تتبعها ليلة طويلة من النوم، ويصبح الاستيقاظ صعبًا. في مزاج سيئ، الحاجة غاضبة. للوهلة الأولى، لدي انطباع بأن لديها شيئًا جادًا لتقوله لي. ربما تشعر بخيبة أمل بسبب رفضي في اليوم السابق وتريد أن تتركني؟ أم أنها ندمت على إخباري بسرها؟ تستعد، وتضع مكياجها من دون كلمة حلوة أو لئيمة بالنسبة لي، ولا لفتة حنونة أو عدوانية، ولا نظرة حب أو اتهام. لا شئ.

وهي تغادر، تؤكد لي بسخرية:

حسنًا، أنا في طريقي للخارج. شكرا لك على هذه الأمسية التي لا تنسى.

وأنا مشمئزاً ، لا أجيب. متعب، مكسور، أعود إلى الفراش.

حوالي الساعة السادسة مساءًا، استيقظت على رنين الهاتف.

أتوقع كـل شـيء باسـتثناء مكالمـة من المـرأة الـتي أسـمع صـوتها الأجش قليلاً على الطـرف الآخـر من الخـط: الحاجة تسألني عن صحتي.

علي كل اجابـة، أظهـر عـدم رضـايا على الشـمبانيا والسـجائر، وعلى وجـه الخصـوص، الكوكـايين وآثارهـا الكارثية، وأقسم أنني لن يتم القبض عليّ وأنا أفعـل ذلـك مرة أخرى.

هي تضحك.

لقـد سـمعت ذلـك من قبـل! ولكن إذا كنت تريـد، سنتحدث عن ذلك مرة أخرى. في انتظار ذلك، أريـد أن أراك صـباح الغـد في مـنزلي السـاعة الحاديـة عشـر، هـل هـذا يساعدك؟

مـر اليـوم التـالي بحلاوة شـاعرية. مسـتلقين على الرمال الدافئة نتبادل كلمات الحب والقبلات والمداعبات. نحن ننشر أنفسنا في القسم.

أشــعر أنــني بحالــة جيــدة جــدا بجانبهــا. لم أكن مهووسًا بامرأة من قبل. إنها جميلة جدًا ومحببة جدًا... في السادسة والعشرين من عمري، تغيرت بسبب هذه العلاقة.

كنت غــارق في أفكــاري، ولم أهتم بمليكــة، ابنــة الحاجة. لقد اكتشفت أنها جالسة بالقرب منا للتجسس علينا بشكل أفضل. وهي جالسة على الرمال، وتراقب مجيء وذهاب السباحين، وتلقي نظرة خاطفة علينا من وقت لآخر. لاحظت اهتمامي بأشكال جسمها، فاتخذت مظهرًا فاتنًا وأوضاعًا شهوانية. وتحت ذريعة تغطية جسدها بواقي من الشمس، تنهض وتداعب جسدها الرائع بشكل غير محتشم. أمنع نفسي من الذوبان عند رؤية مزيج من الكمال الشيطاني والجمال الملائكي!

تتجه نحو البحر.

بعدما انتهت من السباحة ، تخاطبنا:

مرحباً يا طيور الحب، هل أنتم بخير؟

رمقتها الحاجة بنظرة مضطربة:

همم! أشم فيك رائحة الكبريت.

مستحيل ! ما الذي تبحث عنه هناك؟

لقد جئت فقط للاستفسار عن صحتكم. عادي، أليس كذلك؟

لا يأتي هذا منك، لا... ولكن بما أنك تريد أن تعرف كيف هي أحوالنا، فاعلم أننا بخير. فقط يمكن أن يكون أفضل لك أن تذهبي وتبختري في مكان آخر!

ترد مليكة بوقاحة:

حسنًا ! أليست هذه أمي التي تكتشف نفسها غيورة وغير واثقة من نفسها؟ كم هو مضحك أن أراك مجددًا بوجهك الحقيقي، بعد كل الحيل التي قمت بها مؤخرًا لإغواء جيرارد.

أجدك متهورةً بعض الشيء لتظهر شبه عاريةٍ أمام جيرارد، فقط لتحفيز حواسه. هل أنت في عجلة من أمرك لتحل محلي في قلبه إلى حد التصرف بهذه الطريقة، باتباع الطرق المختصرة؟

ولكن يا أمي، كنت أحبيك فقط!

ليس لديك ما تفعله هنا! يجب أن تلعب الدمى مـع الأطفال في عمرك!

نعم. مثلـــك، يجب أن تقـــوم بحياكـــة الســـترات لأحفادك المستقبليين بدلاً من التباهي مع قواد[13]!

وإذا تفاجـأت بفـرح، بـأن أكـون موضـوع التنـافس بينهمـا، فـإنني في نفس الـوقت أشـعر بـالقلق. أنـا أمشـي فوق البيض. سيتعين علي تجنب جعل الأمور اكثر سوءاً.

تـرى الحاجـة أنـه من الضـروري تـرتيب أفكـاري دون مزيد من التأخير، إذ تقول لي بنبرة تهديد:

أعلم أن مليكة تنجذب إليك بشدة وأنا آأسفة لـذلك. قبـل كـل شـيء، لا تقـل لي أنـني مخطئ، فإنـك سـتهين ذكائي وأنا لا أحب هذا! لقـد رأيت ذلـك في عينيـك عنـدما لاحظتهـا أثنـاء وقوفهـا. أفضـل أن أحـذرك: إذا خـدعتني معهـا، فلن تضـطر إلى التعامـل مـع زوجي، بـل معي أنـا. انتقامي ليس له حدودا. سأخصيك وأكـل خصيتيك حـتى تختنق!

---

13 - هو شاب يعيش مع إمرأة تكبره سنا وهي التي تصرف عليه

فقط ذلك! هل يجب أن أفهم أنك لا تثق بي؟

أنا أثق في مشاعرك، وليس مبادئك.

كنت على خطأ. كانت ستقدم لي مؤخرتها لرشوتي بأنها لن تنجح.

هذا ما تظنه ! كن حذرا، أنت تقلل من شأنها!

هـل تبـالغ في إخفاقـات ابنتهـا لتجعلهـا غـير متعاطفـة معي؟ سـيكون ذلـك مجهـودًا ضـائعًا: ومن المفارقة أن الوصف الذي قدمته لي يجعل الأمر أكثر جمـالًا وأكثر إثارة للاهتمام بها. إنني أغذي رغبة غاضبة تجاهها، ممـا يـؤجج اليـأس الـذي ولـد من الطبيعـة المحبطـة وغـير القابلة للتحقيق لخيالي.

لقد تم تحذيرك. أنا من تريد وليس أي شخص آخر، فلن يكون هنـاك شـك في أنـك تلعب بمشـاعري أو تـأخـذ معي الحريـة الـتي تأخـذها مـع النسـاء الأخريـات. يجب أن تعلم أنك إذا عدت لرؤيتي غـدًا، فسيكون ذلـك في نظـري التزامًا نهائيًا واعترافًا بالحب الأبـدي. ومن هنـا، سـأحتفظ بالحق في حرمانك من صفاتك عند أدنى خطأ.

كـوني واقـع في حبهـا، أرحب بهـذه الكلمـات بارتيـاح واقعيـة، بينمـا أتسـاءل، مـع ذلـك، عن نـوع المـرأة الـتي أتعامل معها.

في اليوم التـالي، كنت متشوقًا لأن أكـون بصـحبتـها مرة أخرى، فذهبت إلى منزلها. لسوء الحظ علمت من مليكة أن الحاجـة موجـودة في مكتب كـاتب العـدل. نظـرًا لعـدم وجـود أي شـيء مفـاجئ في هـذا الغيـاب بالنسـبة لامـرأة مشغولة كهذه، قررت انتظار عودتها.

أجلس على كرسـي بـالقرب من البحـر لأتشـمس بهـدوء، وأسـتمتع مقـدمًا باللحظـة الـتي سـتأخذني فيهـا الحاجة، السعيدة برؤيـتي مرة أخرى، بين ذراعيها.

غارق في أفكـاري، لا أهتم بـالمرأة الـتي تجلس على بعـد خطـوات قليلـة مـني. أتعـرف على مليكـة من انحنـاء ظهرها، وردفهـا الصـغير المسـتدير، وبشـرتها النحاسـية... تستـدير فجأة وتبكي:

مهلا، ولكن هذا هو جيرارد الوسيم الذي أمسكته هناك وهو ينظر إلى مؤخرتي! لن تجعل أمي سعيدة لسماع ذلك، هل تعلم؟

لا تسيئي فهم نواياي يا مليكة، كنت أحاول فقط معرفة من كان مستلقيًا على الرمال، هذا كل ما في الأمر.

أنا أمزح ! لن أخبر والدتي، لا تقلق. طالما أنك لطيف معي حتى تعود. ألا تغريك السباحة في البحر المفتوح؟

اتفقنا. سأرافقك، ولكن من مسافة بعيدة، فقط في حالة وجود مشكلة لديك.

عندما رأت أن خدعتها نجحت، سرعان ما بدت منهكة عمدا وانجرفت في الماء، حتى أدعمها بالسماح لها بالتنفس. وبالطبع للحصول على الدعم أحملها بين ذراعي ثم تبدأ المشكلة. كيف يمكن لهذا الجسد الحلم أن يمر بين ذراعي، ويتحرك ويفركني بابتسامته المغرية دون أن يزعجني؟... وفجأة، يدفعني انفجار الوعي إلى تركها.

دون أن ألتفت وأعلم جيدًا أن مليكة لن تغرق، عدت إلى الشاطئ واستلقيت.

أحاول التظاهر بعدم الاهتمام الكامل بها. ولكن !

أنا تحت رحمتها، إنها تصيبني بالجنون! لم أعد أجرؤ على الكلام، معتبرة حتى التبادل اللفظي معها عملاً مساومة. إنها تتحمل الأمر وتبتهج: لقد أصبح ضعفي أفضل. قد تتظاهر الشابة بالسعادة في هذا الموقف، لكنها بعد ساعة تقضم بصوت عالي. واثقة من سحرها، دعتني بلهجة لطيفة لفرك بعض الواقي من الشمس على ظهرها. في مواجهة ترددي، أصرت مليكة بابتسامة محبطة. هذه الفتاة التي يفترض أنها عذراء وحكيمة، والتي لا تعرف شيئًا عن الحب عادة، تزيد من شكوكي.

لكنك لا تفكر في ذلك، للأسف! هل تريدني ميتتاً أم ماذا؟

من أين تأتي بمثل هذه الأفكار؟ أنت لا تصدق أن والدتي سوف تقتلك لمثل هذا الوقت القصير؟

القليل جدا ! هل فكرت للحظة فيما ستفكر به إذا أمسكت بي وأنا أضع يدي على ثدييك مع واقي الشمس؟ إنها بالفعل متشككة في كلانا ...

خيالـك خصـب للغايـة يـا عزيـزي! أنت تبحث عن مشـاكل حيث لا يوجـد أي منهـا. أعـرف والـدتي جيـدًا بمـا يكفي لأعلم أنهـا اسـتخدمت ابـتزازهـا المعتـاد عليـك مـع الرجال الذين تحبهم بشكل خاص. لا تصـدق أنهـا تشـعر بحب صادق وعميق لـك. بالنسـبة لهـا أنت مجـرد بيـدق، لا شيء سوى وسيلة لتأكيد تفوقها علي من حيث الإغواء في المنافسة التي جعلتنـا، لبعض الـوقت، منافسـين جـديين. وربمــا أيضًــا وسـيلة الوصــول إلى شــيء معين يغيب عن ذهني في الوقت الحالي. ولكن ليس العاطفة، وأنا لا أصـدق ذلك لثانية واحدة.

صـحيح أن والـدتك هـددتني بأشـد العقوبـات في حالــة الخيانــة. لكنــني لا أســتطيع أن أرغب في الخضــوع للأوهـام المتقلبـة لشـابة متهـورة مثلـك، حـتى لـو كنت معجبًا بك، دون أن أتهم بالضرورة بكـوني جبانًـا أو عاشـقًا خاضعًا لاستبداد والدتك.

ولقطـع هـذا الحـوار وعـدم المخـاطرة بالاستسـلام للإغراء، نهضت وأذهب للسباحة.

وعندما عـدت عـادت مليكـة إلى مكانهـا. اسـتلقيت على الرمال وأغمضت عيني لأفتحهما بعد دقائق قليلة...

انفجـرت حبـات المـاء البـارد على رأسـي، لكنـني لا أرفعها. احتمال أن يجذبني سحر مليكة مرة أخرى يشجعني على دفن رأسي في الرمال...

انهض أيها الوغد الصغير! تعال واسبح معي!

سعدت بسماع صوت الحاجة، فقفزت لمواجهتها:

ها أنت ذا أخيرا ! أين كنت ؟

لقـد كنت عنـد الموثـق الخـاص بي. ولكنـني الآن تحررت من كل القيود و...

بـأكبر قـدر من البراعـة في العـالم، ألقت الحاجـة بـذراعيها حـول عنقي، سـعيدة لأنهـا تمكنت من طمـأنتي بآلاف المواقف الحنونة بأنها تفتقدني.

فجـأة تقفـز مليكـة وتتجـه نحونـا. لقـد تحـولت إلى شاحب من الخوف.

هـل سـترمي كـل شـيء بعيـدًا؟ تبـدأ محادثـة مـع والدتها باللغة العربيـة الـتي بالكـاد أفهمهـا. من الواضح

أنني مقتنع بأنها تسبب لي وقتًا عصيبًا. أجهد أذني على أمل التقاط بعض الحكايات المفهومة. بسرعة كبيرة أنا مطمئن. أفهم أن مليكة تلوم والدتها بشدة. عندما ينتهوا من المشاحنات، مليكة، بعد أن استنفدت كل مرارتها تقريبًا، تميل نحوي وتهمس لي بابتسامة أميز فيها بين الاستسلام المصطنع، والتلميح إلى التساهل، والكثير من التواطؤ والسخرية وحتى أوقية من البهجة :

يجب أن تحصل على شهادة الإنقاذ الخاصة بك، وأنا متأكد من أنها ستكون مفيدة لك في المستقبل...

احمر خجلا مثل طفل أكتشف كذبه.

بعد رحيل ابنتها، يبدو أن الحاجة، متأثرة بنقاشها معها، تشيد بإخلاصي. لقد أصرت فجأة على سلوكي المثالي في غيابها وأخبرتني أنها الآن مقتنعة بإخلاصي الكامل لشخصها.

وقبل أن ننتهي من السباحة بعد الظهر، دعتني إلى عشاء على ضوء الشموع مساء اليوم التالي في أرقى

مطعم على الساحل. تعويضاً عن الضرر المعنوي الذي تعرضت له بسبب شكوكها.

عندما تأتي الحاجة لاصطحابي، كنت أرتدي ملابسي بالكامل. أما هي فكانت مبهرة في زي مدروس، تجمع بين الشرق والغرب، تنضح بالأناقة الراقية.

نجلس بشكل مريح على طاولة المطعم الأكثر تميزًا في المنطقة، على شرفة مزدحمة تطل على البحر الأبيض المتوسط، نلتهم أنفسنا بأعيننا. أدركت بسرعة أننا زوجان غير عاديين في المنطقة. أنا، مع ملابسي التي يمكن مقارنتها بزي القواد. فهي تتميز بتناغمها التام ومجوهراتها الشرقية وهالة نسبها الرفيع.

وبفضل المشروبات الكحولية التي تتعاطيها، تبتهج وتتحدث معي عن حياتها ومجدها وأولادها والسعادة التي تشعر بها لكونها زوجة الجنرال.

زوجي عبارة عن شجرة عجوز لم تتمكن أي عاصفة سواي من السيطرة عليها... لقد كان الرجل الوحيد الذي

فهمـني. وإذا تخلى عـني لفـترة رغم الحب المجنـون الـذي يكنه لي، فهو لم يتبرأ مني أبداً.

لكن لماذا تخلى عنك إذا كان يحبك كثيراً؟

أتعلم يـا عزيـزتي، علاقـتي بـالجنرال كـانت دائمـا معقدة للغاية. إنه رجل يعتقد أنه صلب، لكنه في الحقيقة هش للغايــة على المســتوى العــاطفي. يمكن أن يصــبح خطيرًا جدًا عندما يعتقد أن كرامته تتعرض للخطر.

وهذا يعني عندما نضع القرون عليها، أليس كذلك؟

تماما ! بطريقـة مـا يـدفعني للبحث في مكـان آخـر، للهروب من التزاماته الزوجية. لكنه يظهر مخالبه ويحـرص على شحذها عندما يشعر أن هناك من يريـد أن يسـلبه إلى الأبد. هل تفهم ذلك؟

نعم يمكنـني أن أفهم. لكن هـذا يعـني أنـه يخـاطر بشــحذ مخالبــه في اليــوم الــذي يعلم فيــه أن علاقتنــا مستمرة...

يمكننا أن نرى الأمر هكذا، نعم.

منظـور سـاحر... بمعـنى آخـر، إذا فهمت رسـالتك بشـكل صحيح، فهل يجب أن أتوقف عن رؤيتك خلال أيـام قليلـة لأتجنب أن يمزقني زوجك إرباً إرباً؟

سيكون الأمر متروكًا لـك لتقـرر اليـوم الـذي سـأغادر فيه. أما أنا فلا أطلب سوى الاستمرار في هذه العلاقـة. الآن، إذا قـررت الاسـتمرار في رؤيـتي، فسـتكون مسـؤوليتك وحدك. لا يمكنك القول بأنني لم أحذرك..

بالنسبة لي كل ذلـك قـد شـوهد! من المسـتحيل أن أغضب أمام زوجك. إذا كنت متأكـدًا من حبـك، فسـيتطلب الأمر أكثر من مجرد زوج من المخالب الحادة لترهيبي.

أنت رائع يا عزيزتي عندما تتحـدث بهـذه الطريقـة. لكن لست أول من استخدم هذه اللغة، كما تعلم. أشـخاص أقوى وأكثر شجاعة منك قالوا هذا الكلام . وأين هم اليوم؟

فجأة، تجمد نظري.

عند مدخل المطعم يظهر مهيبًا وينظـر حولـه بعين ثاقبة. الجنرال أوفقير! لا يبدو أن الحاجة لاحظت دهشـتي، فقـد صبت لنفسـها كأسًـا من المسـكر. دمـائي تسيل من

عروقي. إنه بالتأكيد يبحث عنا وقد فات الأوان بالنسبة لي لمحاولة الاختباء. سيتم رصدي بشكل أسرع. الآن تحول وجهه في اتجاهنا. لقد رآنا.

لم يبق لي سوى حل واحد، وهو الدفاع عن نفسي. مذعورًا، أخذت سكينًا من فوق الطاولة وأخفيته بين فخذي. عندما رأتني الحاجة أفعل هذا، نظرت إلي بتساؤل وأدارت رأسها نحو المدخل. ثم تكتشف سبب الضغط الشديد الذي أعانيه ولا يمكنها احتواء ابتسامة طفيفة. أريد أن أصرخ في وجهها بأن هذا الوضع المأساوي لا يصلح لمثل هذا التفاهة، ولكن لدي أشياء أفضل للقيام بها. كل شيء يحدث بسرعة كبيرة، الجنرال يتحرك نحونا بسرعة. يحدق بي وأحمل نظراته لبضع ثوان قبل أن أنظر حولي لفترة وجيزة. في كلتا الحالتين، لقد انتهيت. سيموت أحدنا أو يصاب بجروح خطيرة خلال ثوانٍ قليلة.

وإذا خرجت حياً، أو حتى منتصراً، فسوف أنهي أيامي في السجن...

عندما يصل الجنرال إلى مستوانا، أقف، على حـذري، والسـكين مخبـأة في يـدي المسـحوبة. أوفقـير يتجمـد ويستجوب الحاجة.

تضحك دون أن تقلق بشأن نظرة زوجها المستاءة التي تركز علينا. أشعر بالاضطراب والشعور بأنني خارج نطاق السيطرة، دون أن أعرف السبب حتى الآن، أشعر بالغليان سطحيا.

عندما رأى الجنرال نصل السكين بارزًا خلفي، تراجع إلى الوراء. ردة فعله فاجأتني، رجل مثله..

سيدي، من فضلك ضع هذا السكين جانباً! أنت على وشك إيذاء شخص ما..

الحاجة تضحك بقوة أكبر.

أقسم لي أنك لن تحاول أي شيء ضدي بعد ذلك.

لكن يا سيدي هل أنت مجنون؟ أنا مجرد عامل!

إنه شبيه الجنرال أوفقير يا جيرارد! إنه يعمل لدي، ضع سكينتك جانباً.

ألقيت السكين جانباً، ولم أسترخي بعد. أسقط ذراعي، أريد أن أهين هذا المغتصب. حتى أنني أريد أن أعطيه واحدة لأنه يسخر مني أمام الجميع. لكنني سأظل أعتبر أكبر أحمق. ونتيجة لذلك، أحاول أن أهدأ وأجلس مرة أخرى.

تنهض الحاجة ويتحدث في أذنه وتجلس مرة أخرى بينما هو ينصرف. تتأكد بنظرة واحدة أن الأمور من حولنا تعود إلى طبيعتها، ثم تسألني:

قل لي يا حبيبي، أوقفني إذا كنت مخطئةً، لكن يبدو لي أنك كنت خائفًا جدًا عندما اندفع ذلك الرجل نحونا...

في الواقع اعتقدت أنه هو الجنرال وأنه سيأتي ليطالبني بالمحاسبة. فقمت وأنا أنوي أن أعطيه الحساب.

نعم بسكين! هل أنت مجنون أم ماذا؟ بالإضافة إلى أن زوجي يحاسبك في مطعم هو أمر جنوني! ولكن من أين لك ذلك؟

من مخيلتي بالتأكيد. ماذا تريـدين، يقولـون أشـياء كثيرة عن زوجك بحيث ينتهي بنا الأمر حتماً إلى الاعتقـاد بأنه قادر على أي شيء.

لكنه قادر على كل شـيء! لكنـه ليس بالرجـل الـذي ينغمس في الغضـــب المفــاجئ علنًــا. وكـــان دائمـــا في السيطرة الكاملة على نفسه.

في وقت لاحق من المساء، أرشدتني الحاجة إلى نادٍ خـاص. أدخل دون اقتناع لإرضائها فقط.

أشعر بأنها مرتاحة في هذا المكان حيث تعلم أنهـا في قلب التعليقات، حيث تتباهى بطفلهـا الصغير مثـل الكأس، تمامًا مثل ملابسها المبهرة.

كل التكريم لها وأنا فخور بذلك. إنها تنضح بالكثير من النعمة والنور! على المسار يتحـرك بشـكل رائـع ولا يمـر دون أن يلاحظه أحد. إنهـا تـرقص الفلامنكـو، من بين أمـور أخرى، بإتقـان وموهبـة مذهلـة. سـرعان مـا أصـبح المغـني والـراقص اللامـع مانيتـاس دي بلاتـا شـريكًا محـط إعجـاب وحسـد في العديـد من المقطوعـات الموسـيقية. ثم نحن

مدعوون إلى طاولة المغني الشهير بالفعل، وهو خوليو إغليسياس، والذي من الواضح أنني لا أتركه غير مبال. لكن على الرغم من أنني أشعر بالارتياح لأنني لست مجرد جزء من الأثاث، إلا أنني مازلت لا أشعر بأنني في بيتي. لاحظت الحاجة ذلك، فتساءلت:

هل أنت بخير يا عزيزي؟

يمكن أن أتحسن. لكن طالما أن الأمر على ما يرام بالنسبة لك، فكل شيء على ما يرام.

يظهر الانزعاج على وجهها:

لا، لا، ليست هذه هي الطريقة التي أرى بها الأشياء! لا يمكنني أن أكون سعيدةً، إلا إذا كنت سعيدًا معي. هل فهمت؟

نعم أنا أفهم، ولكن أشعر بالملل مع هؤلاء الناس. إنهم ليسوا من مستوايا.

أعلم، لكن أليس من الممتع مشاهدتهم وهم يتطورون؟ خاصة عندما تعلم أنه لكي تكون مسافرًا مثاليًا، فأنت مجبر على أن تكون مهذبًا مع ألد أعدائك. يجب أن

نظهـر وكأننـا نسـتمتع مـع الأشـخاص المملين. أن تعـرف كيف تكون تافهاً حتى لـو كنت جـاداً. المس الأشـخاص أو وخــزهم دون أن تحــزنهم بينمــا تمنحهم مهــارة فائقــة ومتعة تمرير الكرة إليك.

إنه أمر ممتع لبعض الوقت ولكن بعد بضع سـاعات تتعب منـه، ومن كـل تصـرفاتهم الغريبـة، عنـدما تكـون عاقلًا وطبيعيًا. أفضِّل أن أظل المغوي الصغير الذي أنا عليـه في بيئتي، بدلاً من أن أصبح شخصـية سيئة السـمعة في هذا العالم الدنيء الذي تستمتع بوصفه بالعالم المثالي.

أتعلمين يــا عزيــزي، إذا كنت لا تحب التواجـد مـع هـؤلاء الأشخاص، هل يمكننا المغادرة؟

فكرة جيدة !

الفصل الخامس عشر

لقـد علمت للتـو أنـه بعـد العمليـة العقابيـة الـتي نفذها أتباع الحاجة في النادي الليلي لعزيـز، تحـول المحـل الى كومـــة رمـــاد، وعزيـــز موجـــود في العنايـــة المركـــزة بالمستشفى.

وعند خروجه من المستشفى بعـد أسـبوعين، يتلقى زيـارة خاطفـة من رجـال الشـرطة بملابس مدنيـة، والـذين جاءوا لإخباره أن السيدة أوفقير قدمت شكوى ضده بتهمـة الاعتداء الجنسي على شخص ضعيف.

وبعـد فـترة وجـيزة ثم العثـور على جثتـه ممزقـة بالرصاص في سيارته...

يبـــدو أن الحاجـــة أوفت بوعودهـــا. لقـــد جعلت من عزيـز، يـدفع حياتـه ثمنـا لسلوكه الوحشـي تجاههـا، ومن الأفضـــل أن أمشـــي بشـــكل مســـتقيم إذا كنت لا أريـــد أن ينتهي بي الأمر مثله.

لكن لعزيز أعداء كثر، لذا ربما لم يكن موته على يد رجال الحاجة. وعلى وجه الخصوص، اضطر إلى الفرار من قتلة الأمن العسكري الجزائري الذين خذلهم قبل بضع سنوات، عندما كان يتولى مهامه هناك، بعد أن سرق منهم بضعة مليارات الدينار التي كان ينبغي استخدامها لدفع رواتبهم. ثم لجأ إلى إسبانيا. وكان الأخيرون يبحثون عنه بلا هوادة لقتله. لكنهم، قبل كل شيء، أرادوا إعادته إلى الجزائر لمحاكمته وإرساله إلى فرقة الإعدام. لا يعدموه في إسبانيا ببرود ودون أحكام..

وفي كل مرة رأى عزيز رجلاً قوياً وحسن المظهر من شمال أفريقيا يقترب منه، كان يخرج سلاحه. وبحسب بعض الشهود، فقد اقتحم رجلان من ذوي البشرة الداكنة الفيلا الخاصة به قبل ساعة من وفاته.

وربما عندما رآهم عزيز ظنهم جنودا جزائريين وأطلق النار عليهم، مما أثار رد فعل مدمرا وقاتلا.

*

**

في صـباح اليـوم التـالي، اسـتيقظت مبكـرًا جـدًا، وذهبت إلى منزل الحاجة كما هو متفق عليه.

خرجت من سـيارتي، وتلاقت أعيننـا. تحمـل الحاجـة الحقيبة التي رأيتهـا بالفعـل عنـدما زارهـا الرجـال الثلاثـة الغرباء.

إنها لا تتأخر علي، تفتح صندوقها وتضـع الأمتعـة المذكورة هناك.

أقطـع مسـافة العشـرة أمتـار بيننـا بسـرعة دون أن أتوقف من مراقبتها. وعندما وصلت إليهـا، كـانت تسـتعد لبدء تشغيل السيارة والمغادرة.

لم يكن لدينا موعد، حاجة؟

وهي تشير إلى أن اثنين من حراسها قادمـان نحـوي للعودة إلى مكانهما، فأجابت:

نعم، ولكن لدي شيء غير متوقـع، جـيرارد. لا بـد لي من الغيات اليوم كله. يمكنك العودة الليلة، إذا كنت تريد.

لا أستطيع أن أقمع غضبي:

لبعض التأخير تكبرين الأمر وهنا تسمحي لنفسك بالذهاب؟ هل تريدني حقًا أن أفعل نفس الشيء ...!

لا تحمله ضدي يا جيرارد! ليس لدي خيار، يجب أن أغادر.

للذهاب الى اين ؟

خفضت صوتها وهي تنظر لحراسها بنظرة خاطفة:

الى سويسرا، في جنيف، لكن لا أستطيع أن أخبرك بالمزيد.

الى سويسرا ؟ هل ستنضم إلى الرجال الثلاثة الذين رأيتهم عندما كانت لديك نفس الحقيبة عند قدميك الأسبوع الماضي؟

الحاجة تشغل محرك.

هل لي حسابات معك يا عزيزي؟

دون أن أجيب وبتعبير الرفض، استدرت نحو سيارتي. تقترب مني الحاجة بسيارتها وتقول في تكتم:

هـــؤلاء الرجـــال الثلاثـــة هم جـــزء من المخـــابرات الفرنسية SDECE وهم مفيدون جدًا بالنسبة لي. قبل كـل شيء، لا تخبر أحـداً بـذلك وعُـد هـذا المسـاء يـا عزيـزي. أنـا أفعل ذلك في أسرع وقت ممكن.

وإنني أتطلع إلى ذهابها بكل اطمئنـان. ومـع ذلـك، أدركت من أين جاءت المعلومات التي أسقطتها عندما كنـا في منزلي، عن والدي وحياتهم الفاسدة.

عند هذه الفكرة، أشعر بالحاجة إلى أن أكون بـالقرب منهم. أذهب إلى المطار وأستقل أول طائرة إلى طنجة.

إنهم سعداء برؤيتي وفي نفس الوقت قلقـون. ومن الواضح أن لديهم أيضًا مؤشراتهم. علاقـتي العاطفيـة مـع الحاجة تحرجهم كثيراً؛ إنهم ينتظرون إشارة مني للحـديث عنها.

على الطاولة، تتخذ والدتي وجود جيوب تحت عيني كذريعة لذلك:

إذن، ياجيرارد، أخبرنا ما الـذي يمنعـك من النـوم في توريمولينـوس؟ الجيـوب السـوداء تحت العيـنين كهـذه ليست بسبب تعب بسيط...

أمي، أنت تعلمين جيـــدًا أنـــني أعيش كثـــيرًا في الليل...

أعلم، لكن الأمـر ليس جديـداً وهـذه العلامـات تحت العينين لا تظهر عـادةً. ولكن في عمـرك لا يمكن أن يكـون ذلـك بسـبب الشـيخوخة. على الأكـثر، هـل سـأخاطر بـذكر القليل من الشيخوخة...؟

كلامك مهبط يا أمي!

اختفت سخرية أمي على الفور:

لكن يا بني هـذه المـرأة عـاهرة! إنهـا تنـام مـع كـل الرجال الوسيمين الذين قدموا لها...

لديك حقـا لسـان سـيء! وكـان لهـا عشـاق، بمـا في ذلك الملك.

لكن ألا تفهمين أن هذه المرأة هديـة من السماء لي؟

أين رأيت أن السماء تقدم الموت كهدية! ألا تعلم ما هي العقوبة التي يفرضها الجنرال أوفقير على الرجال الذين يطلقون عليه أبواقا خطيرة؟

ينهض والدي عن الطاولة بصمت، بعد أن نظر إلى كلامي بشكل بنياني: يوافق على كلام أمي. لكنه ضغط قليلاً على كتفي وقال بجدية:

اعتن بنفسك يا ابني. أعلم أنك ستفتح عيناك عاجلاً أم آجلاً..

*

* *

بعد عودتي من المغرب، وعودة الحاجة من سويسرا، اتصلت به واقترحت أن نذهب هذه المرة إلى مطعم من اختياري في توريمولينوس.

تسترخي الحاجة، وكانت الوجبة لذيذة ووفيرة. تنظر إلي بصمت وابتسامتها تعكس رغبتها في إطالة

هذه اللحظة. ومع ذلك، فأنا مستعجل من أجل وضع حد لهذه التمثيلية. كيف يمكنها أن تتخيل أنني لن أسألها؟ في مكاني كانت ستمطرني بالفعل بالأسئلة...

أبدأ ببطء:

هل أنت بخير يا حاجة؟

وعيناه غارقتان في الحيرة:

نعم لماذا ؟

لأنه ليس متبادلاً..

تقف، متصلبة.

هل أنت لست مرتاح معي؟

نعم بالطبع. لكني لست سعيد بما تخفيه عني..

وهي تلقي نظرة طويلة وخيبة أمل:

حسنا، لقد فهمت. تريد أن تعرف ماذا فعلت في جنيف مع رجال المخابرات الفرنسية SDECE؟

لن أحبك إذا كنت غير مبال.

إنه لشرفك يا عزيزي! لذلك سأكشف لك كل شيء، ولكن لا تنس أبدًا أن تحرس لسانك، وتكم السر.

قربت الحاجة وجهها من وجهي وقالت بهدوء:

هل تعلم أن لدي محل لبيع الملابس في الرباط بالمغرب؟ إنها في الواقع عملية تستر. يسمح لي بتبرير السفر إلى فرنسا وسويسرا لتزويد نفسي بالملابس رسميًا والالتقاء بأعضاء برجال المخابرات الفرنسية SDECE بشكل غير رسمي دون مراقبتهم.

لأي غرض ؟

هل تعرف أيضاً ما الذي أعتزم فعله فيما يتعلق بالحسن الثاني؟

مؤامرة.

بالضبط، ولست الوحيدة التي تريد أن تنفذ هذه المؤامرة. لقد سئمت المخابرات الفرنسية SDECE من الحسن الثاني وسلوكه المتعطش للدماء. هل تعلم أن الفرنسيين هم الذين جعلوا الحسن الثاني يسيطر على محمد الخامس؟

أعرفه...

الآن يعتقـــدون أنهم صـــنعوا وحشًـــا. كمـــا أنهم منزعجون جدًا من ابتـزازه الحالي. وفي كل مرة يواجـه فيهـا مشـكلة مـع الفرنسـيين، فإنـه يلعب بالثقافـة الفرنسـية، موضحًا أنه سيقابل الأمريكـيين وأننـا سـنتحدث الإنجليزيـة غدًا في المغرب وليس الفرنسية.

ديغـول لا يُقـدر هــذه اللعبــة على الإطلاق ويريــد التخلص منه.

– لكن لماذا تتعامـل المخـابرات الفرنسـية SDECE معكم في هذه المؤامرة؟

- بكل بساطة لأنهم هم الـذين أدخلـوا زوجي، الـذي كان آنـذاك نقيبـا في الجيش الفرنسـي، إلى القصـر الملكي وقت اعتلاء محمــد الخــامس العــرش، من أجــل مراقبتــه. سـيكون من الجنـون بالنسـبة لهم التواصـل مباشـرة مـع الجـنرال. انتقـل مباشـرة من الجيش الفرنسـي إلى الجيش المغـربي، لكنـه احتفـظ بالعقليـة الفرنسـية. أوفقـير أحب فرنسا أكثر من المغرب في ذلك الوقت. لكن مع تطوره في الجيش المغـربي، أصـبحت عقليتـه مغربيـة، وعليهم الآن

التصرف بسرعة. إنهم يريدون التخلص من الحسن الثـاني وقتلـه، لكنهم لا يسـتطيعون مقابلـة أوفقـير أو الاقـتراب منه. لأن الحسن الثاني لا يثق به ويراقب كل تحركاته. لـذا، ولأنهم يعرفـون أنـني أسـافر كثـيرًا، فقـد اقـتربوا مـني تدريجيًا، ونظرًا للاستياء الذي أكنه تجاه الحسـن الثـاني، لم يجدوا صعوبة في العثور على حليف مفيد لي.

اتفقنـا على أنـه يجب علينـا قتـل الملـك والاعتمـاد بشكل غير مباشر على أوفقير في ذلك. ويجب دفعه لقتـل الحسن الثاني في الوقت المناسب.

لكن زوجي يقاوم ذلك في الـوقت الحـالي. إنـه ليس جاحـدًا للجميـل، فهـو يعلم أنـه مـدين بمسـيرته ومكانتـه للملـك. وهـو لا يحكم على كـون الحسـن الثـاني طاغيـة. بغض النظر عن مدى صعوبة العـزف على كـل أوتـار قلبـه، فهـو لم يستسـلم بعـد. لقـد جعلتـه يفهم أن الملـك مناهض للأمازيغ على الرغم من أن لديه دماء أمازيغية. أننا يجب أن نساعد مجموعتنا العرقيـة، وأننـا يجب أن نتخلص منه لأنه رجـل مجنـون هـائج. أنـه أبقـاني في قصـره لعـدة

أشـهر، وأنـه اغتصـبني بـالقوة في سـريره من قبـل ليقـوم برمي بعيدا مثل قطعة قماش قديمة.

تصبح الحاجة عبوسة وتتنهد:

أخبرته أنه ليس رجلاً إذا لم ينتقم لي!

هل هذا جعله يتفاعل؟

إنـه يحتـاج إلى المزيـد لزعزعـة اسـتقراره. لكن لـدي أكثر من خيط للقوس، وقد ساعدتني المخـابرات الفرنسـية على زيادة نفوذي عشرة أضعاف. تقنية بسيطة وفعالة من شأنها أن تحدث فرقا عندما يحين الوقت...

لا أستطيع أن أحتوي على ابتسامة وأمزح:

هل أصبحت منوم مغناطيسي؟

أفضـل من ذلـك. لقـد أصـبحت بابـا نويـل في مشاكله...

تضيق عيناي في الحيرة. هي تكمل:

أنت تعلم أن أوفقير مدمن كحول كبير.

انا موافق.

إنـه يشـرب الخمـر بكـثرة كـل ليلـة وليس من غـير المـألوف أن يـذهب إلى العمـل في الصـباح البـاكر دون أن ينام، بعد ليالي البـوكر الـتي قضـاها. بالإضـافة إلى ذلـك، سأوفر لـك مسـاوئ آثـار الكحـول الـتي ألومهـا عليهـا أكـثر فأكثر.

لقد أخبرتني قليلاً عنها بالفعل..

لـذلك قـدمت لـه الهديـة الأولى. الثلج السـحري الشهير. يبطل مفعول الكحول تماماً ويمنحه طاقة جديـدة. ومنـذ ذلـك الحين، قمت بزيـادة الجرعـات... من جرعـات معينـة نحن قـادرون على فعـل أي شـيء، ونعتقـد أننـا لا نقهر. يفعل كل ما أريد ولكن وجد حلا حكيما لطلـبي. لقـد سئم الفساد الكبير والعام وما يفرضه عليه الحسـن الثـاني. وهـو اليومـا موافـق جعـل الملـك عـاجزا ولكن دون قتلـه. يقترح القيام بذلك لتنحيته.

- بالقنابل الجصية؟

تحاول الحاجة أن تفهم سبب استخدامي للسـخرية. دون أن تسيء إلي.

لا، بسلاح أكثر فاعلية، ولكننا سنفجرها عندما يحين الوقت... سأخبرك به لاحقًا. ما رأيك أن نذهب للرقص يا عزيزي؟

مع اقتراب هذه الأمسية الساحرة في مطعم راقص عصري من نهايتها، قمت بقيادة الحاجة نحو منزلها. في حالة سكر قليلاً، تدندن بينما تراقبني. كما لو كانت لديها فكرة في رأسها. عندما رأت طريقًا صغيرًا بالقرب من منزلها، دعتني للذهاب في نزهة على الأقدام.

أوقفت السيارة في زاوية صغيرة والذي أشارت إليها لي. بصرف النظر عن صرخات بعض الطيور الجارحة الليلية، وحفيف أوراق الشجر التي تداعبها الريح بشكل غير محسوس، وتشقق بعض الأغصان الميتة بسبب مرور حيوان بري، يسود الصمت.

صاحت الحاجة مبتهجة:

إنه حقًا مكان مثالي!

على سبيل الإذعان أقبلها بشراهة، وفي الطريق، نحن نعانق بعضنا البعض في المداعبات العاطفية. فجأة، يتغير موقف أرى على بعد خطوات منا شكلاً بشريًا. فهم أننا لسنا وحدنا، أغمض عيني وأرى شخص ضخم يجلس على درجة شاحنة مختبئة بين الأشجار. يأكل تفاحة وهو ينظر في اتجاهي. يأخذ متعة مخدوعة بقطعها بسكين كبير.

حاجة، هل تعرفي هذا الرجل؟

نعم، إنه أحد حراسي الشخصيين. تم نشره هناك للتأكد من أننا لا يمكن الدخول إلى هذا المكان.

أريد أن أصدقك، ولكن لماذا هو مهتم بنا؟ تظن أنه تعرف عليك؟

لا أعتقد ذلك، ولكن هل يزعجك أنه ينظر الينا؟ هذا حقه.

طالما يراقبنا، فأنا لا أهتم. لكنني أخشى أن يأتي ليرى من نحن بسبب الحماس الزائد.

لا أعتقد ذلك، لا. ولكن ماذا يهمك إذا نظر إلينا؟ هذا حقه.

طالما أنه ينظر إلينا، فلا أهتم. لكنني أخشى أن يأتي بسبب الحماسة المفرطة، ليرى من نحن .

لا، فالأمر يتجاوز صلاحياته. وظيفته هي التأكد من عدم محاولة أي شخص القفز فوق الجدار الموجود في ممتلكاتي، هذا كل ما في الأمر.

على هذا الجانب من الجدار يتمتع الناس بحرية التحرك.

ماذا لو أراد أن يخبر الجنرال بما رآه؟

هؤلاء الناس يعرفون أن زوجي على علم بخياناتي. لذا، هذا ليس ما قد يثير اهتمامه. ومن ناحية أخرى، فإن ما يمكن أن يثير غضبه حقًا هو معرفة أن أحد الحراس الشخصيين سمح لنفسه أن يشهد إحدى خياناتي. لذا استرخي وقبلني.

تستأنف مداعباتنا، وفجأة تتوقف مداعباتي فجأة.

ألاحظ وصول العملاق. الـذي يسـلط مصـباحه علي ويحمـل سكين المطبخ الكبير في يده الأخرى.

ماذا تفعل هنا يا سيدي؟

نظـرت إليـه ببطء من الـرأس إلى أخمص القـدمين وأجبت بغضب:

بأي حق تسألني هذا السؤال؟ نحن في بلد حر حـتى يثبت العكس وليس لدي أي مساءلة أمامكم!

شاحب وجهه من الغضب، وألقى الرجل سكينه على الأرض. أخـرج بندقيتـه ووجههـا نحـوي. يهينـني باللغـة العربية، وإثارته تجعلني أخشى الأسوأ. أخشى من الخطأ.

وفجأة، تتدخل الحاجة بأمر عسكري جاف وسلطوي. وبدلاً من أن يهدأ، يضاعف الكلب غضبه ويضيء مصـباحه في اتجاه الحاجة. يصرخ:

كيف ؟ ماذا ؟ من يجرؤ على أن يأمرني؟

إنها أنـا، فاطمـة أوفقـير، سـيدتك، الـتي تجـرؤ على إعطائك أمراً! ألا تتعرف على صوتي؟

فجأة وقف الرجل مستعداً:

لا سيدتي. أنا آسف، لم أتعرف عليك.

وتتابع الحاجة بنفس النبرة:

أعد بندقيتك مرة أخرى إلى مكانها!

بدأت تتحدث معه باللغة العربية، ربما معتقدة أنني لا أفهم تلك اللغة. لكني أحتفظ ببعض الذكريات.. ومن خلال التقاط بعض الكلمات هنا وهناك، أدركت أن الحادثة التي حدثت مع الرجل المزدوج في المطعم وهذه الحادثة ما هي إلا حفلات تنكرية نظمتها الحاجة. من ناحية لتبين لي قوتها وسلطتها، ومن ناحية أخرى لتختبرني.

هذا الاكتشاف يسليني في أعماقي. لكنها في نفس الوقت تكشف لي شخصية الحاجة. يغادر كلب الحراسة، وبعدها، أنهيت ما بدأته بشغف أكبر.

في صباح اليوم التالي، استيقظت مبكرًا جدًا، وذهبت إلى منزل الحاجة، كما تم الاتفاق عليه في اليوم السابق. عند وصولي إلى هناك، أخبرني أحد حراسه الشخصيين:

لقــد تم اســتدعاء الســيدة أوفقــير إلى القنصــلية المغربية لأمر عاجل.

إنهـا آسـفة بشـدة لعـدم حضـورها للـترحيب بـك. لكنهـا تـدعوك لانتظارها على الشاطئ.

في وســط الحديقــة، وجــدت ابنتهــا البريــة. انهــا تتنــاول فطورهــا الصــباحي، مثبتــة تحت شــجرة صــنوبر كبيرة. أتوقف وأحييها بلطف ولكن بحذر:

مرحبا مليكة، هل أنت بخير هذا الصباح؟

لابأس، وكيف حالك؟

في مواجهة ترحيبها الهادئ الغـريب وروح الدعابــة الطيبة التي تتمتع بها، أحاول أن أفعل ذلك لفهم :

جيــد، كالعــادة. أخــبرني، أجــدك مبكــرًا اليــوم، ألم تذهب إلى النادي ليلة أمس؟

لا. و أنت ؟ أجـدك أنت أيضًـا مبكـرةً. بالمناسـبة، إذا كنت أتيت مبكرا لأجل أمي ، لم يحالفـك الحـظ. لأنهـا قـد تغيب كل الصباح. في إنتظار ذلك، تعـال وتنـاول القهـوة معي، قد تجعلك تنشغل نوعا ما.

بعد تبادل الأحاديث القصيرة والقليل من القهوة، متظاهرة بأنها فعلت ذلك سئمت الجلوس وهي تصرخ:

قل لي يا جيرارد، ماذا ستقول لو ذهبنا للاستلقاء على الرمال؟

لأكون صادقًا، لا أعتقد أنها فكرة جيدةً.

لماذا ؟ إذا كان ذلك بسبب المرة الأخيرة، فلا تقلق، فلن أطلب منك أي شيء. وعد مُحَلف !

ماذا يريد مني هذا المؤذ الصغير أيضًا؟ عندما كنت مستلقيًا بجانبها وتحت حراستي، أدركت أنها قررت أخذ حمام شمس في صمت. بعد أن اطمأننت، أبدأ بالاسترخاء، ولكن بعد نصف ساعة، كما يحدث لي غالبًا عندما أكون بالقرب من امرأة منجذبة إليها، تشتعل حواسي.

ثم استدرت، على أمل أن أتمكن من الهروب بأعجوبة بينما أنظر إليها. بدون جدوى ! إذا ظلت حتى ذلك الحين باردة وبعيدة، فإن مليكة كانت مع ذلك تتجسس علي. إنها تنظر بنظرة متفاجئة نحو الشيء الذي أسبب له مشكلة مموهة. أدركت اهتمامي بها، فتحدق بي بعينين تتلألأ

بالرغبـة والـدفء. خوفًـا من احتمـال الانـزلاق، نهضـت واتجهت نحو البحر.

تصرخ:

ولكن إلى أين أنت ذاهب؟ أنت لا تحبـني؟ لمـاذا عليـك أن تهـرب مثـل اللص في كـل مـرة تشـعر فيهـا بوميض ساخن حولي؟

أجبتهـا منزعجًـا من معرفتهـا وعـدم تمكـني من السيطرة على نفسي:

لكن بأي حق تتحدث معي بهذه الطريقة؟

الحق الذي يمنحني إياه الشعور القوي الذي أشـعر بـه تجاهك. لم تفهم ذلك بالفعل؟

لا حقـا لا. مـا الـذي تلعبيـه يـا مليكـة؟ مـاذا أنـا في نظـرك؟ أداة اسـتفزاز ضـد والـدتك؟ نـزوة عـابرة؟ مغـامرة مثيرة؟

حسنًا، بما أنك لا تصدقني، فلننسى كل ذلك. ودعنا نذهب للسباحة، سوف يشغل تفكيرنا عن الأشياء.

لماذا لا، ولكن لا تحاول الغرق مرة أخرى. سيكون عسيرا ضائع...

لدي أفضل أن أقدم لكم. ماذا عن الذهاب للتزلج على الماء؟

التزلج على الماء! هذا من شأنه أن يسعدني.

من سروري أن أضغط على دواسة الوقود الخارجية. أسحب المتزلج في أعقابي لعدة كيلومترات. ثم تسقط، والمثير للدهشة أنها تخلت عن زلاجاتها وهي تصرخ بغضب. وتواصل السباحة نحو القارب. أتوقف بعد ذلك وأواجه كوميديا الموقف، ولا أستطيع مقاومة موجة من الضحك.

توقفت عن السباحة وصرخت:

هل تأتي لتبحث عني؟ أواجه بعض الصعوبة في السباحة.

أنت تسبحي كالسمكة، توقفي!

أنا متعبة.

عنـدما أخرجتهـا من المـاء، تمسـكت بي ووضـعت ذراعيها حول خصري. بخجل أدفعها بعيداً:

توقفي عن هراءك يا مليكة! أنت تذهبي بعيدا جدا!

بينما تسـتمر في ذلـك، قمت بفصـلها عـني بطريقـة غـير رسمية ودفعتها نحو قاع القارب. اشتكت :

أوه! أنا أتألم. لقـد التـوى شـيئا عنـدما سـقطت. لقـد فعلت ذلك عمدا أيها الوغد! سأخبر أمي.

أنت تعلمي أن هــذا غــير مقصــود، لكن افعلي مـــا تريدين!

وبما أنني لا أستطيع التزلج بعد الآن، سـأذهب لأخـذ حمام شمس.

كنت أريــد أن أقــول لهــا أن تــذهب إلى الجحيم إذا أرادت ذلك. لكنني أتوقف على التصـرف بلا مبـالاة والنظـر بعيـدا. فقـط عيـني تميـل أحيانًـا إلى النظـر جانبـا: مليكـة تتشـمس بـالبيكيني! وسـرعان مـا تعـود المشـكلة دون أن أتمكن من معارضتها.

عندما لاحظت إحراجي، بدت في البداية بالاشمئزاز. وقبل أن يتسلى ويهتف بنبرة استهزاء:

هل هذا كل ما عليك أن تريني؟ رأيته أكبر من ذلك بكثير..

فيك سيكون أكثر من كاف، صدقني..

تضحك بمكر وتتحداني:

أطلب أن أرى، الحديث سهل!

لن أخاطر بذلك. لا تصر، فإنه لا طائل منه!

ثم قم بتدليك قدمي على الأقل. أنا أتألم حقًا، كما تعلم.

لقد قمت بتدليكها لعدة دقائق عندما طلبت مني بشكل شهواني أن أذهب إلى أعلى، ثم إلى أعلى...

أمم! أعترف أنني أريد أن أمارس الحب معك، أنا مجنون أنت...

فجأة جردت من كل تردد، أصبت بالجنون واستسلمت.

أخلع ملابس السباحة الخاصة بي وأتوجه لتقبيلها.

ترجع للوراء وتشعر بالخوف:

ماذا تفعل ؟

يبدو لي أنك فعلت كل شيء لإيصالنا إلى هناك، أليس كذلك؟ إذن أنت الآن تحملي الأمر...

ولكن ماذا تريد مني أن أفعل، هل تعلم أنني عذراء؟

لا شئ ! فقط اسمحوا لي أن أفعل ما أريد. أنا لن أخترقك.

أرافق هذه الكلمات بقبلات نارية على رقبتها وأضغط جسدي على جسده. وفجأة بدأت بالصراخ والخدش والنضال.

مندهشًا، أحاول النهوض، لا أفهم. لكنها تدفعني بعنف على الحافة. أجد نفسي في الماء، عارياً كالدودة، بينما هي تشغل القارب السريع بسرعة، تضحك وتتحرك للأمام عدة أمتار. إنها تبتهج.

كنت أعلم جيدًا أيها الأحمق المسكين أنك لن تظل غير حساس تجاه مفاتني لفترة طويلة! لقد حصلتك،

هاه؟ هيا، اعترف بذلك! وأكثر مما تعتقد، لأنه مجرد تدبير للفوز بالرهان الذي قمت به مع أمي!

وأضافت وهي تواجه نظراتي المتسائلة:

أمي وأنا أردنا اختبار ولائك. لقد اقتنعت بتعلقك بها وبوفائك الذي رأت أنه معصوم من الخطأ. وكنت مقتنعًا بأننا إذا تركناك لمدة ساعة بمفردك برفقتي، بعيدًا عن أعين المتطفلين، فسوف ينتهي بك الأمر بالاستسلام لمفاتني. لقد راهننا بمبلغ كبير من المال الذي فزت به الآن. وهذا ما حدث، أليس كذلك؟

لم يكن لدي سوى مترين للسباحة حتى أتمكن من ركوب القارب، لكنها ضغطت على دواسة الوقود مرة أخرى وأبعدت. أتوقف وأرد:

ماذا تقولين! بقدر ما أعرف، لم يحدث شيء!

لقد توقعت سوء النية هذا أيضًا! وأنا متأكدت أن والدتي لن تصدق أي كلمة تقولها لها. هل تريد الرهان أيضا؟

أنــا لا أراهن مــع الفتيــات في عمــرك! لكن مــا الــذي يجعلك واثقةً من نفسك إلى هذه الدرجة؟

بكــل بســاطة لأنهــا تــابعت المشــهد منــذ البدايــة بمنظارها!

ماذا ؟ لكن ما فعلتيه من الحقارة!

ليس أكثر مما فعلت!

كيف يمكنك أن تكوني لئيمة جـدًا معي؟ ألم تتعب من تسميم حياة الآخرين؟ لو كنت أنت، سأشعر بالخجل!

عــار علي! و لمــاذا ؟ الكوميــديا الخاصــة بي تســتحق كوميــدياك. أردت أن تلعب معي، لقــد خســرت. لــذلك على الأقل كن رياضيا واصمت!

هل أصمت أمام عاهرة مثلك؟ أبدا ! أفضل الموت!

فكرة ممتـازة ! بهذه الطريقة سوف تمــوت من أجــل سبب وجيه! أرى من بعيد النقش الذي سأضعه على قــبرك: مات قبــل أوانــه، ضــحية هوســه بــالجنس. حســنًا، إذا عثرنــا عليك، فستجد أن هناك الكثير من أسماك القرش الجائعــة حولك، كما تعلم... ليس سيئًا، أليس كذلك؟ من ناحية، أنا

أزعج أمي، ومن ناحية أخرى، أقلل من ثرثرتك. هذا سوف يعلمك أن تصدق ذلك قليلاً!

لقد خدعتني بشكل جميل علاوة على ذلك فتاة صغيرة بلا عقل.

حسنًا، لقد فزت يا مليكة! أؤكد، أنحني، أتنازل عن العرش! اسمحوا لي أن يأتي الآن، من فضلك. أنا عارٍ وأشعر بالبرد ولا أريد أن أكون وجبة لأسماك القرش.

في هذه الحالة، أسبح بشكل أسرع قليلا. ها! ها! ها!

وبينما هي تغادر أصرخ:

عاهرة! أيتها العاهرة القذرة! ستدفعي لي مقابل كل هذا ذات يوم، وسترى!

ردا على ذلك، ضحكت بأعلى صوت.

أسبح وحيدًا ويائسًا للوصول إلى ساحل الذي لا أستطيع حتى رؤيته. أنا متعب وأشعر بأول لدغة من التشنج في فخذي الأيسر. أقوم بتقييم الموقف: سأغرق أو سأُلتهم! بدافع من غريزة البقاء، أسبح كالمجنون لعدة

مئـات من الأمتـار قبـل أداء تمـرين البلانـك، وأنـا منهـك ومتشائم.

غضب متجدد يجعلني أرفع صوتي:

عأهـــررررررررررررررررررة!

لقـد مـرت عـدة دقـائق ولم أزعج نفسـي بتحريـك ذراعي بعـــد الآن. قـــدمي فقـــط، من خلال الحركـــة، تبقي جسدي طافيًا وتجعلـه يتحـرك للأمـام ببطء. وفجـأة أسـمع أصواتا عالية وصوت الماء يقترب. فوجئ صيادان كانا على متن قاربهما برؤيتي بعيدًا عن الشاطئ، فأخرجاني. عندما كنت على متن القارب، صاح الأصغر منهما:

هل أنت مجنون أم ماذا، تسبح بعيـدا عن السـاحل؟ الم يقول لك بوجود أسماك قرش في هـذه المنطقـة؟ وفي كل الأحوال عليك أن تكـون سـباحاً محترفـاً لتغـامر بهـذه المسافة. أنت محظوظ لأننا رأيناك، وإلا لكنت ميتاً.

أرتجف ، أومأ برأسه بالموافقة. ثم، في ظلام دامس، أتسـاءل عمـا إذا كـانت هـذه العـاهرة على علم بمـوتي الحتمي دون مساعدة خارجية. ذلك، لن أعرفه أبدا.

أذهلني الغضب والسخط، وجلست بين الصيادين الذين يموتون الآن من الضحك عندما يرونني عاريا. ليس لديهم قميص ولا قبعة ولا حتى قطعة قماش ليعطوني إياها لإخفاء عريي. لقد أنزلوني بالقرب من الشاطئ، فسبحت لفترة طويلة على طول حافة الماء، دون أن أتعجل في رفع مؤخرتي في الهواء. لكن مليكة ذهبت لتحضر لجنة ترحيب لإستقبالي... وأبرزها الحاجة التي بدا مزاجها يتصاعد.

استسلمت لقدري، وأقدم نفسي عارياً كدودة على الشاطئ، واضعاً كلتا يدي على قضيبي.

تركزت العيون علي بينما يضحك الجميع ويشيرون إلي، تدخل الحاجة في ثوران بركاني. لو كانت عيناه قاذفات لهب، لكنت قد تحولت إلى رماد الآن! تظهر محنتي على سطح الإذلال الذي يجب أن تواجهه ومعرفة ذلك يجعل ضميري يعاني.

وفجأة، يمر يأسي بفترة هدوء عابرة، ووقت للتفكير الممتع الذي أثاره اقتراب كلثوم، صديقة الحاجة. أقيس

عظمـة روحهـا عنـدما تتحـدث معي، ويبـدو أنهـا تشـعر بالاشـمئزاز من سـلوك الآخـرين السـاخر. أعطتـني منشـفةً وصرخت:

هيا يـا جـيرارد، عـد إلى المـنزل بسـرعة وقم بتدفـة نفسك.

شكراً كلثوم، هذا رائع منك.

انتهيت من تجفيـف نفسـي ولـف المنشـفة حـول خصري وأضيف وأنا أنظر إلى الحاجة:

أنت الوحيد هنا الذي يملك قلبًا حقيقيًا..

وفجأة خرجت الحاجة من هدوئها وصرخت بغضب:

مـاذا تقـول أيهـا الوغـد الصـغير؟ هـل تجـرؤ على التلميح بأنني لا أملك قلبًا بعد ما فعلتـه؟ مـاذا يعـني كـل هذا؟ هل تريـد أن تهينـني أمـام عـائلتي أو شـيء من هـذا القبيل أيها الحثالة؟

متألمًـا من عـدوانيتها، ولا أعـرف مـاذا أرد، أشـعر بالاشمئزاز، تركت نفسي أسـقط على الرمـال بينمـا تسـتمر

في تجريمي وسط الضحك العام. مليكة في غاية الانفعال تصرخ أمام المجلس بسخرية:

عمل جيد ! هذا سوف يُعلمه كيف يكبح جماح دوافعه أمام عذراء شابة، أيها اللقيط!

تمسك الحاجة بذراعي وتسحبها وتخدشها حتى تنزف. إنها بالتأكيد تريد مني أن أبرر نفسي. فجأة غلبني الحنان اللامتناهي، أحاول النهوض وأحاول أن أضمها لي. أريد أن أطلب منها المغفرة. أعتقد أنها غير سعيدة، في نهاية مقاومتها. إنها تدفعني بعيدًا وأنا أتراجع. بذهول، أصرخ في وجهه والدموع في عيني:

والآن ماذا علي أن أفعل؟ هل تريدني أن أرحل إلى الأبد؟ بعد كل شيء، هذا كل ما بقي لي للقيام به!

فجأة توقفت الحاجة عن الانفعال. يبدو أنها تدرك أننا لسنا وحدنا وكيف يجب أن تظل هذه المحادثة خاصة. تستدير وتواجه المجموعة التي صمتت مؤخرًا وركزت على الاستماع إلى كلامنا.

مليكـة لـديها نفس رد الفعـل وتركـز أعينهـا على الجمهور ولا تترك مجالًا لأي سخرية.

كلثوم تتدخل من جديد:

هيـا، دعنـا نـذهب إلى الـداخل ونـدعهم يتحـدثون بهدوء! وليتذكر كل واحد منا أن يمسك لسانه...

في مجموعـة صـغيرة، تراقبهـا مليكـة متجهمـة، تجيبني الحاجة:

تذهب؟ هذا غير مقبول! سيكون ذلك سهلاً للغاية!

لكن إذا كنت سأزرع الشقاق بينك وبين ابنتـك، فمن الأفضل أن أتوقف الآن.

مذهولة، تدير رأسها نحو البحر. تتلاشى نظراتهـا. لا شك أن الحاجة قد فزعت من هـذا التهديـد الضـمني الـذي من الواضـح أنهـا لم تتوقعـه، تقـول وهي تحـرك رأسـها أفقيًا:

لا ! من دون شك !

لم أستطع التحمل أكثر من ذلك، نهضت سريعًا وحاولت أن أضم ذراعي حولها مرة أخرى، لكنها دفعتني بعنف. ثم أتلعثم:

انظري يا حاجة، هذا ليس خطأي وحدي.

هل هو لي إذن؟

لا، لقد كانت مليكة هي التي فعلت كل شيء لتضعني في هذا الموقف!

الأم وابنتها تنظران إلى بعضهما البعض للحظة. وتتابع الحاجة:

وبما أن ابنتي هي المسؤولة عن كل شيء يجب أن أسامحك، أليس كذلك؟

نعم. أنت تعرف كم مرة اضطررت لتهدئة دمي المغلي مع ابنتك وكم مرة نجحت. اليوم كان أقوى مني، لم أستطع المقاومة..

رأيت هذا. لقد استفزتك، هذا صحيح. لكنك لم تحاول جاهدًا صد محاولاتها... في رأيي، أنت لست مهتمًا بي حقًا. إنها ابنتي التي تريدها، أليس كذلك؟ يجرؤ على

إنكار ذلك! يمكننا أن نرى أنك في الحب معها. عليك فقط أن تقف وجهاً لوجه مع بعضكما البعض لترى ذلك. أنت تحدق بها بينما هي تهدل. أنتما مثيران للسخرية! مثير للسخرية حقا!

وبعد نوبة ضحك كادت أن تخنقها، تدخلت مليكة واضعة يديها على وركها:

هذا غير صحيح! بالإضافة إلى ذلك، يمكنني أن أؤكد لك أن جيرارد لم يحاول إبعادي للحظة! صحيح أنني أزعجته قليلاً، لكن ذلك كان لسبب وجيه. ولو كان يحبك كما يدعي، لكان عليه أن يركب القارب السريع ويتجه إلى الساحل بدلاً من محاولة القفز عليّ...

أنا أحتج:

هل يمكنك التحدث أيها الثعبان السام! أنت من فعلت كل شيء لتوصلني إلى هذه النقطة.

تنظر إلينا الحاجة أثناء تبادلنا الكلام، ثم تسألني:

هل يمكن أن تشرح لي بالضبط ما حدث على متن الزورق؟

لا شـيء مهم يـا حاجـة. تشـاجرنا أنـا وابنتـك، ثم سقطت في الماء بالخطأ. هذا كل شيئ.

لقـد رأيت ضـجة بينمـا كنت أشـاهدك. هـل خلعت ابنـتي ملابسـك الداخليـة على حين غـرة؟ لقـد أرادت أن تغتصبك، أليس كذلك؟

بطريقة ما، نعم. لقد قـدمت لي بعض الاقتراحـات. ربما تكون قد رأيت ما حدث لكنك لم تسمع ما قالته لي.

أعطتني نظرة مهتمة:

وماذا قالت لك؟

بكل بساطة أنها كـانت مجنونـة بي وأنهـا تريـد أن تمارس الحب معي.

ابتسمت لابنتها وقالت:

هل صحيح ما تقوله يا مليكة؟

لكن لا يا أمي. أنت تعلم جيدًا أنني أحتفـظ بنفسـي للرجل الذي سيتزوجني. كان هو الذي قفـز عليّ بينمـا كـان يخلع ملابسه الداخلية. لا بد أنك رأيت ذلك بالمنظار..

توافق الحاجة ساخطة:

إنه نذل حقيقي، هذا الصبي! أعتقدت أنك أكثر أدبًا من ذلـك يـا جـيرارد. كيـف يمكن لـك أن تفعـل مثـل هـذا الشـيء؟ ابنـتي ليسـت واحـدة من هـؤلاء السـائحين الـذين يـأتون إلى السـاحل ليمارسـوا الجنس من قبـل أي شـخص، هل تفهم؟ إنها أميرة رفيعة المستوى من المقرر أن تتزوج من ابن أحد كبـار الشخصـيات في المملكـة. ولهـذا يجب أن تكون عذراء يوم زفافها.

أتفهم، مـع العلم أنـني لن أربح على أي حـال، أبـدو آسفًا.

أعرف. لقد مررت بلحظة من الارتباك، أعترف بذلك، حـتى لـو فعلت ابنتـك كـل مـا من شـأنه إثـارة . من الآن فصاعدا لن أنظر إليها، صدقني.

أتمنى ذلك ! وفي هذه الأثناء أرى أنك عصـيتني. أنـا أعـرف مـا يمكن توقعـه. لا أعـرف إذا كـانت مليكـة قـد أخبرتـك، لكنهـا كـانت مكيـدة لاختبـار ولائـك. والآن في الختـام، اعلم أن أهم شـيء بـالنسـبة لي هـو أنـني أدركت خيانتـك في الـوقت المناسـب. من الآن فصـاعدا سـأفعل

ذلـك وسـيكون الأمـر أفضـل للجميـع. النغمـة المسـتخدمة ليسـت في مزاجهـا ولا في عاداتهـا. في الحقيقـة، تبـدو الحاجة متفاجئة أكـثر من كونهـا متألمـة عنـدما تكتشـف أنني وغد. ألاحظ كيف استعاد وضوحه ورباطـة جأشـه، ولم يعد هناك أي شيء في سلوكه يكشف عن أي اضطراب. أما أنا، فأنا أشعر بالخجل ولكنـني لم أعـد أحـاول الاعتـذار. لقـد استفزوني باختباري.

أجد صعوبة في تصديق رغبة الحاجة المفاجئـة في تحمل خيانتي.

الفصل السادس عشر

في الـوقت الـذي كـان يجب أن نتنـاول فيـه وجبـة فطور لذيذة في هدوء وسلام تام كالعادة، تعج الحاجـة في كل الاتجاهات.

ما هي المشكلة، حاجة؟ هل لديك قطار للحاق به؟

تـوقفت فجـأة عن السـير واقـتربت مـني مبتسـمة. تجيب وهي تتجعد في وجهي:

أهكذا تقولين مرحباً لي يا عزيزي؟

أنا أضمها بقوة.

إمنحـني عنصـر المفاجـأة. عـادة تـرحب بي بشـكل مختلف..

بالفعـل. لكنـك لم تعتقـد أنـك قلت ذلـك بشـكل جيد: أنا لا أستقل القطار، بل أستقل الطائرة.

لدي حركة الانسحاب والاستياء:

هل مازلت ستذهب إلى جنيف؟ !

نعم، ولكن هـذه المـرة معـك يـا عزيـزي. أريـدك أن تنضم إلي.

هل تحتاج إلى رأيي لاختيار ملابسك لطرحها للـبيع أم تريـــد أن تجعلـــني رجلاً رابعـــاً للمخـــابرات الفرنســـية SDECE؟...

سـيكون لـديك متسـع من الـوقت لتكتشـفي كيـف يمكنك أن تكون مفيداً لي يا عزيزي...

تغادر الحاجة الغرفة وتعود حاملة الحقيبة الشهيرة في يدها.

ضـع هـذه الحقيبـة في صـندوق السـيارة وسـأقابلك خلال ثواني وسنغادر.

ماذا يوجد بداخلها؟

نقود لمشترياتي المختلفة.

هل "باب نويل" ذاهب للتسوق؟...

لا، لديـه مـا يلـزم... أنـا ببسـاطة أجعـل عـذر غيـابي حقيقة، وأشتري كمية كبيرة من الملابس.

في قلب مدينة جنيف، في فندق الرئيس، تجولت أنا والحاجة عبر الممرات الفاخرة ودخلنا جناحًا. وبينما كنت متشككا في الخلف قليلا، سارت الحاجة نحو الرجال الثلاثة من المديرية العامة للأمن الخارجي (المخابرات الفرنسية)، الذين كانوا يراقبونني في صمت. تقول لهم الحاجة بكل فخر:

هذا هو ابن خالتي جيرارد، الرجل المناسب لهذا المنصب! يمكنه مساعدتنا في تحقيق هدفنا بسهولة دون الحاجة إلى استخدام الأسلحة...

نظرت إلى الحاجة مستغرباً ومرتبكً، قبل أن أجيب بنفس الحدة:

لكن ما الذي تتحدث عنه يا حاجة؟ من المستحيل أن أشارك في خططك!

لن تشارك مباشرة يا جيرارد. لكنك، دون أن تعلم، أنت محور عملية مستقبلية، ولا يمكن لأصدقائنا، مثلي، إهمالها.. وفي كلتا الحالتين، أنت معنا أو ضدنا. ماذا تختار؟

أنا لست ضدك...

تلتفت الحاجة إلى الرجال الثلاثة بحماسة كبيرة:

وهو ابن جان فوري، الطبيب السابق لمحمد الخامس، من بين آخرين... زوجي علم أن والده لديه ملف قد يؤدي إلى تهميش الحسن الثاني...

ليس سيئًا... إنها في الواقع فكرة جيدة، رد عليها اثنان من الرجال من المخابرات الفرنسية SDECE.

والثالث عقد ذراعيه وهو ينظر إلي بثبات دون عداوة. يعلن :

أنا، هذا الملف. لا أعرف. لا أظن أن الطبيب سيسلمه...

ترد الحاجة بحماس:

لا تقلق، ثق بي. وسوف يفعل ذلك.

يصر الرجل أمام نظرات زميليه المختلطة:

أعتقد أن الخطة الجوية أفضل..

أحملق بهم جميعًا وأهمس:

اترك والدي خارج هذا!

تأخذني الحاجة جانباً لبضع ثوان وتؤكد لي:

لكن مهم جدًا يا جيرارد، كما تعلم...

المهم هو أن أدرك أنك أخذتني معك لتستخدمني.

لا، لن نمر عبرك لطلب هذا الملف. أردت ببساطة أن أقدم لك هؤلاء الرجال كحل أفضل.

تنظر الحاجة إلى الرجال الثلاثة بنظرة متعبة، وتختتم كلامها باستسلام واضح:

جيد ! ربما أكون مخطئةً، فهي ليست بالضرورة فكرة جيدة. في هذه الحالة ليس لدي حل آخر أيها السادة، الأمر متروك لكم لتحسين الخطة الأولية...

بينما نغادر الفندق، تاركين وراءنا الرجال الثلاثة في استشارة سرية، أعطتني الحاجة يدها وأشرقت وجهها بأجمل ابتسامتها بالنسبة لي. وبعد أن شعرت بالارتياح إزاء فكرة تجنيب والدي بالكاد مواجهة مع أجهزة المخابرات الفرنسية، وضعت شكوكي جانباً. أحتضن حبيبتي بمحبة ونسلك الطريق إلى المتاجر.

الفصل السابع عشر

لقد اقترب الموعد النهائي للعودة إلى المغرب. سيكون شهر إجازة الحاجة في ماربيلا قد شهد بداية شغف مبهر بيننا.

سلوكها الحزين يثير سؤالاً بداخلي:

أخبرني ما الذي يقلقك يا حاجة، أشعر أن لديك ما تلومني عليه...

وهي تدير وجهها نحوي قائلةً:

أعلم بشأن خيانتك المزمنة يا جيرارد. أخشى أنه بمجرد أن تدير ظهرك، بعيدًا عن الأنظار، بعيدًا عن قلبك، ستقع في حب امرأة أخرى.

أنت تعلمي جيدًا أنني أحبك حب جنون يا حاجة. وفي الوقت الحالي، من المستحيل بالنسبة لي أن أجد شخصًا آخر يمكنه أن يحل محلك. لا تقلل من شأن نفسك.

لقد أعطتني نظرة مرتاحة وواصلت عملها.

الحاجة، حبيبتي، تغادر إسبانيا وتعود إلى المغـرب، حيث يربطهــا مصــيرها باضــطرابات سياســية لتغيــير مسارها...

وتعطيني توصياتها:

يجب أن تعلم أنه من المحتمل أن يكون الصـحفيون في انتظارنــا في المطــار. إنهم أنــاس طيبــون يقومــون بعملهم، ولكن يجب عـــدم الثقـــة بهم ، لأنهم مثـــل الطـاعون. خطـأهم الأكـبر هـو أن فضـولهم لا يشـبع أبـدًا. أنصحك أن تدع الآخرين يتحدثون نيابـة عنـك، طالمـا يتم اســتجوابك. لا ينبغي لأي شــخص تحت أي ظــرف من الظروف أن يطـرح عليـك أسـئلة غـير سـرية حـول هويتـك ووجودك بجانبي.

في الواقـع، يقـف حشـد من الصـحفيين مكتـوفي الأيـدي أمـام المـدخل المطـار. ينـدفع نحونـا عنـدما يرانـا، وبسرعة كبيرة تهاجمنا الميكروفونات وطقطقة الكاميرات. والحاجة تبعدهم:

انظر، نحن لا نريد أن نفوت الصعود الى الطائرة، لـذا سـأكون ممتنًـا إذا تركتنـا بمفردنـا. لن نقـوم بـالرد على أي أسئلة. شكرا على تفهمكم.

نحن الآن على وشـك المغـادرة، في غرفـة الانتظـار قبـل الصعود إلى الطـائرة. يجب أن نتعـانق ونقبـل وليس لدي نقص في الرغبة. لكن يبدو أن الحاجة قـد فقـدت كـل الاهتمام بي. ينتابني شعور مؤسـف ومخيب للآمـال بـأنني لم أعد موجـودًا. تبـدو مهووسـة بـالحشـد والإثـارة المحيطـة بهـا.

بغضب أتسائل:

ماذا يحدث يا حاجة؟ أليسـت هـذه اللحظـات مهمـة بما يكفي لمنحها الأفضل؟

الحاج، تلتفت إلي:

لكن ما الذي تتحدث عنه يا عزيزي؟

أنت تعرفي ذلك جيـدا. لقـد طلبت مـني أن أرافقـك إلى المطار وقد فعلت. والآن بما أنني هنا، يبدو أنك نسـيت

سبب مجيئي. أنت هناك تراقب مجيء وذهاب المسافرين، وتتصرف وكأنني غير موجود.

- أنت مخطئ يا عزيزي. إنها رحلة ابنتي مليكة، التي اختفت للتو، التي أراقبها. هذه الفتاة تحضر لي شيئاً غير صحي، أستطيع أن أشعر به...

- بالفعل. أجدها أيضًا متوترة بعض الشيء... لكن سيتعين عليها العودة، أليس كذلك؟

لديها عبوس محير. وتتابع بتوتر:

ما يقلقني هو أن بحوزتها هدية الوداع التي أعددتها لك... وأن الطائرة ستقلع قريبًا وأنها لا تزال غائبة عن الأفق.

لا يهم، حاجة! ما يهمني هو حبك.

هذا بالضبط ما يدور حوله الأمر يا جيرارد. هذه الهدية هي إعلان الحب. سجل لريتشارد أنتوني يسمى أنا أحبك. هذه الكلمة التي ظللت تهمس بها لي عندما كنا معًا. بالنسبة لي هذه الأغنية تمثل قصة حب حقيقية.

وأول أغنية بطيئة رقصت عليها معك. بالنسبة لمليكة، خيبة الأمل لعدم العثور على الحب بعد.

تظهر مليكة فجأة وتتجه نحونا.

الحاجة تناديها بتوتر:

فأين كنت؟

لا بأس يا أمي، لقد ضللت الطريق.

أنت فقط من يمكن أن تضيع في مثل هذا المطار الصغير. جيد ! علينا أن نغادر الآن ونعطي جيرارد هديته.

لا، قررت الاحتفاظ بها!

تظهر مليكة نظرة حازمة، لكن الحاجة تستمر في الشك.

هل أنت مجنونة أو ماذا ؟

مستحيل. أنت تعلم جيدًا أنني أحب هذه الأغنية وفي المغرب غير موجودة، إلا إذا طلبت التسجيل وانتظرت شهرين. سيظل جيرارد قادرًا على شرائها في إسبانيا.

وتضيف وهي تظهر القرص:

هل هو حقا لن يثير ضجة من أجل تسجيل رقم قياسي؟ الآن، إذا حرمتني من هذه المتعة، فسأسعد بإخبار أبي بكل ما حدث بينك وبين جيرارد هذا الصيف ولدي ما يلزم لإقناعه...

لكنه ابتزاز! ألا تخجل من فعل هذا بي؟

أتدخل بلا أدب:

اسمعي يا حاجة، ابنتك على حق. سيتم طرح هذا القرص للبيع قريبًا جدًا في ماربيلا . أعدك أنني سأشتريه وأستمع إليه طوال اليوم. دع ابنتك تحتفظ بهذا.

من دون شك ! لن أسمح لهذه العاهرة الصغيرة أن تملي علي سلوكي! هيا يا مليكة، أعطي هذا القرص لجيرارد قبل أن أبهدلك علناً! مفهوم؟

إدراكًا مني أن شرف واحترام سلطة الحاجة على المحك، ألتزم الصمت وفضل السماح لهم بتسوية الأمر بأنفسهم.

اسمعي يا مليكة للمرة الأخيرة افعلي ما أطلبه منك! لقد سئمت من أهواء الفتاة الصغيرة المدللة. هل سئمت

من إخبار نفسك أن هذا الفتى لم يفعل لـك شـيئًا، فلمـاذا أنت دائما وراءه؟

نعم، لقـد اسـتهزأ بشـرف أبي بكـل سـرور وعلنًـا! بالنسبة لي لا يوجد شيء أكثر خطورة!

وفجأة تقترب كلثوم من مليكة:

مليكة، ألا ترين أن هـذا ليس وقت الجـدال؟ شـاهدي كـل النـاس تنتظـر الينـا، والأكـثر من ذلـك، أن الابـتزاز ليس دليلاً على حسن النية. هل تفهمي عن ما تتحدث عنه؟

تجيب مليكة :

والدتي تعرف جيدًا ما أتحدث عنه!

تحـولت الحاجـة إلى شـاحبة. من حولنـا، الأطفـال، الخدم، الجميع صامتون في انتظار مـا سـيحدث بعـد ذلـك. تدعو مكبرات الصوت الركاب إلى مكاتب تسجيل الوصـول ويثير ضجيج الحشود.

أصرخ مذعورا:

كـل هـذا من أجـل قطعـة من البلاسـتيك بثلاثـة فرنكات!

الحاجة متقرحة توبخني:

اسكت ! أنت لا تعرف ما الذي تتحدث عنه! هذا السجل له قيمة عاطفية كبيرة بالنسبة لي. إنها قصيدة، تذكير بلحظات السعادة التي عشناها أنا وأنت.

وفجأة، أمسكت الحاجة بذراع ابنتها ولويتها. لديها نار في خديها ونظرة ذابلة ويمكنها أن تذهب إلى حد كسره إذا لزم الأمر.

وبجو من السخط، تأمر مليكة بإعادة ما هو مستحق لي.

مليكة، عنيدة وتصر على أسنانها، لا تستسلم.

تصلبت نظرة الحاجة بالقسوة.

مليكة، لن نترك إسبانيا حتى تعيدي لجيرارد هذا القرص! وإذا أجبرتني على هذا التطرف، أؤكد لك أنه بمجرد وصولي إلى المنزل، بعيدًا عن أنظار الناس، سأعلمك قواعد الأدب بضربات كبيرة!

لا شك أن مليكة تعاملت بالفعل مع هذه العين الحازمة. وفي عجلة من أمرها للعودة إلى المغرب ورؤية أصدقائها مرة أخرى، أصبحت متعاونة مرة أخرى:

جيد.خذي القرص! انه بحقيبتي.

لا ! سلميه بنفسك الى جيرارد، واعتذر عن قبحك!

سلمتني مليكة الشيء المذكور واعتذرت على مضض بعين قاتلة. تتنفس الحاجة الصعداء والنصر.

أمسكت بالقرص وقبلت مليكة، وابتسامة ازدراء على شفتي.

عندما يحين وقت الوداع المخيف، أتوجه إلى الحاجة وأعبر لها عن مدى حبي لها. حنجرتي الضيقة تغير صوتي. في نوبة حزن مفاجئة، تزداد إيلامًا لأنها تحاول إخفاءها دون جدوى، تهمس الحاجة لي:

كما تعلم يا حبيبي، كون واثقة من المستقبل. وطالما أننا على قيد الحياة، فإننا ننتمي لبعضنا البعض. وتضيف وهي تأخذ بيدي:

أستطيع أن أؤكد لك أنه بقدر ما يهمني، فإن الموت وحده هو الذي يمكن أن يفصلني عنك. يجب أن أذهب، ولكنني سأعود قريباً جداً. كن متأكدا من ذلك. اقسم لك. وداعا يا حبيبي. وقبل كل شيء، لا تغتنم الفرصة للبحث عن الإسكندنافيين الصغار...

عندما أبعدت يدها عن يدي، بالكاد تمكنت الحاجة من حبس دموعها.

لقد تم قمعها في البداية بسبب القلق، ثم تم تحريرها وتتدفق بحرية عندما أراها تنزل على الدرج المؤدي إلى الصعود. ثم ركضت نحو الشرفة وأقول لها وداعًا أخيرًا، فأجابتني بعاطفة.

الفصل الثامن عشر

بقيت وحيدًا ومن دون أخبار عن الحاجة، محبوسًا في غرفتي لعدة أيام. الاكتئاب يهاجمني. تسلل إلي ألم حاد منذ اللحظة التي شعرت فيها بفقدان حبيبتي. أنا مدمر، بدون موارد وبدون إرادة.

أخي لا يستطيع تحمل قضم بصوت عالي في قليلا بعد الآن. يدخل بعد أن يطرق الباب ودون أن ينتظر دعوتي.

عندما رآني بنصف ملابسي، على سريري، محطمًا، أعض وسادتي لخنق تنهداتي، ظل عاجزًا عن الكلام لعدة ثوانٍ من القلق.

يضع وسادة خلف رقبتي ويحضر لي كوبًا من الماء قبل أن يستفسر، وهو يشير إلى صورة الحاجة الجالسة على العرش في إطار موضوع على الطاولة المجاورة لسريري:

لقد كان الجنرال هو من عبث برأسك، أليس كذلك؟

أنظر إليه وقد احمرت عيناي وأومئ برأسي:

نعم أنا مجنون بحبها.

كنت أظن. لكنني لم أعتقد أبدًا أنك ستصل الى هذه الدرجة من السوء.

لقد شككت في ذلك. الأمر واضحًا جدًا، لماذا؟

الجميع لاحظ ذلك. قصتك في توريمولينوس أثارت الجدل، ما رأيك؟ إلا أنني كنت أعلم أن هذه المرأة سوف تفسدك حتماً.

فلماذا لم تخبرني عن ذلك من قبل؟ كان بإمكانك أن تحاول فتح عيني على الأقل. لتنويري.

أولاً، هل يمكننا التحدث معك في شيء ما؟ أنت كذلك توقفت! فكيف أستطيع أن أنيرك، أنت الذي استمتعت بعماك؟ حاولت في البداية. ألا تتذكر؟ لكنك كنت واثقًا جدًا وفخورًا جدًا بنفسك. أجبت: "لا تقلق! أديرها. أنا أسيطر على الوضع. النساء، أستطيع أن ألعب معهم. الكل بلا استثناء! » مثل الزيز، كنت تعتقد أنك تستطيع الغناء طوال الصيف، دون أن تشعر بأي إزعاج.

وعلى الرغم من تحذيرات الجميع من متابعة هذه العلاقة، إلا أنك وافقت على ذلك. الآن كل ما عليك فعله هو الانتظار حتى تتبدد مشاعرك وألمك.

شعور بائس ومخزي يسيطر علي ويقضي علي.

أشعر بالاعتماد على هذه المرأة. بدونها، لا أعرف ماذا سأصبح.

يا جيرارد المسكين، إنه لأمر فظيع أن تسمح لنفسك أن تلتهمك بهذه الطريقة امرأة متزوجة وأم لستة أطفال! ولكن مهلاً، أنا أعرفك جيدًا بما يكفي لأعلم أنك ستتجاوز الأمر بسرعة كبيرة. ومع ذلك، يا لها من مضيعة!

وقبل أن يختفي، بنبرة خفيفة، يختتم أخي كلامه بالإشارة إلى التسجيل الذي يحمل عنوان "أحبك" لريتشارد أنتوني والموجود بجوار صورة الحاجة:

ما زلت سعيدًا لأنك لم تقرر إزعاجي بالاستعماع لهذا القرص...

استيقظت من نوم عميق بعد بضع ساعات، ممسكًا بالقرص الذي أهمله منذ عودتي من المطار. أخرجته من

الكم، بالإضافة إلى المحضر، وجدت شيكًا بمبلغ أحد عشر ألف دولار متسلل من الحاجة كهدية. بعد أن وضعت هديتي بعيدًا في مكان آمن، أستمع إلى التسجيل ولكن بحجم معقول: ففي نهاية المطاف، لا يمكن مشاركة مثل هذه الهدية الحميمة.

ينتهي شهر سبتمبر ويمثل انتصارًا على نفسي. لقد تركت هناك الدموع والعرق والألم والهذيان والعديد من الحالات الناجمة عن غياب الحاجة ونقص الكوكايين. الآن أنا أفضل، بدأت أعيش من جديد. لدي شهية مرة أخرى. أنا ذاهب للخارج.

قررت زيارة والدي في طنجة. الأب ليس هناك وأمي ترحب بي في حالة من الإثارة غير العادية. من الواضح أنها لم تتخلى عن القفازات فيما يتعلق بالحاجة، بل إنها قررت الهجوم.

اترك الأمر لي يا ابني! أقول لك أنها سحرتك. لا بد لي من إحباطك.

تمسك والدتي مقصًا من صينية يبدو أنها قد أعدتها بالفعل لتدخلها الروحي البسيط والمنقذ للحياة. بحلول الوقت الذي أدركت فيه أنها قد تسلخ جلدي، كانت إحدى يديها بالفعل على كتفي وتمنعني من مغادرة مقعدي. وباليد الأخرى تقترب من الآلة المشطوفة.

وجدت في صينية، بقلق، كيسين صغيرين على شكل قلب، وورقتين من نبات رعي الحمام الطازج إذا كان أنفي لا يزال موثوقًا، وشمعة حمراء، ونسخة من القرآن، ودبوس أمان.

لكن ماذا تريد أن تفعل بي؟...

أمسك معصمها وأصرخ:

ماذا اصابك يا أمي؟ توقفي !

شعرت بالإثارة، ووضعت المقص وحاولت انتزاع أصابعي من قبضتها. عيناه تخترقني بالغضب. وهي تصرخ :

أتركني يا جيرارد! يجب أن أحررك من قبضة هذه المرأة، وإلا فسوف تموت! دعني آخذ منك عشرين شعرة، ثم سأتركك وشأنك. سيكون عليك فقط اتباع تعليماتي.

في لمح البصر، أمسكت بمعصميها ودفعتها بعيدًا بلطف، لكن بما يكفي حتى أتمكن من النهوض والهرب بعيدًا. غاضبة وعنيدة، تطاردني أمي، وتشتمني:

غبي! هل تعتقد أن السحر الأبيض يستحق الإهمال؟ ألا تعلم أن له قيمة مقدسة عند البربر؟

ممزقًا بين التسلية والخوف من أن أجد نفسي مثقلًا بالحيوية، حتى لو كان ذلك لأغراض سحرية، أهرب الى الشارع. أدركت أمي أنها لن تتمكن من اللحاق بي، فمسحت الذباب الوهمي عن ظهر يدها لتخبرني، بغضب، أنه يمكنني المغادرة إذا أصررت.

محتفظًا إلى زاوية من ذاكرتي بالقوة التي تعرف والدتي كيف تظهرها عندما يكون هناك شيء مهم بالنسبة لها، أذهب إلى منزل ماما كيسوس. دون أن نعرف حقًا السبب، دون اقتناع حقيقي أو رغبة حقيقية. أريد

رؤيتها ولكن من الغريب ليس بسبب ما اتفقنا عليه خلال تصرفاتنا الغريبة.

تستقبلني مرتدية قفطانًا كبيرًا. عندما أعبر من بابها، تسحبني نحوها بشغف وتقبلني بشغف.

أشعر بالسوء من حوله. كما لو أن الخيمياء التي كنت أعتبرها لديه قبل أسابيع قليلة قد تحولت في نظري إلى الكثير من الذل. تتوقف ماما كيسوس عن تقبيلي وتداعب صدري بينما تخفض نفسها ببطء. ينحدر وجهها تدريجياً على طول معدتي، ويطبع هناك قبلات خفية حتى يصل إلى مستوى قضيبي الذي لم يكن منتصباً بعد. وهي الآن تسعى جاهدة إلى تملقه بيديها الماهرتين.

وبينما كانت تستعد لاستخدام شفتيها الفاتنتين، وضعت يدي على كتفيها برقة. ترفع رأسها نحوي قليلاً، وتبتسم وتكرر إيماءتها. هذه المرة تمارس أصابعي ضغطًا مثبطًا وهي تنظر إلي بنظرة مفاجأة.

أهمس لها:

أنا آسف يا ماما كيسوس، لا أريد...

نهضت بسرعة وهي مذهولة:

مشكل صحي، جيرارد؟

لا، لقد جئت لرؤيتك ولكن نيتي لم تكن هذا...

هل هي مزحة ؟

مستحيل. لكنني سأغادر مرة أخرى، هذا أفضل. فلا تحمله ضدي...

تحت نظرتها الحائرة، استدرت، محبطًا ومرتبكًا.

عندما كنت على وشك عبور العتبة صرخت بصوت عالٍ مليء بالألم:

لا تفعل هذا بي يا جيرارد!

أتوقف ولكن لا تستدير.

صمت ثقيل وعدائي ينتظر قراري. وبدلا من أن يعيقني، يسرع برحيلي، رغم الدموع التي في عيني.

لعدة ساعات، أتجول في شوارع طنجة.

فجأة أتجمد! إنها على بعد خطوات قليلة مني، بلا حراك، أمام واجهة محل لبيع الملابس. لم تراني، ورغم أنني لا أرى سوى انعكاس وجهها في الواجهة الزجاجية، إلا

أن طولهـا وشـعرها البـني وحضـورها الطـبيعي لا يجعلـني أتردد ولو لثانية واحـدة. أقـترب منهـا وأقـول بهـدوء، وقـد حجب صوتي العاطفة:

لطيفة...

لم تسـمعني بـل تحـركت في اتجـاهي لتكمـل طريقها. وبذلك ترفع عينيها عن الواجهة وتحـدق أمامهـا بهدوء. وفجأة توقفت !

شدة نظراتنا تجعلنا صامتين

عدة ثوان. ثم فجأة، بنفس الـزخم الفـوري، نحتضـن ونقبل بعضنا البعض بشغف.

لطيفة، الحب الأول في حياتي، كانت الاستثناء الذي يثبت القاعـدة بالنسـبة للنسـاء والعلاقـات الـتي تربطـني بهن بشكل عام.

أميرة الأيام السعيدة، إنهـا مَلَـكْ كـل الـود والعطـف الذي كنت أتمنى أن أكرس له بقية أيـامي، من خلال الـزواج وفق قواعد الفن، لطيفـة هي المـرأة الوحيـدة الـتي تمكنت معها من تخيـل حيـاة مسـتدامة وبنـاءة. مسـتقبل. وأيضًـا

الوحيدة التي، على الرغم من جمالها الراقي والحائز على العديد من الجوائز في مسابقات ملكة جمال، لم تُلهمني أبدًا بأي خيانة.

أعرفها منذ عدة سنوات ومشاريعنا تأجلت بسبب البعد الجغرافي، فهي تعيش في طنجة وأنا في توريمولينوس.

شفتاي تشعل النار في رقبتي وتضغط علي بشدة، تهمس لطيفة دون أي نبرة عتاب ولكن بحزن:

جيرارد، حبيبي، لماذا لم تزودني بأي أخبار أخرى؟

لطيفة، أنا آسف. لقد بقيت امرأة حياتي، ولكن كيف يمكنني أن أشرح أن إعصار العاطفة قد ضربني لعدة أسابيع. أنا أدرك ذلك الآن فقط ومازلت هشًا..

ببطء ومن دون عدوان، تحرك لطيفة وجهها إلى الخلف. إنها لا تريد أن تنزل إلى الغيرة لكنها لن تشارك من تحب. أشعر بذلك، وأنا أعلم ذلك.

نشعر بالحرج، نجلس على شرفة مقهى ونناقش الوضع بهدوء. لم يفشل أي شعور فينا، لقد نام شعوري

فقط. لا تزال لطيفة تثق بي. وإذا لم أخفي عنها شيئًا عن الشره المرضي الأنثوي ونزعتي الرجولية، فقد فهمت في غمضة عين أنها تستطيع أن تعيدني إلى المسار الصحيح والهام. ومع ذلك، فهي لا تريد أن تفرض ذلك علي. لقد جعلتني أفهم أنها تفضل الانتظار، مع مخاطرة خسارتي، حتى يتضح كل شيء بداخلي، حتى أدفن حزني على الحاجة. يعتمد على المسافة والزمن.

نسير جنبًا إلى جنب في وسط الحديقة. تشتعل أيدينا بالحرارة المكبوتة لفترة طويلة ونفقد السيطرة على حركاتنا. لا يهم إذا كان المارة مندهشين، فنحن نقبل بعضنا البعض بلا أنفاس بينما تداعب أيدي بعضنا البعض وأذرعنا وأكتافنا بشكل محموم ونتخذ قرارًا عمليًا: نحن بحاجة إلى غرفة في فندق.

بضع دقائق تأخذنا إلى هناك. نحن نستهلك رغباتنا هناك.

عندما نعود إلى رشدنا بهدوء، يحين وقت الانتظار والأمل للطيفة. يجب أن أختار بين الحاجة وهي.

لقـد انفصـلنا، لكن لا يـسـعني إلا أن أصـرخ لهـا بمـا يريد قلبي أن يتحرك نحوه:

لطيفـة، لقـد قمت بالفعـل باختيـاري، وأنتِ الـتي أريدها!

أعطتـني ابتسـامة مقفـرة واختفت في المنعطـف الضيق للزقاق: يجب أن أثبت لها ذلك.

الفصل التاسع عشر

وعادت الحياة إلى طبيعتها مع بداية نوفمبر. ولكي لا أعاني أكثر ولا أعذب لطيفة، وبعد أن أدركت أيضًا عدم قدرتي على اتخاذ القرار في الوقت الحالي، لم أتصل بها مرة أخرى. كما أنني رفضت دعوة أخرى من ماما كيسوس عندما كنت في طنجة. لقد قدمت عذر المرض والحاجة إلى إعادة شحن بطارياتي لبضعة أيام في منزل والدي. شعرت برد فعل عدم التصديق، وحتى الانزعاج، منها. لكنني قاومت نداء هذه الصافرة بكلمات نارية.

عادت الحاجة إلى الظهور عندما عدت إلى توريمولينوس. من الواضح أننا لم نفقد أيًا من الجاذبية التي يبدو أننا غير قادرين على محاربتها. لقد جعلت قراراتي تدور مثل كومة من الكوكايين يتم نفخها. مكثنا يومين في ماربيلا، في فيلتها، حيث قمنا بإعادة الاتصال مع اندماج رغباتنا وأرواحنا. ثم رجعت الى المغرب مرة أخرى.

اليـوم يمكن سـماع إحـراجي في صـوتي. لاحظتـه الحاجة على الطرف الآخر من جهاز الاستقبال.

تصرخ:

لماذا أنت متردد يا عزيزي؟ سأتدبر كل شيء ماليا..

تعـال إلى مـاربيلا، بـدلا من ذلـك، حاجـة. لمـاذا تريـدني أن أذهب إلى المغـرب لرؤيتـك. أنـا لا أتحمـل مـا يكفي من المخاطر بالفعل؟

لقد أخبرت أصدقائي عنك يا عزيـزي. إنهم يرغبـون في رؤيتك.

لماذا تنظيم أمسـية "بـيزل"[١٤]؟ إذا ذهبت إلى الربـاط فسوف يروني قطع أشلاءً..

وأكرر لك أنك لن تخاطر بقدومك عندي، بعد غد يـا عزيـزي. الجـنرال سـيذهب إلى مصـر لبضـعة أيـام، يمكنـك التحقـق من ذلـك، يتم الحـديث عنـه في جميـع الصـحف. سـيلتقي بـالرئيس عبدالناصـر. هيـا، أعـدك أنـك لن تنـدم على ذلك. هل تتذكر ملهى أحلامك الليلي الذي رأيناه في

---

14 -puzzle

إسـبانيا؟ إذا أتيت سـأقدمها لـك تعـال، اتصـل بي عنـد وصـولك. إذا لم أكن أنـا من يجيب وتم سـؤالك عمـا تريـد، فإنك تقول أنـك تتصـل من عيـادة "بوسـيجور " للحصـول على نتـائج الاختبـار. بالإضـافة إلى ذلـك، تعلم أن لـدي متجرا كبـيرا جـدا في الربـاط. إذا كنت تـرغب في الاهتمـام بـالأوامر، فيمكنـك كسـب الكثـير من المـال. تـذهب إلى باريس، أعطيـك العنـاوين، وسـوف تشـتري لي أشـياء ومن الواضح أن هناك عمولات مهمة في انتظارك...

إرادة الحاجـة تغلبت على تـرددي. أذهب إلى الربـاط مرتديًا الجلابـة حتى لا يلاحظني أحد. لكن بدلا من الـذهاب إلى الفندق، عدت إلى العادات التي بدأتها عنـدما كنت في السـابعة عشـرة من عمـري وأدرس في الربـاط: ذهبت إلى سلا، وهي مدينـة لا يفصـلها عن الربـاط سـوى نهـر، حيث تقيم عرابتي للا كنزة، أخت محمـد الخـامس، وبشـكل أكـثر دقة في قصرها الملكي.

ترحب بي كالعادة بعاطفة مؤثرة:

مرحبا عزيزي. كيف حالك يا ابني؟

أنا بخير ياجدتي.

بعد تبادل بضع كلمات، لم يعد بإمكاني كبح نفاد صبري:

هل استطيع الاتصال؟

طبعا.

الصوت الأنثوي على الطرف الآخر من جهاز الاستقبال لا يبدو أنه صوت الحاجة، أجرؤ:

مرحباً، هل يمكنني التحدث مع السيدة أوفقير، من فضلك؟

أيّ منهن ؟

وفجأة، شجعني عدم الثقة على إخفاء هويتي:

أود التحدث إلى الحاجة.

بعد حوالي دقيقة.

سعيد لسماع ذلك مرة أخرى، وأشعر بدمي ينبض في طبلة أذني.

- مرحبا جيرارد...

فجأة قلبي يتصدع! الصوت المعدني والمتغطرس على الطرف الآخر من الخط ليس حلواً: لقد تعرفت على الفور على الجنرال أوفقير. يمر تيار كهربائي من طبلة أذني إلى جسمي كله. لكن غريزة البقاء تتولى زمام الأمور وأصححها، وصوتي لا يخون أي خوف:

لا يا سيدي، أنا محمد، اسمي ليس جيرارد. عن ماذا تتحدث ؟

من أنت يا سيدي؟

أنا محمد، من عيادة بوسيجور. أود التحدث إلى السيدة أوفقير.

توقف عن كلامك، أعلم أنه أنت يا جيرارد! لا تتعب...

ولكن ما الذي تتحدث عنه؟

هيا، توقف! إنه الجنرال أوفقير على الهاتف. لقد أعددت لك استقبال كبيرا..

أصبحت جامدا تمامًا ولم أعد قادرًا على التحكم في مشاعري، فأغلقت المكالمة فجأة. أحاول أن أجمع أفكاري

وأتساءل لماذا هو ليس في مصر كما هو مخطط له عندما تسألني جدتي القلقة على حالتي:

ولكن ما بك يا ولدي؟

لدي علاقة رومانسية مع فاطمة أوفقير وكان من المفترض أن نرى بعضنا البعض اليوم. كان كل شيء منظمًا وكان علي أن أتصل بها في المنزل. لكن الجنرال أوفقير هو الذي رد على الهاتف، وكان من المفترض أن يكون في مصر...

قالت جدتي بصوتٍ حزينٍ ومتألم:

أنت مريض ! أنت حقًا تفعل أي شيء! ليس هناك ما يكفي من النساء على وجه الأرض لتقع في حب زوجة الجنرال!

انها رائعة...

نعم، ولكنك تعرف من هو الجنرال. انه خطير جدا. حتى الملك يخاف منه. أنت مجنون حقًا يا جيرارد! انه سوف يقتلك!

نعم أعرف. لقد حاصرني.

حسنًا، لا تتحرك. لا تتتحرك من هنا، أنت آمن هناك. لا أحد يستطيع الدخول، إنه قصر ملكي. إذا خطوت خطوة واحدة للخارج، فلن أضمن لك... لكن هيا، دعنا نذهب ونرى على الشرفة ما يحدث.

تحتنا الشوارع تعج بشكل غير طبيعي. يبدو أن الجيش يحاصر الرباط! سأعلم قريبًا أن المدينة تعج بضباط الشرطة والدرك الذين يقومون بدوريات في كل حي بصورتي. يتم استخدام جميع المؤشرات ويتم الوعد بمكافأة جذابة. أستطيع حتى أن أرى لواء التدخل الخفيف، وهو يشكل مجموعات مدمجة تسيطر على الأماكن العامة. مذعورًا، أعود إلى غرفة الإستقبال وأصرخ بحزن:

ماذا اللعنة فعلت للتو؟ !...

تقترب مني جدتي وتجيب بثقة:

أنت لا تتحرك من هنا، هذا كل شيء. هنا لا أحد يتكلم لن يعلم أحد بوجودك هناك، وحتى لو اكتشفوا ذلك فلن يتمكنوا من الحضور. سأستعد لخروجك، ستبقى

بقدر ما يستغرق الأمر ولكن كل شيء سيكون على ما يرام إذا استمعت لي.

*

* *

نعم سيدي؟

يأخذ الجنرال المتلقي الذي يسلمه أحد المرؤوسين. ومن الواضح أنه توقع بالفعل رد فعل الحسن الثاني. ومن يسأل بانزعاج:

ماذا يحدث يا أوفقير، لماذا هذه الإثارة البوليسية في الرباط؟

هذه مناورات يا سيدي. لقد علمنا أن إرهابيا يختبئ في المدينة.

قال الملك بنبرة ساخرة:

هذا الإرهابي الشهير لن يكون له الاسم الأول جيرارد، بأي حال من الأحوال...؟

يبتسم الجنرال بسخرية:

أوه، كما تعلم يا سيدي، في الوقت الحالي، لا يهمني اسمه الأول.

الشيء الرئيسي هو أنه لم يعد يضر بالأمن القومي.

قل لي يا أوفقير.

نعم سيدي؟

هل تجد أنه من الطبيعي أن نتمكن من تقليل قيمة ومساحة الأمن القومي إلى زوجين ذوي أخلاق معيبة؟ لم أكن أعلم أن الجنس يمكن أن يكون بمثابة قنبلة...

سيدي الوقاية خير من العلاج..

تحدث الملك بنبرة أكثر جدية:

تذكر أن ميزانية الدولة هي التي تدفع ثمن إجراءاتك الوقائية. لا أريد أن تضروا بالأمن الاقتصادي بشرط منع الأمن القومي..

وبعد صمت يظهر الانزعاج، وافق الجنرال:

سأحاول أن آخذ هذا في الاعتبار يا سيدي.

*

* *

لقـد وضـع أسـبوعان حـدا لاعتـداءات الشـرطة في الرباط. ولا تزال هناك حواجز على الطرق وعمليات تفتيش وتحقيقـات يتم تنفيـذها بقـوة من قبـل جميـع أجهـزة الشرطة مجتمعـة. لكن المدينـة لم تعـد تتقـاطع مـع الـزي الرسمي، الذي يمكن رؤيته من الشرفة على أي حال.

أنا أستعد للعودة إلى إسبانيا. نظمت جدتي العرابـة كل شيء. باتباع تعليماتهـا، انـزلقت إلى الصـندوق الكبـير لسيارتها الرولز رويس، التي جهزتها خصيصًا، لرحلة تبلغ حوالي خمسمائة كيلومتر.

"مطرح" صغير وفتحات تهوية سـرية تضـمن الحـد الأدنى من الراحة. هي نفسها تأخذ مكانهـا خلـف السـائق وننطلق بسرعة. مررنا بالعديد من حواجز الطرق دون وقـوع أي حادث، وجذب رجال أوفقير انتباههم عندما رأوا السـيارة الملكية الرسمية. وإذا جازف البعض بإلقاء نظرة على الجـزء

الخلفي من مقصورة الركاب، فلا أحد يجرؤ على ارتكاب جريمة فتح صندوق سيارة عمة الملك.

وصلت أخيرًا إلى إسبانيا، في سبتة، قبلتني للا كنزة كثيرًا وعادت إلى المغرب.

أستقل القارب إلى توريموليتوس، ومن المنزل أتصل بالحاجة:

أوه يا حبيبي! ولكن أين كنت؟ لقد كنت قلقة عليك، كما تعلم.

كل هذا الانتشار في الرباط وأنت الذي لم تأت.

صوتي لا يخفف:

لكن ماذا حدث هناك؟ زوجك كان ينتظرني..

نعم، أعلم، أعلم... لم أستطع تحذيرك، كنت خائفًا من الاتصال بك.

علمت للتو أن الجنرال يتجسس على هاتفي دائمًا وأنه يستمع إلى محادثتنا. وعندما علم بقدومك، قرر انتظارك والإيقاع بك، حتى لو كان ذلك يعني إلغاء رحلته إلى مصر. لكنه لم يستطيع القبض عليك يا حبيبي.

*

* *

بعـد فشـله في القبض علي، قـرر الجـنرال أوفقـير الانتقام وتدمير حب الحاجة لي، من خلال الكشف لها عما لم تكن تعرفه بعد:

في الحفلة التي نظمتهـا في مـاربيلا في جويليـة، ، على شـرف "ابن العم" الـذي وصـل كالشـعرة في الحسـاء، صـديقتك من الواضـح أن مامـا كيسـوس اسـتخدمت حـق الشفعة العاطفي...

كن أكثر وضوحا!

تم اسـتدعاء جـيرارد الخـاص بـك، الـذي بـدأت بالتبـاهي بـه في إسـبانيا، في ذلـك اليـوم. عرّفتـه مامـا كيسوس على استخدام الكوكايين والعمل الجنسي.

أي شئ ! وبعد المساء عاد إلى منزله...

خطأ، لقد توقـف عنـد منزلهـا والاسـتعلامات جلبت لي الادلة .

أمام الصور التي يضعها الجنرال أمامها، تشعر الحاجة بقلبها يغرق وتسارع دماءها. ثم تقول ببرودة:

لقد خانتني ماما كيسوس وكان جيرارد يخونني منذ البداية! أعتقد أنه سيتواصل قريبًا مع شغفه بـالبوكر. لكن هذه المرة، وبقدر خبرته في هذا الأمر، فإنه لن يستفيد من التغيير...

الجنرال أوفقير يعرب عن رضاه بابتسامة خفيفة.

الفصل العشرون

التـاريخ يعيـد نفسـه ياحاجـة. لن آتي، آسـف. لقـد نجوت من الجنرال بأعجوبة، هذا يكفي!

تصر الحاجة:

هل تظن أنني سأقترح عليك الحضور إذا كـان الأمـر يشكل أي خطر يا عزيزي؟

قد يكون الأمر خارج عن إرادتك. أحـيي زوجـك الـذي يشرفنا بالتأكيد بالاستماع اليقظ...

مستحيل، أنا أتصـل بـك من مكـان آمن هـذه المـرة. وأنا أقوم بتنظيم لعبـة البـوكر هـذه من أجلـك فقـط. إنهـا هدية أريد أن أقدمها لكم للتعويض عن الحادثة المؤسـفة الـتي وقعت في الربـاط الشـهر الماضـي. سـوف تكـون بصحبة لاعبين جيدين جدًا. أخبرتهم عنـك، فهم يعرفـون أنـك قـوي جـدًا وهم ينتظرونـك. سـتكون اللعبـة مفيـدة للغاية بالنسبة لك: إذا فزت يمكنك الاحتفـاظ بكـل شـيء وإذا خسرت فأنا أتحمل جميع التكاليف.

لا يا حاجة، لن أعود إلى الرباط بعد الآن. قد يكون هؤلاء اللاعبون أصدقاء للجنرال. أنا لن أتي.

فكرت الحاجة للحظة:

حسنًا، في هذه الحالة سأحضرهم إليك، لأنهم يريدون القتال معك حقًا.

ستلعب في منزلي في ماربيلا. ثم سنذهب لرؤية الملهى الليلي الشهير الذي تحلم به...

- حسنًا، هيا. أنت تحرفينني يا حاجة.

- كلا عزيزي. أعطيك ما تستحقه..

تتخلل نهاية لعبة البوكر بعض ضحكات الرضا. أشعر بالسخرية إلى حد ما، بعد أن سرقني أحد خصومي. الأمر الذي وضع الآخرين أيضًا في وضع حرج. ومع ذلك، فإنني أشعر بالعزاء عندما أعرف أن الحاجة ستغطي جميع التكاليف.

غادر الضيوف تاركين وراءهم أبخرة الكحول وسحب الدخان الراكدة في غرفة استقبال الحاجة.

كنت على وشك تقليدهم عندما احتضنتني الحاجة وعيناها تتلألأ بالرغبة. صوتها يفوح بالإحساس:

هل ستبقى معي يا حبيبي؟

لا يا حجة. إنها الساعة الثالثة صباحًا. انا ذاهب الي البيت.

أريدك. أحتاج أن تكون بالقرب مني.

لا، لا، من المستحيل أن أنام في منزلك. هناك حراسك الشخصيين. إذا اتصل أحدهم بزوجك، فقد يأتي يسبح لكي يمسكني متلبسًا.

أنت مجنون، جيرارد! لا يخاطر بأي شيء.

لا تصر، الحاجة. مستحيل. تعال إلى منزلي، أنت.

لا أستطيع، غدا لدي ضيوف.

ومن المؤسف أننا سنرى ذلك مرة أخرى ...

عاقدين العزم على عدم الجدال، قبلنا واتفقنا على رؤية بعضنا البعض في وقت مبكر من بعد الظهر. أمزق ظلام الليل بمصابيحي الأمامية للسيارة على مسافة خمسين كيلومترًا تقريبًا، وفي النهاية أنزلق بسرور فراشي.

وفي اليــوم التــالي، تــوقفت مجموعــة كبــيرة من السيارات الرسمية أمـام مـنزل الحاجـة. المنطقـة المحيطـة مليئة بالحراس الشخصيين. الخدم، على ما يبـدو على قـدم المساواة، يتجمعون على كلا الجانبين.

من بعيـد، ألمح المناقشـات العاطفيـة للرجـال ذوي الوجـوه القلقـة. على مـاذا يتحـدثون ؟ هجـوم؟ تهديـد؟ حادثة خطيرة؟ من سوء الحظ الكبير؟ سأعرف عنـدما أكـون في الداخل.

عندما وصلت إلى الباب، أوقفني أحد حـراس الحاجـة الشخصيين، الذي أعجب بي لأنه يعرف والدتي وينتمي إلى نفس القبيلة، في طريقي. يصرخ مذعورًا:

توقفت ! أين أنت ذاهب ؟

مستغرباً فأجيب:

حسنا، سأعود.

لا، لا، لا تكون غبيا! هل تعرف من هو في الداخل؟

لا، أرى سيارات رسمية.. لكن ماذا يحدث؟

الجنرال هنا...

شعرت بالخوف ونظرت حولي لأرى ما إذا كان هناك أي شيء غير طبيعي يحدث. ثم أتسائل:

لكن متى أتى؟

حوالي الساعة السادسة صباحًا. من حسن الحظ أنك لم تكن معها في السرير...

اللعنـة، لحسـن الحـظ نعم! لكن في هـذا الـوقت لا توجد طائرة أو باخرة، كيف جاء ذلك؟

بطائرته الخاصة! لم تكن تعلم ؟

ماذا ؟

أن يضع الملك طائرة تحت تصـرفه أربعًـا وعشـرين ساعة يوميًا.

اسمعني، إذهب بسرعة لأنه على مـا يبـدو ينتظـرك وهـو في حالـة مزاجيـة سـيئة. إنـه يخطـط لمحاصـرتك. سمعت المحادثة مع زوجتـه. فقـال لهـا: إذن، ليس هنـا؟ » فأجابت: "لا، لم أستطع إبقائـه في السـرير. » كـان غاضـبًا، وصرخ: "هذا الوغد الصغير رفض النـوم هنـا! إنـه ذكي جـدًا. حسنًا، إنها ليست مشكلة كبيرة. انـه سيأتي ؟ » فأجـابت:

«نعم، يأتي بعد الظهر. » قال إنه سينتظرك وأنـه سيشـرح لك الأمور كما هي، وأنه سئم من التجـول في الأدغـال. أنـه كان يندفع إليك لأن الفخـاخ الـتي نصـبها لـك تفشـل في كل مرة.

هـذه المـرة حـل الألم والغضـب محـل خـوفي. وأكـرر بصوتي المبحوح:

الفخاخ...

نعم، رائحتها كريهة! ليس الأمر كما هـو الحـال مـع العشـاق الآخـرين الـذين غطتهم وتمسـك بهم بمفـردهم. الغريب أنهم يقفون على بعضهم البعض..

ليسـت هنـاك حاجـة لمزيـد من المعلومـات لفهم أنهم يريدون شيئًا مني. وفي ذهني فكرتي الخاصة..

وبعد تفكير، قررت الدخول، مما أثار دهشة الحارس. عنـدما وقفت على عتبـة الصـالة الفـاخرة حيث يسـتريح العديد من الضيوف بعد تناول وجبة لذيـذة، كـان حضـوري يبعث على القشـعريرة. وبينمـا كنت أتقـدم إلى الغرفـة،

ألتقيت بنظـرات الأشـخاص الـذين تعرفـوا علي وظلـوا مذهولين.

من حـولي، ثمانيـة من رجـال الشـرطة شـددوا مواقعهم لمنعي من الهروب في حالة احتمال الهروب.

الجـنرال والحاجـة أمـامي، قريبـان من بعضـهما البعض وظهرهما نحوي. الجميع يتحـدثون مـع ضـيف ولم يدركوا بعد الصمت الذي حل فجأة على الضـيوف. تـوقفت على بعد خطوات قليلة منهم، مذهولًا للحظـات من جمـال الحاجة. فجأة، استدارت وواجهتـني. أنـا أحـدق بهـا بشـكل متهم. إنها تنظر إلي بازدراء.

في مواجهة إحراج محاورها، يستدير الجنرال بدوره. ثم أعطت الحاجة لزوجها تعبيرًا حماسيًا زائفًا. أديـر وجهي نحوه وأحمل نظراته.

وكأنه يعبر عن دهشـته، يزيـل نظارتـه السـوداء من يـده وهـو يحمـل سـيجارًا. وفي الآخـر يحمـل كأسًـا من الويسـكي. نظرتـه قاسـية وجليديـة وثاقبـة. يبـدو بيـاض عينيه أصفر اللون بسـبب تعـاطي الكحـول. أعـود بـذاكرتي

إلى قصة والدي أنه منذ حرب الهند الصينية عندما خدم الجنرال في الجيش الفرنسي، ظلت عينيه المصابتين بشظايا تبكي بلا سبب، مما اضطره إلى ارتداء نظارات داكنة في الأماكن العامة لإخفاء دموع التمساح.

أنفه المعقوف، وشفتاه الرفيعتان والشديدتان، ووجهه الناعم والعنيد، وشعره الأسود في قصة عسكرية، كل هذا يبرز غرابة ملامحه.

في الأربعينيات من عمره، بنى هذا الرجل الأنيق المظهر قوته بفضل ذكائه الكبير وغيابه التام عن التساهل. يتمتع الجنرال بمزاج فخور وسريع الانفعال من أصوله البربرية.

إن إخلاصه لمبادئه يضمن له احترام من حوله ويغرس في الآخرين خوفًا دائمًا، وهو أساس قوته.

أرى الجنرال شحما ولحما لأول مرة في حياتي.

تجلس الحاجة على كرسي مريح وتراقبنا بهدوء.

متناسيًا كل الأعراف، يقترب مني الجنرال:

إذن أتيت بمحض إرادتك.. هل أنت فاقد للوعي؟

مستحيل ! أنا فقط صادق مع نفسي.

انفجر أوفقير ضاحكًا، وهو يقذف بعضًا من محتويات كأسه.

يبقى الضيوف من حولنا منتبهين. قليلون فقط يضحكون تحت أنفاسهم. الحاجة تنظر الي بنظرة ساخرة.

يهدأ الجنرال ويتابع:

هل تفعل ذلك عمدا أم ماذا؟ سيكون من العار بالنسبة لك، كما تعلم...

يتوقف للحظة حيث تختبر نظراته نظري. يأخذ نفسا من سيجاره.

أنا أرفض أن أصدق أنك تسخر مني. هذا صحيح، يبدو أنك صادق بالنسبة لي. لديك نظرة مباشرة، وكلام عالٍ، وما قيل لي، ويبدو أنك متحرك بنار آكلة، لكن هذا لا يمنعك من أن تكون مؤخرة مزيفةً.

مخاطباً الجمهور، يسأل أوفقير وأنا عابس قليلاً:

هل تعرفون جيرارد جيدًا يا أصدقائي الأعزاء؟ انا نعم ! بالطبع، لا أعرفه إلا من خلال عملاء المخابرات. ذنبه الرئيسي هو أنه لا يحرم نفسه من حلاوة الجسد أبدًا.

ويضيف بعد ضحكة مخيفة تثير انزعاج الضيوف:

مع وجود مثل هذا المدمن على الجنس في حاشيتكم، أيها السادة، انتبهوا لنسائكم! أيها السيدات، انتبهوا إلى فتياتكم!

أتجرأ بصوت حزين:

أنت من قال هذا! أنا فقط رفيق عالمك الصغير..

ينظر إلي من الأعلى للأسفل كما لو كان يزنني، ويشرب جرعة كبيرة من الويسكي، ثم يعلق:

هل تعتبرني أحمق؟ يجب أن تعلم إذن أنه بين زوجتي وابنتي وأختي أنا على علم بكل ما يحدث هنا. على وجه الخصوص، لصائدي المهور، محبى تنورات النساء، والقوادين. الى أية فئة تنتمي؟

ولا واحدة من التي ذكرتها. أفضل أن أقول إنني أحد اولائك الذين يستمتعون بصحبة النساء الجميلات.

نحن جميعـــا نحب صـــحبة النســـاء الجميلات! لكن عليك أن تعرف إلى أي مدى يمكنك مصاحبتهن... لا تنس أبـدًا أنـني، كجنـدي، متخصـص في تـدمير الخصـم. لـذا، إذا واصلت مغامراتك، انتبه إلى شكلك!

أنا لست جنديا.

أنــا أعــرف ذلــك جيــدًا. أنت جنــدي الحب. ولكن إذا حاولت الاتصال بالحاجة أو رؤيتها مرة أخـرى، فيمكنـني أن أؤكد لك أن حياتك ستنتهي على يدي كمخصي في حريم الملك! هل أنا واضح؟

أومأ بحركة ذقني.

ومع ذلك، أنت تعلم أنني أعرف والدك جيدًا. الملـك يكن له احترامًا كبيرًا ولـذلك طلب مـني أن أحافـظ عليـك. لهذا السبب أنت لا تزال كاملاً الآن. لكن لا تـذهب إلى أبعـد من ذلـــك إذا كنت لا تريــد أن تجــد نفســك مثــل الثــور المهــزوم: لــدي روح مصــارع الثـيران عنـدما يتعلـق الأمـر بالدفاع عن شرفي... خذ نصيحتي حرفيًا!

حبـة عـرق تجـري من صـدغي إلى فكي. و لا أجـرؤ أن اجفف نفسي.

ضحك الجنرال مرة أخرى:

ها ها ها ها! هل بـدأت تـدرك حجم الفوضـى الـتي أوقعت نفسك فيها؟

يـشـير إلى النـادل، ويـهمس ببضـع كلمـات في أذنـه ويهـز ذقنـه في اتجـاهي. نـاولني النـادل الصـينية، وقـد وضعت عليها ثلاثة أكواب من الويسكي النقي. لدي لحظـة من التردد. أخيرًا أمسكت بالوسط وانتظرت الحاجـة وأفقـير ليبدأا في احتساء كأسهما قبل تقليدهما.

يســتأنف الضــحك الــزخم تــدريجيا، وتتنــاقش المجموعات وتنقر مرة أخـرى. أشـارت لي الحاجـة بـالجلوس على أحد الكراسـي المجانيـة، ثم نهضـت واسـتعادت ردود أفعالها التنظيمية من خلال مخاطبة موظفي المنزل.

يقول لي الجنرال بلهجة ساخرة:

اسـترخ يـا جـيرارد! لا تظن أنـني سـأقدم مشـهداً لنفسي...

لا أعرف ماذا أفكر بعد الآن، كما تعلم.

هذا أفضل كثيرًا، فكر في متـابعتي بـدلاً من ذلـك! سننهي هذه المحادثة في مكتبي.

أفعـل ذلـك، وانضـمت إليّ الحاجـة. خلـف الأبـواب المغلقـة، أجلس في مواجهـة الـزوجين. أوفقـير، يتحـدث بقبح:

ما الذي يثـير اعجابـك أكـثر في زوجـتي؟ مؤخرتهـا، وضعها الاجتماعي أو ثروتها؟

كيف يمكنـني أن أشـرح أنـني أصبحت مفتونًا بهـا لأسباب أخرى، وأنا الـذي حـتى ذلـك الحين لم يكن لـدي أي احترام للنساء بشكل عام؟

أنت تغـوي امـرأة نسـيت بسـببك واجباتهـا، كـأم وزوجة. بفضلها يمكنك تسلق درجات الصعود الاجتمـاعي دفعة واحدة! أنت تسرق قلبها، وسرعان مـا تسـرق ثـروتي إذا اسـتمرت على هـذا النحـو! تلعب كوميـديا الصـداقة الصريحة والصادقة مع أخـتي كلثـوم! و الحب مـع زوجـتي! ولست سعيداً بكل هذا، فأنت تتغزل بإبنتي مليكة!

الى جانب ذلك، أنت تجرؤ على القيام بكل هذا تحت سقف منزلي! لقد عذبت، وقطعت إرباً إرباً، وقتلت الرجال مقابل أقل من ذلك بكثير! وأنت هناك، معتقدًا أنه لن يحدث لك شيء لأنك تعلم أنك محمي من قبل الملك. هل تعتقد أنها سوف تستمر؟

- لا أعلم.

صوتي انخفض جداً. أوفقير يهدأ ويجلس مرة أخرى. الحاجة تراقبني في صمت. التي تجعل :

الملك يكن تقديرًا كبيرًا لوالدك، ولهذا السبب يتدخل معي. لكنه يخشى أيضًا المشاكل التي يمكن أن نواجهها مع فرنسا، إذا وجدناك بالصدفة ضعيفًا يومًا ما... الآن إذا لم أكن بحاجة في هذه اللحظة إلى علاقة غرامية أخرى تدمر حياتي، فإن للملك حدوده: إذا لقد أمسكت بك مع زوجتي في سريري... لن أخاطر كثيرًا بقتلك، هل تفهم ذلك؟

نعم.

والآن سوف تنجي نفسك، بهذا الشرط فقط سأكون متساهلاً!

أحدق فيه على أمل.

أعرف وجود الملف وأنت تعرف نيتي، وأسرار الحاجة على الوسادة تلزمك... هذا الملف، أحتاجه. أريده !

ملف ؟

الحاجة تلومني، منزعجة:

أنت تعرف جيدًا ما يتحدث عنه زوجي! لا تنسوا أنه رئيس المخابرات في المغرب!

أوفقير يحدق بزوجته حرفيا ثم يتابع:

يبدو في بعض التقارير أنك ذهبت لزيارة والدك في فرساي عام ١٩٦٢ وأنه وضعك في أمانة هذا الملف الذي وضعتمون عند موثق في جزيرة أوليرون[١٥].

كيف يمكنك أن تعرف كل هذا؟ كيف تعرف هذه التفاصيل، أنا وأبي فقط نعرفها.

15- **l'île d'Oléron**

بكل بساطة لأن والدك، بمجرد مغادرته المغرب، كان يتبعه طوال الوقت أتباع الحسن الثاني. ولكن ماذا تعتقد؟ أنت بنفسك، عندما ركبت قارب التهريب للذهاب إلى إسبانيا، تمت ملاحقتك. في إسبانيا أيضًا كان هناك من يتابعك. وعندما عبرت الحدود الإسبانية لدخول فرنسا بالانزلاق تحت أحد الجسور، هل تعتقد أننا لم نراك؟ لم تتمكن من المرور إلا لأن مسؤول مغربي مكلف من قبل الحسن الثاني طلب من الإسبان السماح لك بالمرور...

عضضت شفتي السفلى، لا أستطيع أن أصدق ذلك.

لكن كيف عرفوا أنني سأغادر المغرب للانضمام إلى والدي؟ وكيف عرفوا التاريخ والوقت؟

بكل بساطة لأن صديقك العظيم ريناتو مونتالبانو، الذي تثق به بشكل أعمى، أبلغ السلطات عنك.

ماذا ! ريناتو؟ مستحيل !

و مع ذلك. ماذا صدقت؟ أن هذا الرجل يمكن أن يقوم بالتهريب مع الإفلات من العقاب؟

لا بالطبع، لقد أخبرني أنه كان يهاجم رجال الشرطة وضباط الجمارك...

من الواضح أن ذلك لم يكن كافيًا... لذلك لن أكرر ذلك لك: اذهب لرؤية والدك وتمكن من استعادة الملف وإعادته إلي بسرعة! مفهوم ؟

نعم.

اذهب ولا تضيع الوقت!

وبينما كنت أعبر عتبة المكتب، ناداني صوت أنثوي ليأمرني:

وقبل كل شيء، لا الحيل! ولا يزال من الممكن استخدامها...

الفصل واحد واعشرون

لم أندم أبدًا على النوم مع امـرأة كثـيرًا. أدركت أخـيرًا مدى التلاعب بي من قبل الحاجة وزوجهـا، اللـذين يريـدان اسـتعادة ملـف والـدي من أجـل إجبـار الحسـن الثـاني على ترك عرشه.

إذا كنت أبدو رزينًا أمام والدَيَ اليـوم، فـإن في الواقـع هدوءي وشجاعتي الظاهرية يتصدعان. إن رد والدي، عندما أخبرته عن الملف، يحبس أنفاسي.

وأكرر طلبي:

أبي، أوفقير لا يبدو أنه يمزح، لقد هددني بالأسـوأ إذا لم أعد الملف...

أبي غاضب ويفقد أعصابه:

لا أهتم يا جيرارد! لقد حـذرناك من النـوم مـع زوجـة أوفقير. قلنا لك مرة أخرى. لقد فعلت ما أردت، والآن عليـك أن تتحمـل المسـؤولية. لا أسـتطيع أن أعطيـك الملـف ولن أفعل ذلك أبداً! لقد عقدت صفقة مع الملـك، هـل فهمت؟

إذا أعطيت الملف لأفقير أو أي شخص آخر أو إذا تم الكشـف عنه، فسيقوم الملك بقتل عائلة والدتك بأكملهـا. مـا زلت أُفضل أن تفقد خِصْـيَتْكَ، فهي لا تسـاوي في نظـري أكـثر من حياة مئات الأشخاص. لن تموت على الأقل، وسـنرتاح من قصصك الجنسية...

لم يكن لـدي بـديل، غـادرت طنجـة على الفـور واسـتقلت الطـائرة إلى توريمولينـوس. هنـاك، أغـرق مـرة أخـرى في حالـة من الفـزع العميـق: رغم كـل شـيء، أفتقـد الحاجة بشدة. وإذا كـانت خيانتهـا تثـير اشـمئزازي، فإنهـا تستمر في هاجسي.

وفي الأيـام التاليـة، بقيت في حالـة من السـبات. سمحت لنفسي بالذهاب، وأتجول في الشـقة مثـل الشـبح. حـتى تعـود طبيعـتي ممـا يجعلـني أعـود إلى حيـاة أكـثر طبيعية.

لم أقطع الحبل تماماً مـع الحاجـة. أذهب إلى مـاربيلا كل يوم وأمشي بالقرب من منزلها. في أحـد الأيـام، تظهـر على العقار علامات الحياة ويجن جنون قلبي! ومع ذلك، أنـا

لا أظهر نفسي. أعتقد أنني اكتشفت وجودًا آخر بصحبة الحاجة.

أعبر الحديقة بتكتم وأقترب من إحدى النوافذ المغلقة في غرفة الاستقبال. لا أستطيع السماع جيدًا بسبب الستائر المغلقة. لم تصلني سوى بضع مقتطفات من الجمل، التي تنطق بها أصوات ذكورية: شرف فرنسا، الهوية البربرية، السلطة، الهجوم. يختلف الصوت، كما لو كان الرجال المعنيون يغيرون أماكنهم.

مرت عدة دقائق دون أن أفهم أي شيء تشجعني على التحرك عندما يعود الصوت فجأة بقوة. لا بد أن الرجل قد اقترب من النافذة.

إذا علم الملك بما نخطط له، يمكنك التأكد من أن الجنرال سيكون أول من يعلم.

وبعد صمت طويل يضيف صوت آخر:

إذا سارت الأمور كما هو مخطط لها، فلن نضطر إلى التدخل. ولكن إذا فشل ذلك، فقد نضطر إلى التحرك عسكريا. لا يتم استبعاد هذا الخيار.

أسـمع صـوت الحاجـة دون أن أفهم كلامهـا، تبـدو بعيدة عن النافذة ويبدو أن الرجـل يقـترب منهـا!. أحصـل عليه: الانقلاب العسكري والوصـاية. مؤشـرات كثـيرة تشـير إلى وجود مؤامرة ضد الملك..

عندما وصلت، كنت خـائف من مفاجـأة الحاجـة مـع حبيبها. الوضع لم يعد يطمئنني.

وفجأة جاءني صوت الحاجة بوضوح شديد:

على أيـة حـال، مهمـا حـدث، فـإن كـل الـبربر في المغرب سـوف يقفـون خلفنـا. وإذا اسـتولينا على السـلطة، فحتى العرب لن يأسفوا للتخلص من هـذا الملـك الحثالـة، هـذا الـدكتاتور الفاسـد سـيئ السـمعة والمصـاب بجنـون العظمة، وهو الحسن الثاني!

فماذا يفعل الفرنسيون في مثل هذه الحالة؟

حــتى ذلــك الحين كنت أعتقــد أنهم راضــون عن الحسن الثاني. إنه من محبي الفرانكوفونية وقـد فعـل كـل شيء منذ اعتلائه العرش للحفـاظ على مصـالح الفرنسـيين

المقيمين في المغـرب والمكانـة المميـزة لفرنسـا في البلاد. هل بسبب قضية بن بركة حدث الخرق؟

هل يتم التخطيـط لشـيء مـا خلـف الكـواليس ضـد فرنسـا ولم أسـمع بـه؟ تحـالف الملـك، ربمـا مـع الـروس أو الصينيين أو الأمريكيين، قد يعرض المصـالح الفرنسـية في المغرب للخطر؟

لم أعد أسمع أي ضجيج، وأحاول التركيز أكـثر. عنـدما فجأة جعلني مزلاج الباب أقفز. يخرجون !

بـسـرعة ولكن بخفـة قـدر الإمكـان، أركض وألجـأ إلى زاوية المنزل. وفي غضون ثوانٍ قليلـة، رآني أول الأشـخاص الذين خرجوا. من خلال الانحناء للأسـفل، يمكـنـي أخـيرًا أن أضـع وجوهًـا على الأصـوات المسـموعة بعيـدًا عن صـوت الحاجـة: الرجـال الثلاثـة من SDECE ينـدفعون إلى سـيارة "برلين berline " فاخرة بعد الترحيب بشريكهم.

مما يتركها أيضًا بجوار سائقها. لا يبدو أنه يفتقدني!

أصبحت زياراتي لمنزل الحاجة هوسًا، على الرغم من أنها لم تعد تظهر هناك. وأنا أحرص، خلال هذه الأسابيع، على عدم إعطاء أي علامة على الحياة لها أو لعائلتها.

يفاجئني صبر أوفقير. لماذا لا يرسل أتباعه للاستفسار عن نتائج تصرفاتي مع والدي؟ لماذا لم تتجه الحاجة، عندما كانت في ماربيلا، إلى توريمولينوس لتسألني عن هذه القضية؟

وكإجابة على أسئلتي، تنطلق صرخة وتجعلني أتتبع خطواتي بسرعة. تتصاعد هذه الصرخة وأدركت طبيعتها: إنها عواء المتعة! إنها تأتي من الطابق العلوي. من المستحيل احتواء زخمي. يجب أن اعلم. لقد أتيت ولم أضطر إلى المرور عبر قاعة المدخل. تظهر الحاجة في غرفة الاستقبال مرتدية ثوبًا، وتجر مخلوقًا غريبًا في أعقابها. عندما رأيتهما، قريبين جدًا من بعضهما البعض، جميلين جدًا، سعيدين جدًا، تجمدت في المدخل. تراني وتتوتر أيضًا.

أتوقع توبيخًا للتعدي على ممتلكاتها دون إذن. لا شئ ! لا عداء. إنها تدعوني للدخول.

ألاحظ الرجل وراء قليلا. وبعد تبادل قصير معي، اقتربت الحاجة من الشاب وقبلته بحنان على شفتيه.

تحاول طمأنتي:

لا تقلق يا عزيزي، فهو مجرد حبيبي.

هل أفهم أنك لم تعد تحبني بعد الآن؟

لا أعرف أين أقف معك بعد الآن، لكن من المستحيل أن أعيد مضيفي إلى البرازيل لإرضائك! وإذا لم يعجبك الباب مفتوح . هل فهمت ؟

بالطبع انا افهم. كل شيء بسيط جدا ...

لكن ما الذي يهمك أن أستمتع من وقت لآخر مع رجل كهذا؟ إنه مجرد لعبة. كل صديقاتي لديهم واحد مثله. لقد أصبح من الضروري في هذه الأيام أن تحصل سيدات المجتمع الراقي على الخنثى البرازيلي.

- لسماعك، يبدو أنه لا يوجد شيء أكثر شيوعا أو أكثر طبيعية من خيانة زوجها وعشيقها مع عشيق آخر.

تربعت عند قدمي، وتبحث عن نظري بهواء خاضع. الرقة والحنان. يبدو أن اللعبة لا تمانع في أن تكون ذات أهمية ملحق. جلس على الأريكة ويراقبنا، ساقيه متقاطعتين بخيبة أمل.

إنها أكثر محبوبًا وتطرح حجة إضافية:

كما ترى يا عزيزي، عليك أن تفهم أنني لا أستطيع رفض رؤيتي مرة أخرى اصدقاء قدامى.

هل تعرفينه منذ زمن طويل؟

بل نعم. لكي لا أخفي شيئًا عنك، عندما أشعر بالوحدة والتخلي عني اتصل به. يأتي على الفور من البرازيل ليملأ عزلتي... هو يعمل لدى وكالة عارضات أزياء برازيلية من المفترض أن يكون بمثابة مرافق لـ العملاء في بعض الأحيان. يمارس الجنس مثل الرجل والمداعبات والقبلات مثل امرأة!

أقف بشكل متهور وأتوجه إلى الباب. اتصلت بي الحاجة دون ذعر، بلطف ودون مقاومة. مستمتعة ودون

فزع، انفجرت في الضحك! تستعيد رباطة جأشها وتقول لي:

علاوة على ذلك، يا عزيزي، إذا أردت، يمكنك أيضًا الاستفادة من صديقي. سأقرضك إياها للمدة التي تريدها. وإذا لم تشعر بالرضا تجاهه في أي وقت، يمكنك الاتصال بي لطلب المساعدة. لا داعي للإهانة، ولكن يمكنك تعلم الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام.

– اسمعي يا حاجة، بالنسبة لي ليس هناك مجال للنوم مع رجل أو مشاركته في نفس السرير معك! اعلم أنني لن أنسى ما فعلته بي اليوم..

وتتصلب ملامحها:

بعد خيانتي مع أعز أصدقائي، تجرؤ على اتهامي بأن لدي حبيب! أنت تعلم جيدًا أنك نظرت بعناية لما يحدث لك.

تتركني ببرودة وتصعد إلى الطابق الأول. أقف ساكنًا وخجولًا للحظة في منتصف غرفة الاستقبال. أفقد أعصابي وأصرخ:

أنت عاهرة! فاجرة!

ترجع خطواتها على الفور وترد من أعلى الدرج:

لماذا اللعنة؟ وأنت مع ماما كيسوس تصرفت مثل ماذا ؟ لا أريد أن يتحدث الناس معي بهذه اللهجة! أعتـدت ان أكون محترمة.

سمعتها تغلق الباب وتنقر على القفل بصوت عالٍ. فقدت كل السيطرة وكل الكبرياء، أشعر بالحزن و وبدأت بالبكاء بغزارة، وأهتز بالتشنجات.

يمسح البرازيلي على شعري بلطف ويقول لي بالفرنسية قحة :

لا تقلق يا سيدي، النساء كلهن هكذا. فلا فائدة من البكاء عليها. أنت تفعل لهم الكثير من الشرف. أنت شاب. اسمح لنفسك بالذهاب إلى الأنشطة المريحة، المسلية. مهلا، مارأيك في خط من الكوكايين الجيدة؟ هذه سوف تفعل الخير. ثم يمكننا أن نقضي وقتًا ممتعًا إذا أردت. أنا

يمكن أن تساعدك على اكتشاف أشياء كثيرة لم تكن تشك فيها أبدًا ولا حتى الوجود... أستطيع أن أؤكد لكم أن هناك الملايين من الأشخاص يحبون مداعاتنا الصغيرة ...

إذا اردت، سأحولك إلى كيس ملاكمة... لدي ما يكفي لأفعله مع النساء.

يرفع يده عن شعري و يلتحق بالحاجة.

أشعر بهزيمة أقل عندما أغادر هذا المنزل بعد القيام بما قمت به، وداعاً من بعيد، دون دفء، للحاجة التي تبدو بعيدة.

أنا مرتاح.

وربما يكون أوفقير قد فهم عدم قدرتي على استرجاع الملف من والدي، أو تم إبلاغه بذلك من خلال مصالحه. أستنتج أن لديهم الأن الخطة الثانية لإسقاط الملك.

أشعر الآن بالتحرر الكافي للالتزام أخيرًا. لكن المرأة الوحيدة التي أريد أن أكرس لها بقية حياتي، والتي أريد تشكيل معها زواج مقدس، هي في طنجة. وجمالها لا

يضاهيه إلا صراحتها وإخلاصها. أنـا أحتـرمهـا، وأنـا معجب بـها وأريد أن أدللها.

الفصل الثاني والعشرون

أنا سعيد. دون شروط ودون اضطرابات. أنا مدين بهذه الحالة الى لطيفة. بنظرة واحدة، عندما رأينا بعضنا البعض أخيرًا، مسحت جروحي. ومنذ ذلك الحين لم نترك بعضنا البعض أبدًا وعشنا حبنا في طنجة.

في أحد الأيام، صادفنا ماما كيسوس في أحد شوارع وسط المدينة. فات الاوان ! ولم أستطع الاختباء من نظرها. لقد غيرت الرصيف ولطيفة بذراعي. عندما رأيتها وهي تنظر إلينا بشكل غريب، أدرت رأسي بعيدًا. لطيفة لم تفهم. عند زاوية الشارع، ساد الهدوء أخيرًا، عانقتها بشدة دون أن أقول كلمة واحدة.

الآن القلق ينخرني. ماذا لو أبلغت ماما كيسوس الحاجة؟ كيف سيكون رد فعلها؟ حتى لو كان من المفترض أن أتركها، كيف ترى الأشياء من جانبها؟ لقد واجهتني مع البرازيلي لكي تجعلني أدفع ثمن خطأي. وكانت لامبالاتها الواضحة في الواقع تعبيراً عن الغضب

الشديد. ربما تدرك أنها قطعت علاقتنا حقًا. لكن خوفي وجد حلاً: لماذا تخبر ماما كيسوس الحاجة بعلاقتي مع لطيفة وهي نفسها التي خانت الحاجة معي؟

وسرعان ما يتمسك أملي بهذا المنطق ...

*

* *

تأخذ الحاجة السماعة، وصوتها مليء بالاستياء:

تجرؤ على الاتصال بي، يا فاجرة!

على الطرف الآخر من الهاتف، ماما كيسوس غير منزعجة. كيف تعتقدين أن جيرارد كان من الممكن أن يناسبك يا حاجة؟ كل ما فعلته هو إعداده لحفاضتك، وتعريفه بالتقنيات اللازمة لإرضائك. هل كنت تفضلين أن يكون فظاً وأخرقاً وغير متعلم في الأمور الجنسية...؟

قل أنه كان عذري ! توقفي، أظن أن التدريب لم يفيده فقط... وإذا كانت نواياك طيبة جدًا تجاهي، فلماذا لم تخبرني؟

كان الأمر رائعًا جدًا، وكان رد فعلك سيئًا..

ما الذي يجعلك تعتقد أنني سأتصرف بشكل متساهل الآن؟

لا أتوقع منك أي تساهل يا حاجة! أتوقع الاعتراف أو على الأقل استمرارية صداقتنا. لدي شيء مهم لأكشفه لك.

وباعتبارها خبيرة استراتيجية جيدة، تضع الحاجة كبريائها في جيبها.

جيرارد موجود في طنجة وقد التقيته في الشارع مع امرأة. هذا النذل لديه عشيقة أخرى!

تتفاعل الحاجة في البداية بالتسلية. انفجرت ضحكا حرفيا وصرخت:

ها ها ها ها! وهذا يزعجك؟ هل هذا يزعجك؟ لقد انفصلنا لمدة ثلاثة أسابيع. لديه الحق في إقامة علاقة غرامية.

لا تقلل من شأني، الحاجة! لقد أجريت تحقيقًا مع هذه المرأة والعلاقة بينهما. لقد عرفوا بعضهم البعض منذ فترة طويلة جدًا وحتى عائلة جيرارد تعرف هذه المرأة

جيدًا. كان هناك حديث عن الزواج والحياة الأسرية معها، وكانت المسافة هي التي تفصل بينهما. لكن يبدو أنهم قرروا رؤية الأمور بشكل مختلف...

الحاجة، مجروحة في كبريائها، تنسى رباطة جأشها:

كيف تبدو هذه المرأة ؟

ابتسمت ماما كيسوس، وتحدثت بصوت عذب:

لقد كانت ملكة جمال المغرب... أراكِ قريباً يا حاجة.

وأغلقت الخط لتجنب رد فعل الحاجة والاستمتاع بانتصارها.

*

* *

أنا أستمتع لحظات رائعة وممتعة مع لطيفة.

نشرب الشاي معا، ونأكل الكعك في قاعة الشاء «لابورت la porte » ، وهي مؤسسة اجتماعية راقية في

طنجة, نتحدث عن المستقبل، جالسا بالقرب منها، على أريكة ليست ببعيدة عن مدخل القاعة. أقترح أن نبدأ حياة جديدة في مكان آخر. أريد أن نترك المغرب ورائنا مهما طال الأمر.

وفجأة تختفي إبتسامتي المشرقة وينكمش كل شيء بداخلي.

أمامنا موكب ملعون بدأ يقترب منا، على بعد طاولات قليلة : مدام أوفقير رجعت !

تتفهم لطيفة على الفور مدى إحراجي وتحاول تهدئتي بكلمات لطيفة. ومع ذلك، فإن نظري يتجه بشكل متقطع نحو المجموعة التي تتبادل قائدتها الواقفة أمامي، المجاملات المضحكة مع ضيوفها.إنها لا تنسى أن ترمقني بنظرات مليئة بالرغبة : تظل الحاجة أجمل من أي وقت مضى ! إنها تشرق مثل الأنوار الزاهية.

للحظة أشعر أن إصراري يضعفأحدق بها، نظرة صقراَ، قمت بخطوة للنهوض واتسعت ابتسامتها. لكن يد لطيفة الرقيقة والهادئة والمطمئنة تعيقني.

هناك حول الحاجة عدد قليل من الأصدقاء الـذين لا أعـرف أسـمائهم، منهم ابن الـوالي تطـوان، ومجموعـة من أتباعـه يتصـرفون وكـأن شـيئًا لم يحـدث. باسـتثناء مامـا كيسوس التي كانت تنظر إلي بنظـرة كراهيـة منـذ البدايـة. ويفجأت يصبح الجو ثقيلا.

أتوجه أكثر نحو إمرأة حيـاتي، بابـتسـامتها المشـعة تجعلـني أشـعر أنـني بحالـة جيـدة, يقـترب وجهي منهـا وأهمس : لطيفة أحبك.

لطيفة، متـأثرة، على وشـك أن تجيبـني ولكن واحـد من غوريلات الحاجة يقترب مني ويقول :

السيدة أوفقير تنتظرك، تريد التحدث اليك.

إسمع، أخبر السيدة أوفقير أنني مـع زوجـتي المقبلـة وأنني لا أستطيع الذهاب اليـه، إلا في حالـة حضـور زوجـتي معي.

لا.. هـل تمـزح؟ هـل تعتقـد حقـا أن السـيدة أوفقـير ستقبل شخصا من عامة الناس على طاولتها، ناهيك أنهـا عاهرة؟ هل أنت متـأكد؟

العضب يشوه وجهي، أريد النهوض وإعطائه لكمـة، ولكن اللقيط ليس وحده. أجيب :

نعم أنا متأكد !

يهز الغوريلا كتفيه ويبلغ الحاجة بما قلت له.

يأتي ابن الحاكم بدوره, وقـد عقـد جبينـه من الحـرج وصوته حـزين : أنت تمـزح يـا جـيرارد ! يجب أن تـذهب الى طاولة الحاجة.

على الفور، تجشأت : تبًا لك ولها !

أنت مجنون ! هي غاضبة !

يغـادر ويتحـدث مـع الحاجـة لبضـع ثـوان قبـل أن يعود" :

حسناً، إذا كنت لا تريد أن تأتي إلى طاولتها فسـوف تنتظـرك في السـاعة العاشـرة مسـاءًا، في الموقـع الـذي لا يزال يعين تحديده.

لا، أنا مع خطيبتي وأقضي الليلة معها.

تشعر الحاجة بالضربة وتغلي. وبعد بضع دقائق تهمس شيئًا للغوريلا الذي يمر أمامي وأمام لطيفة ببرودة. ويغادر المؤسسة.

تحدق بي ماما كيسوس في صمت، بوجه متجهم وكأنها تقول لي سوف ترى !

عندما شعرت بالخطر، صرحت :

تعالي يالطيفة، لنذهب...

على بعد أمتارًا قليلة خارج المؤسسة, كانت هناك سيارة أجرة تنتظرنا. يخرج أربعة ضباط شرطة، ويبدأ أحدهم :

مرحباً، التحقق من الهوية !

أخرجت أوراقي، مما أثار رد فعل الشرطي المعني :

نحن نعرفك، أنت ابن الدكتور فوري، نحن نريد أوراقها؟

لطيفة تبتسم له ابتسامة محرجة وترد :

أنا آسفة، ليس معي..

أشعر بنوع من الرضا منه، ويقول للطيفة :

يرجى اتباعنا !

لطيفـة على وشـك أن تحـذو حـذوه لكنـني أتـدخل :

لماذا؟ أستدعيها لاحقًا وسوف تحضرها لك.

لا، يجب أن تتبعنا !

في هذه الحالة اسمحوا لي أن أرافقها...

لا، ليس هناك حاجة للإصرار، لا تقلق. سـتكون حـرة هذا المساء أو صباح الغد.

يلتــف ضــباط الشــرطة الأربعــة على حبيبــتي، ويراقبون ردة فعلي، يندفعون الى السيارة وبختفـون قـاب قوسين أو أدنى. أنا أعتمـد على منطـق لا يمكن وقفـه : لقـد أعطت الحاجة الأوامر.

أعـود لرؤيتهـا في الـداخل، أسـأل : مـاذا سـيفعلون بـها؟

عيوني الواسعة تسليها.

لا تقلق يا عزيزي : إنـه بمجـرد فحص هويتهـا، غـداً ستكون حرة، مما يتركنا طوال الليل لنجد أنفسنا...

سأعود الى الرباط صباح الغد، ثم يمكنك أن تفعل ماتريد. يمكنك حتى الذهاب الى مركز الشرطة المركزي لإحضار عارتك الصغيرة.

إنها ليست عاهرة ! الغيرة هي التي تجعلك تتكلمي ! هذه فتاة تعمل في أحد البنوك، وأخطط للزواج منها.

دون أن تخبرني؟ ! حسنا، هذه ليست مشكلتي بعد الآن, تعال معي، لنغادر.

مستحيل، أطلقوا سراحها !

تقف الحاجة وقفة الامبراطورة : ستراها في الوقت المناسب، هذا هو الأمر ! إتبعني يا حبيبي..

أكتم عضبي ويأسي، أمشي بجانبها متجاهلا إياها, أتوجه نحو المخرج.. وفجأت تصيح : إذا إقتربت منها فاعتبرها ميتة !

لم أسمع نصائح وملاحظات ماما غيسوس الساخرة، مما جعل الحاجة تضحك : تريد الزواج منها.. دعه يبدأ

بإجراء فحص دمها، عندما يعود، قبل أن يمارس الجنس معها..

لطيفة لا تفهم التغيير المفاجئ في سلوك الشرطة، تبدأ الممارسة الوحشية لحظة دفعها الى غرفة في الطابق السفلي في مركز الشرطة. تستدير لتعرب عن استيائها من الشرطي المزور، لكن صرخة عميفة من جوفها تخرج من فمها، لقد تلقت للتو صفعة على فكها.

هكذا تلعب دور العاهرة مع رجل فرنسي !

لا ولكن... يمسكها الذي صفعها من رقبتها بينما يتصرف زملائه في نفس الوقت، حيث يمسكها إثنان من ذراعيها ويديرانها خلف ظهرها في قبضة مؤلمة، وهي تصرخ، تكافح لطيفة بالركل في كل الاتجاهات، يتراجع الشرطي الذي أماهها بينما يضع الذي أغلق الباب للتو كف يده على فمها.

ينتهز أحدهم الذي لا يزال ممسكا بذراعها الفرصة لعرقلتها، بتثبيتها على الأرض، وهي لا تزال تهز ساقيها وتحاول عض اليد التي تمنعها من الصراخ، لكن الرجل

بيده الحرة الأخرى وبكل راحة، يسد أنفها ليثنيها عن البدء من جديد، تشعر بالاختناق وهي تحاول تحرير رأسها لكن الخناق قوي للغاية وتتدفق دموع الإحباط والألم تحت ضحك جلاديها، واحد فقط لم يضحك، حيث ينهض غاضبا لأنه تعرض للركل، وهو يصرخ على زملائه : أمسك ساقيها ! إنا ذاهب لإظهار هذه العاهرة !

تمسك كلتا اليدين بالكاحلين المتأرجحين وتفصلهما عن بعضهما.

توقف الرجل عن قرص انفها، مما جعل ضحيته تلتفظ نفسا شديدا، وهي تؤكد مخاوفها : أنها ستعاني الأسو !! وبيده الحرة يداعب ساقيها بشكل حميمي ويدخل يده بسرعة كبيرة في ملابسها الداخلية. أصابعه تعبث بها، عندما رأت الشرطي عاريا أمامها، أنقبضت وأعطتها قوتها الأخيرة في هزة عنيفة، تم الإمساك بها جيدا، وتعمض عينيها عن الألم عندما يدفن الرجل نفسه بداخلها ويدمرها. حزينة وعاجزة، وتعاني مرارا وتكرارا، حتى التنهيدة الأخيرة لكل من جلاديها.

مرهقة وحزينة، تمتثل عندما يأمرها أحد الأشخاص بالنهوض، ملابسها ممزقة، وجسدها يتألم، تخطو خطوة، وتفكر في اتباع مغتصبها الأول الذي يتجه نحو المخرج، الذي بدل من أن يفتح الباب، يمسك بعصا غليظة مستندا على الحائط ويوجه ضربة قوية على فخذ لطيفة. تصرخ بأعلى صوتها وتنهار مرة أخرى على الأرض وهي تتلوى من الألم، تحت أعين الجلادين الآخرين، يعيد الضرب عدة مرات وهو يصرخ وعيناه منتفختان : أنت عاهرة، قذرة ! خائنة ! سأعلمك كيف تكوني عاهرة ! من الأفضل ألا ترى هذا الشخص مرة أخرى ! إذا رأيته مرة أخرى سنقتلك !

السيقان والفخذين والذراعين والكتفين والأرداف اصبحت جامدة بعد هذا الضرب المبرح، لم تعد لطيفة تتحرك، وبالكاد فقدت وعيها. يحملها معذبوها بشكل غريب ويتم رميها في زنزالة معزولة.

في اليوم التالي، أصبح كل جلدها أحمر وملتهبا ومنتورم في كل البقاع من جسدها، بإستثناء وجهها.

تستغرق عدة دقائق، قبل أن تقف لتطيع الشرطي, إنها تتألم وهي خائفة جدا.

تتبع بخطوات صغيرة وبطيئة وهشة الأسخاص الذين يقدونها الى غرفة بها كرسي وسلة قمامة. يأمرها احد الجلادين بالجلوس على الكرسي، وهي ممسكة به وخائفة. هذه المرة لا تتمرد عندما يتولى جلاد أخر بعمله، وهو يمسك بمقص وشفرة حلاقة، حيث ترى لطيفة جلادها بخوف.

بعدما تم حلق شعرها بالكامل، شعرت لطيفة بالخجل وهي تعاني من الضرر الذي تعرضت له بالأمس، وأجبرت على القسم بأنها لن تفعل ذلك، ولن يراني مرة أخرى أبدا، وترتدي الملابس التي أعطيت لها. وتم إطلاق سراحها بلا أدب ولا أخلاق، وعادت إلى منزلها لتحبس نفسها فيه لمدة.

عندما لم أرى لطيفة في اليوم الموالي، شعرت بقلق بالغ، لا أستطيع حتى البدء في البحث للعثور عليها، كانت

الحاجة واضحة في كلامها، سيكون موت لطيفة إذا رأيتها مرة أخرى، كما كان لا بد من تهديدها لمنعها من رؤيتي.

في صباح أحد الأيام، كنت أستعد لمغادرة منزلي، ولكن قبل ذلك، كما هو الحال دائما، كنت أراقب المناطق المحيطة بالمنزل من الشرفة، وفجأة رأيت لطيفة جالسة في سيارة برفقته صديق لها، لا شك أنها تنتظرني للخروج. أبقى في المنزل وأراقب السيارة، وبعد عدة ساعات تغادر السيارة المكان,

في نفس المساء أستقل سيارتي، وأذهب الى السينما دون أن أشك في أي شيء، وبعد بضع دقائق تعرفت عليها على الفور رغم شعرها المستعار : لطيفة تمشي بصعوبة وتعرج نحوي، تجلس بجواري بتكتم، وتتظاهر بأنها لا تعرفني.

فهمت بأنهم ذبحوها وأن الباروكة تخفي رأسا محلوقا. وفي ظلام قاعة السينما، تهمس لي لطيفة بقصة محنتها دون الخوض في التفاصيل، مرعوبا، أنا مضطر لمغادرة المغرب، ولكن أؤكد لها بأنني سأعود، ولكن في

الحقيقة أنا أعلم أن ذلك لن يحدث، فهو لن يؤدي إلا الى تفاقم وضعها، ولن ينقذها إلا غيابي عن المغرب.

*

**

بالعودة الى توريمولينوس، أرجع الى عاداتي ونشاطي في متجري مع شريكي دينيس، وهو من سلالة خليط بين اندونسية وسويسرية. الأعمال هنا تعمل بشكل جيد للغاية.

لم تعد لدي أخبار من لطيفة، حبيبتي التي لن أراها مرة أخرى، ربما للأبد. وأكرر مغامرتي مع الحاجة وفخاخها وانتقامها ورغبتها في الحصول على ملف والدي، ومن الواضح أن تبادلاتنا الأولى كانت أشبه بالصدفة المنظمة منها بدل الصدفة الحقيقية.

مزيج من الظروف... ماذا يمكن أن تفعل في ذلك المساء في مثل ذلك الملهى الليلي سيئ السمعة؟ هي التي لا تذهب إلى أي مكان دون أن تكتشف وتتحقق أولا من جودة المكان... هل وقعت حقا في حبي، رغم هدفها

المسطر من قبل؟ أم أنهـا تلعب الـدور لدرجـة جعلتـني في حالة ضعف أمام الجنرال؟

في أحد الأيام، دخل مغربيان المتجر ومعهما حزمة من الجلود المهربة، وأنت تعرف الباقي لقد حكيت القصة من قبل...

الفصل الثالث والعشرون

لقد تحررت من هذا السجن اللعين في ملاغا، حيث كنت أعاني في طريق مسدود. أميليا الممرضة، كانت تعتني بي، وبفضلها تم إبلاغ والدي بحبسي الغير قانوني، وتمكن من التدخل لدى الجنرال فرانكو، وأيضا بمساعدة دون ليساردو.

أنا لا أضيع الوقت، والموعد النهائي الموصى به بشدة لمغادرة اسبانيا اقترب. لقد رتبت كل الأمور لتحرر من كل القيود التجارية التي أواجهها في اسبانيا. لكنني لا أعرف إلى أين أذهب ! أينما ذهبت، سوف يطاردني رجال الجنرال أوفقير، ولن يوقفهم شيء.

-كيف حالك جيرار؟

على شرفة المقهى الذي أمضيه في صمت، بالقرب من منزلي في توريمولينوس. تقترب مني جارتي ساندرين. تجلس قبالتي وتحدق بي، وتبدو في حيرة.

أستطيع القول أنك ليست على ما يرام. ما الذي جرى لك؟

مشاكل، لا أريد مواجهتك بها يا ساندرين. سيكون الأمر على مايرام.. لا تقلق..

هل نسيت ما قاله لك رجلي؟ هو يحترمك ويقدرك كثيرا، ممتنيا لكا فعلته من أجلي. إذا وقع لك أي شيئ غريب او حزين فهو هنا لمساعدتك.

أعلم بذلك، لقد تأثرت كثيرا، ولكنني لا أريد أن أورطه في قضية قذرة..

ساندرين تطلق تنهدا غريبا.

هل تعتقد بأن رجلي هو شخص خواف وضعيف؟

أرسل نظرة مليئة بالدفء الودي لهذه المرأة الشابة التي تحاول أن تجعلني أبتسم. لا أستطيع أن أفعل ذلك على أي حال. أنا منهك أخلاقيا. لا أريد أي شيء بعد الآن، ومع ذلك، ماذا لو كان لدى زوجها الوسائل والامكانيات لمساعدتي؟

بعـد ثلاثـة أيـام، التقيت ببـير وجهـا لوجـه، أثنـاء معادرتي منزلي، نحيي بعضنا البعض بـحرارة.

ماذا وقع جيرارد، أشرح لي مشكلتك؟

لا بد لي من مغادرة إسبانيا والاختفاء عن الأنظار، أنا أواجه اليـوم مشـكلة كبـيرة، مشـكلة دولـة رغمـا عـني، وأنـا مطلـوب ، وإن وجـدوني سـأموت، أحتـاج إلى الإختبـاء في مكان ما آمن ومعزول لفترة طويلة.

لدي ما تحتاجـه، سـأخبر أحـد أصـدقائي الموثـوقين بـذلك، وهـو يملـك كـازينو شـاربونيير في مدينـة ليـون بفرنسا، هل تعرف ليون؟

لا..

سـوف تكـون هنـاك قريبـا وأمنـا، عليـك فقـط أن تحـترم بعض العليمـات القليلـة حـتى لا يتم وصـدك من قبل الحي.

بعـد مغـادرة إسـبانيا دون وقـوع أي حـادث والسـفر لعدة مئات من الكيلومترات بالسـيارة الى مـونت دو ليـون، إنغمسنا في الريف، في منتصـف الليـل وصـلنا أخـيرا أمـام

مزرعـة نائيـة، في وسـط الحقـول وعلى مقربـة من الغابـة، يخرج منها رجل عجوز..

يقوم مرافقي بيير بالاجراءات والعروض التقديمية.. فمصافحة وبضع كلمات. من الواضح أنـه قـد قـدم بالفعـل شرحا للرجل فيما يتعلـق بقـدومي ويبـدو أنـه موافـق على ذلك. يعود بيير نحو.

داريوس، هو رجل ثمانيني طويل القامة جسم قــوي وهو بولندي، ونظرته تقـول الكثـير عن معرفتـه بالطبيعـة البشـرية. لا يوجـد فيـه أي شـيء عـدواني، فقـط أنـه غـير مثقف.

ومــع مــرور الأيــام، نتعــرف على بعضــنا البعض. لتجنب جذب الإنتباه، أبقى محبوسا في المنزل طوال اليوم، أنــا لا أخــرج إلا في الليــل لأستنشــق بعض الهــواء النقي. أمشي بتكتم في الحقول والغابـات. اتحـدث قليلا جـدا مـع داريــوس, نحن مثـــل أثـــنين من المتوحشــين الــذين لا يتوقفـون أبـدا عن مراقبـة بعضـهم البعض من بعيـد في كل فرصة، دون إظهار ذلك.

في يوم من الأيام أريد أن أتحدث معه. لكن بما أنني لم أقم بعلاقة مع أي شخص منذ أسابيع، فإنني أتتوجه بكش مفاجئ : داريوس، هل سبق لك أن وقعت في حب إمرأة بشغف؟

ينظر الرجل العجوز إلى بخيبة أمل، عندما يتوقف عن تقشير تفاحته . يرد يصوت أجش : هل طرحت عليك أسئلة؟ ومع ذلك ليست الرغبة التي أفتقر إليها، منذ اليوم الأول الذي أتيت فيه للإختباء في هذه المرزعة هربا من العادلة...

إنه يلومني لأنني عرضته للخطر. أدافع عن نفسي وأتساءل كيف يمكنه معرفة أسباب معاشرتي عندما لم يخبره بيير بالحقيقة.

العدالة ! إذا كان هذا ما تعتقده، فأنت مخطئ يا داريوس؟

الرجل العجوز، ينظر ساخرا : يا لها من نكتة جيدة ! إذا كنت تعتقد أنني أستوعبت كل ما أخبرني به مديري عن وجودك هنا، فانت تمزح معي... لقد فهمت منذ

البدايـة أنك كنت هاربا. وإلا كيف يمكنك أن تفسر أن شـابا مثلك يختبئ ليلا ونهارا في مكان مثل هذا لمـدة أشـهر. لا يعني ذلك أن هذا يزعجني، لكني لا أحب أن ينظـر إلي على أنني أحمق !

الأمر بعيد كل البعد عن هـذا الأمـر يـا داريـوس. لقـد كذب عليك، هذا صحيح، ولكن كان ذلك من أجل سلامتي، في الحقيقة، كلما قلت معرفتك، كلمـا أصـبحت أكـثر أمنـا وأفضل حـالا.. سأشرح لك، ولكن بعد أن تجيب على سؤالي.

فقد سـألتني إن كنت في حالـة حب، نعم لقـد كنت بالفعل، ولكن ليس إلى حد العاطفة. مثل كل شخص على وجه الأرض أظن.

قال هذه الجملة بنبرة مرحة وأرى في عينيه ما يكون توهجا حيويا وبدون تعبير يضيف : علاوة على ذلـك، ولكي أنسـى موضـوع هـذا الحب، فقـط دفنت نفسـي في هـذه المزرعة لمدة ستين عاما...

فجأة نظر داريوس في عيني للمرة الأولى.

أنظر اليه ولكن لا أراه، في سؤالي العفوي هذا، لقد سكبت للتو الملح على جرح قلبي، لقد انهمرت دموعي.

*

**

لقد مرت ثلاثة أشهر عن اختبائي في هذه المزرعة، وفي أحد الأيام، نسمع جبرا سريعا في الراديو : الجنرال أوفقير مات بعد انتحاره... بثلاث رصاصات في مؤخرة رقبته[١٦] !

وتسجن زوجته مع جميع أفراد أسرتها. وبعد الحداد المعتاد لمدة ثلاثة أشهر.. لمدة عشرين عاما.

اخيرا أصبحت حرا لأعيش بقية حياتي.

---

16 - بدعم من العديد من كبار ضباط القوات الجوية المغربية، وعلى رأسهم المقدم محمد أمقران، نائب ريس القادعة الجوية للطيران الملكي العسكري والقائد كويرة، قائد القيادة العسكرية الثالثة بالقنيطرة، نظم الجنرال محمد اوفقير محاولة أغتيال الملك الحسن الثاني (انقلاب الطيارين) والذي لم ينجح في 16 اوت 1972، عند عودته من فرنسا، حيث تم قذف الطائرة الملكية للحسن الثاني ن طرف ثلاثة طائرات حربية أف 5، ولكنه بالرغم من الظرر على مستوى الطائرة الملكية استطاعت من النزول في المطار الدولي الرباط – سالي. وفي ندوة صحفية يوم 23 اوت 1972، وزير الداخلية محمد بن حمة يعلن بأن الرائد كويرة كشف للملك بأن الجنرال اوفقير هو المدبر للإنقلاب، هذا الاخير انتحر في قصر السخيرات بثلاثة رصاصات، حيث كانت الثالثة مميتة. وهذه هي النسخة الرسمية لوكالة مغرب للأنباء، وأن الجنرال اوفقير انتحر برصاصة في رأسه، ولكن حسب شهود دبلوماسي غربي، فإن افقير تم قتله بأربعة رصاصات ثلاثة في الظهر والرابعة في الرقبة.

ملحق



السلطان محمد الخامس وابنائه



الملك الحسن الثاني والجنرال أفقير





فاطمة افقير الملقبة باحاجة


Soukaïna Oufkir
La vie devant moi
Une enfance dans les prisons de Hassan II
Stephen Smith
OUFKIR
UN DESTIN MAROCAIN
FATÉMA OUFKIR
Les Jardins du roi
MALIKA OUFKIR ET MICHÈLE FITOUSSI
La Prisonnière
PRIX DES MAISONS DE LA PRESSE
Grasset
MALIKA OUFKIR
L'ÉTRANGÈRE
GRASSET
Raouf Oufkir
Les invités
20 ans dans les prisons d'Hassan II
ÉDITION ILLUSTRÉE